رسالة القلم

إسلامية ثقافية شاملة

محور العدد: نهج البلاغة

العدد الثالث و الأربعون - السنة الحادية عشرة- رجب ١٤٣٦هـ- إبريل ٢٠١٥م

- نهج البلاغة نهج الحياة...حوار مع سماحة المحقّق الشيخ محمد جواد الطبسي حفظه الله
- بعض واجبات الحاكم كما شرحها ابن ميثم البحراني
- الإيمان في نهج البلاغة
- الزهد في نهج البلاغة
- تقرير حول عدد من شروح نهج البلاغة

٤٣

رسالة القلم

إسلامية ثقافية شاملة

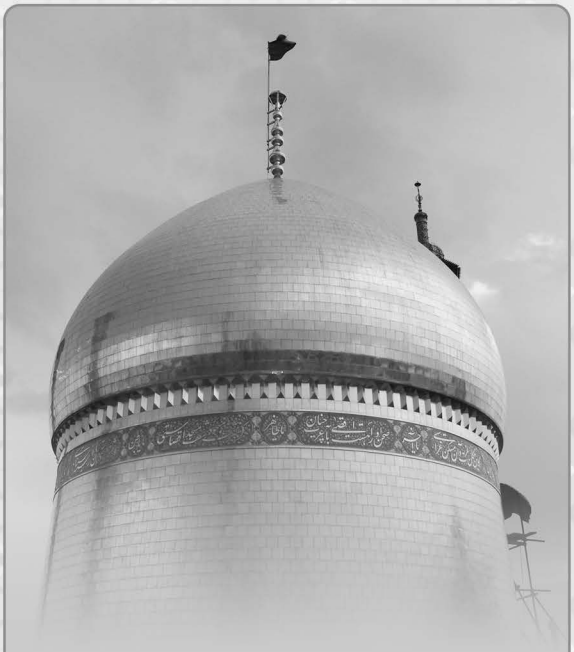

فصلية تصدر عن

طلاب البحرين في الحوزة العلمية

بمدينة قم المقدسة

برعاية

مكتب البيان للمراجعات الدينية

- الهيئة الاستشارية:
  الشيخ عبد الله علي الدقاق
  الشيخ علي فاضل الصددي
  الشيخ غازي عبد الحسن السماك

- المشرف العام :
  الشيخ عبد الرؤوف حسن الربيع

- رئيس التحرير:
  الشيخ محمد علي خاتم

- مدير التحرير:
  الشيخ عباس علي الصايغ

- رئيس هيئة التحرير:
  الشيخ عزيز حسن الخضران

- هيئة التحرير:
  السيد جلال عدنان علوي
  الشيخ علي عقيل الجمري
  الشيخ منصور إبراهيم الجبيلي

رسالة القلم
إسلامية ثقافية شاملة

اقرأ في هذا العدد ٤٣

كلمة العدد

٣ .... الرضي و نهج البلاغة
رئيس التحرير

حوار العدد

٥.... نهج البلاغة نهج الحياة
مع سماحة المحقّق الشيخ محمد جواد الطبسي

ملف العدد: نهج البلاغة

٣١ ... بعض واجبات الحاكم كماشرحها ابن ميثم البحراني
الشيخ جاسم بدر المطوع

٧٤ ... الإيمان في نهج البلاغة
الشيخ محمد علي حسن خاتم

٩٢ ... الزهد في نهج البلاغة
الشيخ منصور ابراهيم عباس الجبيلي

٩٩... تقرير حول عدد من شروح نهج البلاغة
هيئة التحرير

بحوث و مقالات أخرى

١١٩ ... صلاة ليلة الرغائب
الشيخ فاضل عبدالجليل الزاكي

١٥٧ ... نظرة حول سورة براءة (القسم الثاني)
الشيخ عزيز حسن الخضران

١٨٦ ... المباديء التصورية لعدالة الصحابة
الشيخ علي ابراهيم عبد العال

١٩٨ ... منكر ضروري المذهب
الشيخ غازي عبدالحسن السماك

٢٠٣ ... الاستطاعة...قيد في الإلزام بفريضة الحجّ أو في مشروعيتها؟*
الشيخ عليّ فاضل الصدديّ

الرضي و ج البلاغة

لم يكن عليّ بن أبي طالب أمير للكلام بدعوى من أتباعه ومحبّيه، بل كان أمير لأنّه أمير للكلام بحق ولا يزيده هذا اللقب رفعة بل اللقب يكتسب الرفعة منه عليه السلام.

لمّا كان كلامه عليه السلام مبثوث في المجاميع الحديثية المختلفة، وهو كلام يتضمّن أعلى درجات البلاغة والفصاحة، تصدّى الشريف الرضي -في منتصف القرن الرابع- إلى جمع نزر يسير من هذه الخطب والكلمات الواردة عن الأمير عليه السلام ووضعها في كتاب أسماه بكتاب نهج البلاغة وهو في الواقع ليس نهج للبلاغة فحسب بل هو نهج للحياة؛ لما تضمنه من مضامين عالية في مختلف الجوانب الحياتية التي يحتاج إليها الإنسان في طريق نظم أمره والوصول إلى ربّه، ولم يكن الشريف الرضي أول من جمع هذه الخطب بل قد سبقه غيره من العلماء الأعلام.

فكان نهج البلاغة منتشر -ولا زال كذلك- بين المسلمين لما له من أهمّية عندهم، ومما يبيّن مقدار هذه الأهمّيّة تخريج مصادر خطبه وأسانيده من قبل بعض العلماء كالشيخ محمد الدشتي[1]، والسيد عبدالزهراء الخطيب[2]، فكانت الكثير من الخطب مسندة بالإسناد الصحيح.

وتعرض العلماء من الفريقين إلى شرحه على مرّ العصور منذ أن جمعت

هذه الخطب حتى صار عدد الشروح متجاوز المائتين شرح ، ناهيك عن الدراسات والبحوث حول عدد كبير من العناوين التي تنوّعت على الأبواب المعرفية المتعددة من الكلام والأخلاق وغيرها.

وقد اعتمد الشريف الرضي على توفّر الكتب في بغداد آنذاك في المكتبات العامّة والخاصة ،ومن جملة هذه المكتبات مكتبة الشريف المرتضى المعروف بعلم الهدى التي كانت تشتمل على ثمانين ألف مجلّد، ويكفينا -في ذلك- توصيف ياقوت الحموي في معجم البلدان حيث يقول "لم يكن في الدنيا أحسن مكتبة منها، كانت كلها بخطوط الأئمة المعتبرة، وأصولهم المحررة"[٣].

الكل مدين إلى الشريف الرضي رحمه الله على هذا العمل الجبار و العظيم الذي له فضل على الإسلام و المسلمين، فقد حفظ لناهذه المجموعة من الخطب و الكلمات عن الضياع و الاندراس في وقت تعرّضت فيه مكتبة بغداد للحرق و الإتلاف على أيدي جهلة العلم و أعدائة.

***

الهوامش

(١) فقد استخرج مصادر نهج البلاغة في كتابه أسناد ومدارك نهج البلاغة، فاستخرج ٢٨٣مصدر .

(٢) فقد استخرج ١١٤ مصدر في كتابه مصادر نهج البلاغة.

(٣) نقلاً عن الذريعة للطهراني ج٧، ص١٩٢.

نهج البلاغة نهج الحياة

حوار مع سماحة المحقّق الشيخ محمد جواد الطبسي حفظه الله

المحاور: الشيخ عماد الشعلة

كلامكم نور:

النور بيّن ومبيّن لغيره، النور حقيقة لا ينكرها منكر، النور مصدر للدفء وللسكينة والطمأنينة والاستقرار والأمان، النور حتى يحلّل إلى أطياف وألوان في الحياة فإننا نحتاج إلى منشور، النور حجج وبراهين، ظهور وانكشاف، وضوح وإرشاد، ضوء وسطوع، سفور وإشراق، بصر ونظر، علامة وميزة.

وكيف بنا لو كان منبع هذا النور هو كلام أمير الكلام من نهج الحياة، نهج الفصاحة والبيان، وعدل القرآن، لذلك لو قرأ هذا الكلام على مجنون لأفاق من جنونه أو على ميت لبعث من قبره ولا عجب ولا غرابة فإنّه من مصدر الإخلاص والخلاص العابر للزمان والمكان.

لذلك حاورنا سماحة المحقق الشيخ محمد جواد الطبسي حفظه الله[1]، حول نهج البلاغة بما فيه منفعة مرجوة للأجر والثواب، وفائدة للإسلام والمسلمين.

* ما هو نهج البلاغة؟

من الصعب جد أن نقدّم للسائل تعريف جامع شاملاً ووافي لنهج البلاغة.

لكن إجمالاً أقول بأنه لا شك في أنّ نهج البلاغة كتاب لم يكتب مثله، حيث إنّ الذي صدرت منه هذه الكلمات لا مثيل له في عالم الوجود بعد المصطفى محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله.

إنّها خطب وكتب وكلمات من بعض خطبه وكتبه انتقاها الرضي من المرتضى وجمعها وألّفها في هذا الكتاب ليقدّم للنّاس صورة ناقصة من شخصية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حيث لا يمكن تعريفه حقيقة وكما هو، فنهج البلاغة ليس كتاباً تاريخياً أو اجتماعياً أو أخلاقياً أو كلامياً أو فلسفياً أو... فقط، بل هو كتاب درس ودراسة ومنهج وخطّة لكل ذي علم وفنّ؛ فلقد تلقّاه الخاص والعام بالقبول وجعلوه منهاجاً أساسياً للعلوم الإسلاميّة بعد الثناء والإطراء على المؤلف والمؤلف.

وهذه قائمة تتضمّن بعض من أثنى على الكتاب:

قال ظهير الدين علي بن زيد البيهقي: "هذا الكتاب النّفيس -نهج البلاغة- مملوء من ألفاظ يتهذّب بها المتحدّث ويتدرّب بها المتكلّم فيمن القول الحسن ومن المعاني أحسنها، كلام أحلى من نَغَم القيان وأبهى من نعيم الجنان، كلام مطلق كسنة البدر ومشرعه مورد أهل الفضل والقدر وكلمات وشيُها خِبَر ومعانيها فِقَر وخطب مقاطعها تعبّر عن زهرات الرياض، جمع قائل هذا الكلام بين ترصيع بديع وتحنيس أنيس وتطبيق أنيق".(٢)

قال الشيخ محمد شكري الآلوسي: "هذا كتاب نهج البلاغة قد استودع من خطب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ما هو قبس من نور الكلام الإلهي وشمس تفيء بفصاحة المنطق النبوي".(٣)

قال الأستاذ محمد حسن نائل المرصفي: "نهج البلاغة ذلك الكتاب الذي أقام الله حجة واضحة على أنّ علياً كان أحسن مثال حيّ لنور القرآن وحكمته وعلمه وهدايته وإعجازه وفصاحته. اجتمع لعليّ في هذا الكتاب ما لم يجتمع لكبار الحكماء وأفذاذ الفلاسفة ونوابغ الربانيين من آيات الحكمة السابقة وقواعد السياسة المستقيمة ومن كل موعظة باهرة وحجّة بالغة تشهد له بالفضل وحسن الأثر.

خاض عليّ في هذا الكتاب لجّة العلم والسياسة والدين فكان من كل هذه المسائل نابغة مبرز ولئن سألت عن مكان كتابه من الأدب بعد أن عرفت مكانه من العلم، فليس

في وسع الكاتب المرسل والخطيب المصقع والشاعر المفلق أن يبلغ الغاية من وصفه أو النهاية من تقريظه".[٤]

وقال الشيخ ناصيف اليازجي يوصي ولده الشيخ إبراهيم: "إذا شئت أن تفوق أقرانك في العلم والأدب وصناعة الإنشاء فعليك بحفظ القرآن ونهج البلاغة".[٥]

وقال الشيخ أبو الثناء شهاب: "نهج البلاغة الكتاب المشهور الذي جمع فيه السيد الرضي الموسوي خطب الأمير كرّم الله وجهه وكتبه ومواعظه وحكمه وسمي نهج البلاغة لما أنه قد اشتمل على كلام يخيل أنه فوق كلام المخلوقين ودون كلام الخالق عز وجل قد اعتنق مرتبة الإعجاز وابتدع أفكار الحقيقة والمجاز".[٦]وقال الدكتور زكي مبارك: "لا مفرّ من الاعتراف بأنّ نهج البلاغة له أصل وإلا فهو شاهد على أن الشيعة كانوا من أقدر الناس على صياغة الكلام البليغ. إني لأعتقد أن النّظر في كتاب نهج البلاغة يورث الرجولة والشهامة وعظمة النفس لأنه من روح قهار واجه المصاعب بعزائم الأسود".[٧]

وقال الأستاذ أمين نخلة: "إذا شاء أحد أن يشفي صبابة نفسه من كلام الإمام فليقبل عليه في النهج من الدّفة إلى الدّفة وليستلم المشي على ضوء نهج البلاغة".

وقال الأستاذ عبّاس محمود العقّاد: "في كتاب نهج البلاغة فيض من آيات التوحيد والحكمة الإلهية تتسع به دراسة كل مشتغل بالعقائد وأصول التأليه وحكم التوحيد".

وقال الأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد: "نهج البلاغة هو ما اختاره الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وهو الكتاب الذي ضمّ بين دفّتيه عيون البلاغة وفنونها وتهيأت به للناظر فيه أسباب الفصاحة ودنا منه قطافها إذ كان من كلام أفصح الخلق بعد الرسول منطقاً، وأشدهم اقتداراً وأبرعهم حجّة، وأملكهم للّغة يديرها كيف شاء، الحكيم الذي تصدر الحكمة عن بيانه والخطيب الذي يملأ القلب سحر بيانه والعالم الذي تهيأ له من خلاط الرسول، وكتابة الوحي، والكفاح عن الدين بسيفه ولسانه منذ

حداثته مالم يتهيأ لأحد سواه".[٨]

وقال الأستاذ الشيخ محمد عبده في كلام طويل له في تعريف نهج البلاغة قال في آخره: "ذلك الكتاب الجليل هو جملة ما اختاره السيد الشريف الرضي رحمه الله من كلام سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه جمع متفرقه وسمّاه بنهج البلاغة ولا أعلم اسماً أليق بالدلالة على معناه منه وليس في وسعي أن أصف هذا الكتاب بأزيد مما دلّ عليه اسمه. ولا أن آتي بشيء في بيان مزيته فوق ما أتى به صاحب الاختيار".[٩]

وقال ابن أبي الحديد في كلام له: "...كثيراً من أرباب الهوى يقولون إنّ كثير من نهج البلاغة كلام محدث صنعه قوم من فصحاء الشيعة وربما عزو بعضه إلى الرضي أبي الحسن و غيره وهؤلاء قوم أعمت العصبيّة أعينهم فضلّوا عن النهج الواضح وركبوا بنيات الطريق ضلالاً وقلّة معرفة بأساليب الكلام. وأنا أوضح لك بكلام مختصر ما في هذا الخاطر من الغلط فأقول: لا يخلو إما أن يكون كل نهج البلاغة مصنوعاً منحولاً أو بعضه، والأول بالحل بالضرورة لأنّا نعلم بالتواتر صحة استناد بعضه إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقد نقل المحدّثون كلهم أو جلّهم، والمؤرخون كثيراً منه وليسوا من الشيعة لينسبوا إلى غرض في ذلك. والثاني يدل على ما قلناه لأن من أنس بالكلام والخطابة وشدّ طرفاً من علم البيان وصارت له ذوق في هذا الباب لابد أن يفرق بين الكلام الركيك والفصيح وبين الفصيح والأفصح وبين الأصيل والمولّد وإذا وقف على كراس واحد يتضمّن كلاماً لجماعة من الخطباء أو لاثنين منهم فقط فلابد أن يفرق بين الكلامين ويميز بين الطرفين، ألا ترى أنا مع معرفتنا بالشعر ونقده لو تصفحنا ديوان أبي تمّام فوجدناه قد كتب في أثنائه قصائد أو قصيدة واحدة لغيره لعرفنا بالذوق مباينتها لشعر أبي تمام ونفسه وطريقته ومذهبه في الفريقين، ألا ترى أن العلماء بهذا الشأن حذفوا من شعره قصائد كثيرة منحولة إليه لمباينتها لمذهبه في الشعر وكذلك حذفوا شعر أبي نواس كثير لما ظهر لهم أنّه ليس من الناظم ولا من شعره وكذلك غيرها من الشعراء ولم يعتمدوا في ذلك إلا على الذوق خاصة.

وأنت إذا تأمّلت نهج البلاغة وجدته ماءً واحداً ونفساً واحداً وأسلوباً واحداً كالجسم البسيط الذي ليس بعض من أبعاضه مخالفاً لباقي الأبعاض في الماهية وكالقرآن العزيز أوله كوسطه وأوسطه كآخره، وكلّ سورة منه وكل آية مماثلة في المأخذ والمذهب والفن والطريق والنظم لباقي الآيات والسور.

ولو كان بعض نهج البلاغة منحولاً وبعضه صحيحاً لم يكن ذلك كذلك، فقد ظهر لك بالبرهان الواضح ضلال من زعم أن هذا الكتاب أو بعضه منحول إلى أمير المؤمنين عليه السلام. واعلم أن قائل هذا القول يطرّف على نفسه ما لا قبَل له به لأنّا متى فتحنا هذا الباب وسلّطنا الشكوك على أنفسنا في هذا النحو لم نثق بصحة كلام منقول عن رسول الله صلى الله عليه وآله أبد وساغ لطاعن أن يطعن ويقول هذا الخبر منحول وهذا الكلام مصنوع".[١٠]

وقال عبدالله بن أحمد المعروف بابن الخشاب جواباً لمصدق بن شبيب الواسطي حيثما قال له إنّ كثير من الناس يقولون إنّها من كلام الرضي، فقال: "أنّى للرضي ولغير الرضي من هذا النفس وهذا الاسلوب. قد وقفنا على رسائل الرضي وعرفنا طريقته وفنّه في الكلام المنثور وما يقع مع هذا الكلام في خل ولا خمر. ثم قال: والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صنفت من قبل أن يخلق الرضي بمائتي سنة ولقد وجدتها مسطورة بخطوط أعرفها وأعرف خطوط من هو من العلماء وأهل الأدب قبل أن يخلق النقيب أبو أحمد والد الرضي"[١١].

* من هو الشريف الرضي؟

قال السيد الخوئي (قده) في المعجم: "قال النجاشي: محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر: ...أبو الحسن الرضي نقيب العلويين ببغداد، أخوه المرتضى، كان شاعر مبرز له كتب منها : حقائق التنزيل، كتاب مجاز القرآن، كتاب خصائص الأئمة، كتاب نهج البلاغة، كتاب الزيادات في شعر أبي تمام، كتاب تعليق خلاف الفقهاء، كتاب مجازات الآثار النبوية، كتاب تعليقة في الإيضاح لأبي علي، كتاب الجيد من شعر أبي الحجاج، كتاب الزيادات في شعر ابن الحجاج،

كتاب مختار شعر أبي اسحاق الصابي، كتاب ما دار بينه وبين أبي إسحاق من الرسائل شعر، توفّي في السادس من المحرم سنة ست وأربع مائة...وقال السيد المهناء في عمدة الطالب، عند ذكره في عقب الإمام موسى بن جعفر: و أمّا محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى الأبرش فهو الشريف الأجل الملقب بالرضي ذو الحسبين يكنّى أبا الحسن نقيب النقباء وهو ذو الفضائل الشائعة والمكارم الذائعة، كانت له هيبة وجلالة وفيه ورع وعفّة وتقشّف ومراعاة للأهل والعشيرة ولي نقابة الطالبيين مرار وكانت إليه إمارة الحاج والمظالم، كان يتولّى ذلك نيابة عن أبيه ذي المناقب، ثم تولى بعد وفاته مستقلًا وحج بالناس مرات وهو أول طالبي جعل عليه السواد وكان أحد علماء عصره قرأ على أجلاء الأفاضل وله من التصانيف كتاب المتشابه في القرآن وكتاب مجازات الآثار النبوية وكتاب نهج البلاغة"[١٢].

وقال ابن أبي الحديد في شأنه: "إنه كان عفيفاً شريف النفس عالي الهمّة... لم يقبل من أحد صلة ولا جائزة حتى أنه ردّ صلات أبيه وناهيك بذلك، وكانت نفسه تنازعه إلى أمور عظيمة، يجيش بها صدره وينظمها في شعره ولا يجد عليها من الدهر مساعداً، فيذوب كداً ويفني وجداً حتى توفى ولم يبلغ غرضاً".[١٣] وقال ابن خلكان: "وذكر أبو الفتح ابن جني في بعض مجاميعه أن الشريف الرضي أحضر إلى أبن السيرافي النحوي وهو طفل جد لم يبلغ من عمره عشر سنين فلقنه النحو، وقعد معه يوم في الحلقة فذاكره بشيء من الإعراب على عادة التعليم فقال: إذا قلنا رأيت عمر فما علامة النصب؟ فقال: بغض علي. فتعجّب السيرافي والحاضرون من حدّة خاطره".[١٤]

توفي سنة ٤٠٣ هـ ، ومما رثاه به أخوه المرتضى أبيات منها:

ياللرجال لفجعة جذمت يدي ... وددتها ذهبت علي برأسي
ما زلت أحذر وردها حتى أتت ... فحسوتها في بعض ما أنا حاس
وأديتها فلقيت منها صخرة ... صمّاء من جبل أشم راس
ومنقها دمعي فلمّا لم تجد ... دمع تحدد أوقدت أنفاسي

ومصيبة ولجت على سرج الهدى آل النبي حفائر الأرماس
ثلموا بعد التمام كأنّما ثلموا بجدع الأنف يوم عطاس[١٥]

* متى شرع في كتابة نهج البلاغة ومتى أنهاه؟ وما هي قصّة كتاب خصائص الأئمة عليهم السلام؟

قلت : بعد أن انتهى من كتاب خصائص الأئمة عليهم السلام، وذلك برغبة جمع من الإخوان لجمع كتاب يتضمن خطب الإمام وكلماته وكتبه، قال + في خطبة الكتاب : "فإنّي كنت في عنفوان السن وغضاضة الغصن، ابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الأئمة عليهم السلام يشتمل على محاسن أخبارهم وجواهر كلامهم، حداني عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب وجعلته أمام الكلام، وفرغت من الخصائص التي تخص أمير المؤمنين علياً عليه السلام وعاقت عن إتمام بقية الكتاب محاجزات الزمان ومماطلات الأيام وكنت قد بوبت ما خرج من ذلك أبواباً وفصلته فصولاً، فجاء في آخرها فصل يتضمّن محاسن ما نقل عنه عليه السلام من الكلام القصير في الحكم والأمثال والآداب دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة فاستحسن جماعة من الأصدقاء والإخوان ما اشتمل عليه الفصل المقدّم ذكره معجبين ببدائعه ومتعجبين من نواصعه وسألوني عن ذلك أن أبدأ بتأليف كتاب يحتوي على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه ومنشعبات غصونه من خطب وكتب ومواعظ وآداب"[١٦].

* لماذا لم يذكر الشريف الرضي الأسانيد والمصادر في كتاب نهج البلاغة؟

ربما يسأل السائل بأنه لماذا لم يذكر الشريف الرضي الأسانيد عند جمع كلمات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام؟ أما علم السيد الرضي بأنّ هذه العملية -أي: حذف الأسناد من كلام الإمام أميرالمؤمنين- ستولّد فيما بعد مشاكل في اعتبار هذا الكتاب؟ قلنا: لقد علم السيد الرضي قبل كل أحد بهجوم هذه المشاكل ولكن مع ذلك حذف الأسانيد، والسؤال الموجه إليه هو إمّا أن يقال أنّ هذه الكلمات المنقولة عن علي كلها بدون أسناد، وإمّا أن يقال أن هذه الخطب

والكتب والرسائل وغير ذلك كلها مسندة ومروية عن علي ولكن السيد الرضي حذفها.

أمّا أنه لأيّ علّة حذفها فمن الممكن أنه أراد ألا يكثر حجم الكتاب بحيث لا يسهل تناوله فإنّ أسنادها كانت في متناول الأيدي فكل من أراد الأسناد سيراجعها بدون أي مشكلة وكلفة.

ومن المحتمل أن تقول إنه لم يرد بذلك رواية الروايات والأحاديث المروية عن عليّ كي يسندها بل أراد جمع خطبه ورسائله وكلماته البليغة، وعرضه على ساحة الأدب لعرض شخصية الإمام أمير المؤمنين على هؤلاء، ومن الممكن أنه تأسى ببعض الأعلام الذين حذفوا الأسانيد من مؤلّفاتهم كمحمد بن مسعود العياشي صاحب التفسير من أعلام القرن الثالث من الهجرة وابن شعبة الحراني صاحب كتاب تحف العقول من أعلام القرن الرابع، وأمّا أسانيد كثير من خطب نهج البلاغة فمما ذكرها المحدثون وغيرهم، و هي موجودة مذكورة في كتبهم فمن باب المثال نذكر الخطبة الشقشقية، فممن روى الخطبة أبو جعفر أحمد بن خالد البرقي الشيعي المتوفى٢٧٤هـ في كتابه المحاسن والآداب، وإبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي المتوفى ٢٨٣هـ في كتاب الغارات، وأبو علي محمد بن عبدالوهاب الجبائي البصري المعتزلي المتوفى٣٠٣هـ، وأبو القاسم عبدالله بن أحمد بن محمد الكعبي البلخي المتوفى ٣١٩هـ في كتاب الإنصاف، وأبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي الشهير بالصدوق المتوفى ٣٨١هـ في كتاب علل الشرائع ومعاني الأخبار، وأبو عبدالله محمد بن النعمان المعروف بالمفيد المتوفى٤١٣هـ في كتاب الإرشاد، وشيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى ٤٦٠هـ في كتاب الأمالي، وكل من روى هذه الخطبة بأسانيده الخاصة إلى هذه الخطبة.

هذا بالنسبة إلى الخطب وأمّا بالنسبة إلى الكتب المرسلة من أمير المؤمنين وكما هو موجود في نهج البلاغة، فمروية بعينها في كثير من كتب التواريخ

وغيرها، فمن باب المثال نذكر كتابه إلى أهل الكوفة فيقول: >أمّا بعد فإنّي أخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سمعه كعيانه< فرواه ابن قتيبة في الإمامة والسياسة والشيخ في الأمالي والمفيد في الجمل وهكذا بقية الكتب.

وأمّا مأخذ الحكم فكثيرة كقوله: >إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه<، رواها ابن دريد في المجتنى، وباب الكتب مفتوح لمن أراد التوسع أكثر مما ذكرنا.

* لم يكن الشريف الرضي هو السابق إلى جمع كلام أمير المؤمنين عليه السلام ولا الأول في تدوينه بل دونوا كلامه في عصره وحفظوه في أيامه وكتبوه ساعة إلقائه، فمن هو أول من ألف في خطب الإمام عليه السلام؟

قلت: لا شك أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان أمير البيان في كل خطبه وكلماته حتى أن العدو الخارجي قال في شأنه: قاتله الله ما أفقهه.

ولقد ملئت الكتب والطوامير من خطبه وكلماته حيث قال سلوني قبل أن تفقدوني وكتبوا عنه في كل مجالات العلم، خذ من أولاده عليهم السلام وسائر الصحابة والتابعين ومن قرع سمعه سعة علم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وأظن إن لم أخطئ أنّ أول من جمع الأحداث خصوص الأحداث بعد رسول الله صلى الله عليه وآله هو سليم بن قيس الهلالي العامري الكوفي صاحب أمير المؤمنين عليه السلام، قال السيد علي بن أحمد العقيقي: "كان سليم بن قيس من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام طلبه الحجاج ليقتله فهرب فأوى إلى أبان بن أبي عياش، فلمّا حضرته الوفاة قال لأبان: إنّ لك عليّ حقاً وقد حضرني الموت يا بن أخي أنه كان من الأمر بعد رسول الله كيت وكيت، وأعطاه كتاباً فلم يرو عن سليم بن قيس أحد من الناس سوى أبان"[١٧].

قال المسعودي: "والذي حفظ الناس عنه من خطبه في سائر مقاماته أربعمائة خطبة ونيف وثمانون خطبة يوردها على البديهة تداول عنه الناس ذلك قولاً وعملاً"[١٨].

قال محمد أبو الفضل إبراهيم المحقق لشرح النهج في مقدمته على تحقيقه:

"وإذ كان لكلام الإمام علي طابع خاص يميزه عن غيره من الخطباء ونهج واضح يخالف غيره من البلغاء والمترسلين فقد حاول كثير من العلماء والأدباء على مرّ العصور أن يفردوا لكلامه كتباً خاصة ودواوين مستقلة بقي بعضها وذهب الكثير منها على الأيام، منهم نصر بن مزاحم صاحب صفين وأبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي وأبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي ومحمد بن عمر الواقدي وأبو الحسن علي بن محمد المدائني، وأبو عثمان عمرو بن الجاحظ وأبو الحسن علي بن الحسين المسعودي وأبو عبدالله محمد بن سلامة القضاعي وعبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد التميمي ورشيد الدين محمد بن محمد المعروف بالوطواط وعز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد وغيرهم كثيرون

وإليك بعض من روى خطب الإمام من الصحابة:

فمنهم:

عبدالله بن مسعود راوي خطبة البيان: روى الحائري اليزدي في كتاب دوحة الأنوار[١٩] عن محمد بن أحمد الأنباري عن محمد بن أحمد الجرجاني قاضي الري عن طوق بن مالك عن أبيه عن جده عن عبد الله بن مسعود رفعه إلى علي بن أبي طالب أنه لمّا تولّى الخلافة أتى البصرة فرقى منبر جامعها وخطب الناس خطبة ذهلت منها العقول واقشعرت الجلود، فلمّا سمعوا منه ذلك أكثروا البكاء والنحيب وعلا الصراخ، قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وآله أسر إليه السر الخفي الذي بينه وبين الله عز وجل فلأجل ذلك انتقل النور لأنه كان وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وجه علي بن أبي طالب عليه السلام قال: ومات النبي صلى الله عليه وآله في مرضه الذي أوصى فيه بعلي وكان قد أوصى لعلي أمير المؤمنين أن يخطب الناس خطبة البيان، فيها علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، قال: فأقام أمير المؤمنين بعد موت النبي صلى الله عليه وآله صابر على ظلم الأمّة إلى أن قرب أجله وحان وقت وصية النبي صلى الله عليه وآله بالخطبة التي تسمى بالبيان، فقام أمير المؤمنين بالبصرة ورقى المنبر وهي آخر خطبة خطبها محمد وأثنى عليه وذكر النبي صلى الله عليه وآله، فقال: أيها الناس أنا وحبيبي كهاتين وأشار بسبابته والوسطى ولولا آية في كتاب الله لنبأتكم بما في

السماوات والأرض وما في قعر هذا".

وروى الخطبة اليعسوبية وقال: "سمعت أمير المؤمنين يقول للناس سلوني قبل أن تفقدوني لأني بطرق السماء أعلم من العلماء بطرق الأرض"[٢٠].

ومنهم الأصبغ بن نباتة راوي خطبة الافتخارية عن أمير المؤمنين عليه السلام: قال البرسي في مشارف الأنوار[٢١]: "عن الأصبغ بن نباتة قال خطب أمير المؤمنين في خطبة فقال: أنا أخو رسول الله صلى الله عليه وآله ووارث علمه ومعدن حكمته، وصاحب سره، وما أنزل الله حرفاً في كتاب من كتبه إلا وقد صار إليّ...".

ومنهم علقمة بن قيس فقد روى الخطبة اللؤلؤيّة في البحار[٢٢] نقلاً عن كفاية النصوص بإسناده عن علقمة بن قيس قال: "خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام على منبر الكوفة خطبة اللؤلؤة فقال فيما قال: ألا وإنّي ظاعن...".

ومنهم ابن عباس فقد روى الخطبة الشقشقية[٢٣]: "قال لمّا بويع أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة ناداه رجل من الصف وهو على المنبر: ما الذي أبطأ بك إلى الآن؟ فقال: بديهاً أما والله لقد تقمصها فلان وهو يعلم أن محلّي منها محلّ القطب من الرحا...و ابن عباس قال: لما دفن رسول الله جاء العباس وأبو سفيان بن حرب وجماعة من بني هاشم إلى علي فقالوا مدّ يدك نبايعك حرضوه فامتنع وقال له العباس أنت والله بعد أيام عبد العصا فخطب وقال: أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة وعرجوا عن طريق النافرة".

ومنهم جابر بن عبدالله الأنصاري فقد روى الخطبة اللؤلؤية، قال: "رقى أمير المؤمنين منبر البصرة خطيباً فخطب خطبة بليغة فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أهل الكوفة والبصرة أغنياؤكم بالشام وفقراؤكم بالبصرة، قال جابر: يا أمير المؤمنين متى يكون ذلك، قال: إذا ظهر في أمّة محمد في المشاجرة ستون خصلة بذلك أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بما هو كائن إلى يوم القيامة"[٢٤].

ومنهم سعيد بن عمير فقد روى خطبة علي بعد مقتل عثمان بيوم[٢٥]، فعنه أن أمير المؤمنين خطب بعد ما قتل عثمان فقال بعد حمد الله والصلاة على

رسوله: >أيها الناس أتدرون ما مثلي ومثلكم ومثل عثمان...< وعنه قال: خطب أمير المؤمنين يوم فقال بعد ما قال: >الحمد لله داحي المدحوات وداعم المسموكات<.

ومنهم عبد الله بن صالح العجلي فقد روى خطبة لعلي في الكوفة [٢٦] فقال: "خطب أمير المؤمنين علي عليه السلام يوماً على منبر الكوفة فقال: الحمد لله الذي أحمده وأومن به واستعين به واشهد به... ثم قال: أيها النفوس المختلفة والقلوب المنشققة الشاهدة أبدانهم الغائبة عقولهم كم أدلكم على الحق وأنتم تنفرون نفور المعزى من وعوعة الأسد".

ومنهم أبو منذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى ٢٠٦هـ ذكر ابن النديم ٢٨ كتاباً من مؤلفاته منها: كتاب خطب علي رضي الله عنه الذي قرأه النجاشي ورواه بإسناده إلى المؤلف [٢٧].

أبوالفضل نصر بن مزاحم المنقري الكوفي العطار المتوفى ٢١٢هـ، قرأ النجاشي من مؤلفاته كتاب الجمل وكتاب النهروان وكتاب الغارات وكانت كلها تشتمل على خطب وكتب أمير المؤمنين عليه السلام [٢٨].

ومنهم أبو الخير صالح بن أبي حماد الرازي المتوفى سنة ٢١٤هـ، روى النجاشي عنه كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام.

أبو الحسن علي بن محمد المدائني المتوفى٢٢٤هـ ذكر ابن النديم من مؤلفاته كتاب خطب علي رضي الله عنه وكتبه إلى عماله [٢٩].

أبو القاسم عبدالعظيم بن عبدالله بن علي الحسيني المتوفى ٢٥٠هـ وله أيضاً كتاب في خطب علي عليه السلام [٣٠].

أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي الكوفي المتوفى ٢٨٢هـ، روى كثيراً من خطب ورسائل علي... قال الطوسي: "أخبرنا بجميع هذه الكتب أحمد بن عبدون بإسناده إلى الثقفي"[٣١].

أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري ألف كتاب المسترشد في الإمامة وكتاب الرواة عن أهل البيت عليهم السلام وجمع فيها خطبه ورسائله -رضي

الله عنه-.

أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني المتوفى ٣٢٨هـ. ألف كتاب رسائل الأئمة.

أبو أحمد عبد العزيز بن يحيى بن أحمد الجلودي الأزدي البصري ألف كتاب الجمل وكتاب الحكمين وكتاب الغارات، وكتاب خطب علي عليه السلام.

أبو الحسين علي بن الحسن المسعودي المتوفى ٣٤٦هـ ألف كتاب حدائق الأذهان في أخبار آل محمد عليهم السلام ومزاهر الأخبار وظرائف الآثار وزينتها بكثير من خطب علي رضي الله عنه وحكمه[٣٢].

أبو طالب عبيد الله بن أبي زيد أحمد بن يعقوب بن نصر الأنباري المتوفى ٣٥٦هـ ألف مائة وأربعين كتاب منها أدعية الأئمة عليهم السلام جمع فيها الأدعية المروية عن علي عليه السلام[٣٣].

أحمد بن إبراهيم بن أبي رافع الكوفي استاذ الشيخ المفيد ودون كلامه رضي الله عنه في كتابه الكشف فيما يتعلق بالسقيفة[٣٤].

أبو سعيد منصور بن الحسين الآبي الوزير المتوفى ٤٢٢هـ جمع كلام علي عليه السلام حول الأدب في المحاضرات.

أما الذين ألفوا قبل السيد الرضي كلمات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فهم:

زيد بن وهب الجهني الكوفي المتوفى٩٦هـ، وله كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر في الجمع والأعياد وغيرها وكان الكتاب باقيا حتى القرن الخامس الهجري إذ روى عنه شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي صاحب الفهرست[٣٥].

أبو يعقوب إسماعيل بن مهران بن محمد الكوفي المتوفى بعد سنة ١٤٨هـ، وله كتاب خطب أمير المؤمنين وكان متداولاً حتى القرن الخامس من الهجرة وذلك لأن النجاشي صاحب كتاب الرجال كان يروي عنه[٣٦].

أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي الغامدي المؤرخ الشهير قبل العام ١٧٠هـ،

وذكره ابن النديم وعدّ ٣٣ كتاباً مما ألفه ولا يخفى أن الكتب التالية منها ما اشتملت على خطب أمير المؤمنين[٣٧].

أبو محمد مسعدة بن صدقة العبدي الكوفي تلميذ الإمام موسى الكاظم عليه السلام المتوفى ١٨٣هـ، قال النجاشي: "له كتب منها خطب أمير المؤمنين أخبرنا ابن شاذان بإسناده عنه" [٣٨].

أبو إسحاق إبراهيم بن الحكم بن ظهير الفزاري الكوفي صاحب التفسير عن السدّي وتلميذ القاضي شريك المتوفى ١٧٧هـ، له كتاب خطب علي رواه النجاشي بإسناده عنه [٣٩].

أبو إسحاق إبراهيم بن سليمان النهمي الكوفي الخزاز وألف كتاب الخطب وكتاب الدعاء وكتاب خلق السماوات وكتاب مقتل أمير المؤمنين عليه السلام رواه الطوسي بإسناده عنه [٤٠].

هل هناك من إجازات للعلماء برواية كتاب نهج البلاغة؟

صدرت إجازات كثيرة من العلماء الماضين للمستجيزين منهم برواية كتاب نهج البلاغة للسيد الرضي وإليك قائمة مما ذكره الشيخ العطاردي في مقدمته على استناد نهج البلاغة.

إجازة الشيخ محمد بن علي بن أحمد بن بندار للشيخ الفقيه أبي عبدالله الحسين برواية الكتاب في جمادى الآخرة سنة٤٩٩هـ.

إجازة الشيخ علي بن فضل الحسين لعلي بن محمد الحسين المتطيّب برواية الكتاب في رجب سنة ٥٨٩هـ.

إجازة الشيخ نجيب الدين يحيى بن أحمد بن يحيى الحلي للسيد عز الدين بن علي المعروف بابن الأبرز برواية الكتاب في شعبان سنة ٦٥٥هـ.

إجازة للسيد محمد بن الحسن بن أبي الرضا العلوي جمال الدين بن أبي المعالي سنة٧٣٠هـ.

إجازة العلامة الحلي لبني زهرة في سنة ٧٢٣هـ.

إجازة فخر الدين محمد بن العلامة الحلي لابن مظاهر في سنة ٧٤١هـ.

إجازة شيخنا الشهيد الأول للشيخ ابن نجده سنة ٧٧٠هـ.

إجازة الشيخ علي بن محمد بن يونس البياضي صاحب الصراط المستقيم للشيخ ناصر بن إبراهيم البويهي الحساوي سنة ٨٥٢هـ.

إجازة الشيخ المحقق الكركي للمولى حسين الأسترابادي سنة ٩٠٧هـ.

إجازة المحقق الكركي للشيخ إبراهيم سنة ٩٣٤هـ.

إجازة المحقق الكركي للقاضي صفي الدين عيسى سنة ٩٢٧هـ.

إجازة الشهيد الثاني للشيخ حسين بن عبدالصمد العاملي سنة٩٤١هـ.

إجازة الشيخ حسن بن الشهيد الثاني (الكبيرة).

إجازة الشيخ أحمد بن نعمة الله بن خاتون للمولى عبدالله التستري سنة ٩٨٨هـ.

إجازة الشيخ محمد بن أحمد بن نعمة الله بن خاتون للسيد ظهير الدين الهمداني سنة ١٠٠٨هـ.

إجازة العلامة المجلسي الأول لتلميذه آقا حسين الخوانساري سنة ١٠٦٢هـ.

إجازة العلامة المجلسي الأول الكبيرة لولده العلامة المجلسي المؤرخة سنة ١٠٦٨هـ.

إجازة الشيخ صالح بن عبدالكريم للمولى محمد هادي بن محمد الشولستاني سنة١٠٨٠هـ.

إجازة العلامة المجلسي للسيد نعمة الله الجزائري سنة ١٠٩٦هـ.

إجازة العلامة المجلسي للسيد ميرزا إبراهيم النيسابوري في سنة ١٠٨٨هـ.

ما هي الحركة العلمية التي ولّدها كتاب نهج البلاغة؟

منها:

حفظه كحفظ القرآن: يقول العلامة الأميني رحمه الله في ترجمة الشريف الرضي في بيان كتبه ومؤلفاته: "نهج البلاغة: كان يهتم بحفظه حملة العلم والحديث في العصور المتقادمة حتى اليوم ويتبركون بذلك كحفظ القرآن الشريف. وعُدّ من حفظته في قرب عهد المؤلف القاضي جمال الدين محمد بن الحسين بن محمد القاساني فإنّه كان يكتب نهج البلاغة من حفظه... ومن حُفّاظه في القرون المتقادمة الخطيب أبو عبدالله محمد الفارقي المتوفى ٥٦٤هـ...، ومن حفظته من المتأخرين له العلامة الورع السيد محمد اليماني المكي الحائري المتوفى في الحائر سنة ١٢٨٠هـ...

ومنهم العالم المؤرخ الشاعر الشيخ محمد حسين مروة الحافظ العاملي. حكى سيدنا صدر الدين الكاظمي عن العلامة الشيخ موسى شرارة أنه كان يحفظ تمام قاموس اللغة وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد"[٤١].

كثرة الشروح عليه: قال العلامة الأميني: وقد توالت عليه الشروح منذ عهد قريب من عصره المترجم له بما يربو على السبعين شرحاً ثم إنه رحمه الله أشار إلى واحد وثمانين شرحا على نهج البلاغة، بادياً بشرح السيد علي بن الناصر المعاصر للسيد الرضي وأنهاه إلى شرح جواد فاضل"[٤٢].

هذا والحمد لله أولاً وآخر.

***

وهذه بعض الأسئلة استطراد نتطرق إليها حول مؤلف الشيخ الطبسي (حياة الإمام العسكري عليه السلام -دراسة تحليلية تاريخية علمية- نرفقها بهذا الحوار.

ما هو الهدف من تأليف هذا الكتاب؟

الجواب: يرجع تأليف هذا الكتاب (أي كتاب حياة الإمام العسكري عليه السلام) إلى ما قبل الثورة الإسلاميّة في إيران أي قرابة أربعين سنة، ونسأل الله التوفيق لتأليف حياة بقية العترة الطاهرة وإن قدّمنا من هذه الموسوعة لحد الآن حياة

الصدّيقة فاطمة عليها السلام وحياة الإمام الهادي عليه السلام والسبط الأكبر عليه السلام.

وأما الهدف من تأليف هذا الكتاب.

فأقول: لا شكّ أن تقديم هذا العمل وهذه الخدمات إلى العترة الطاهرة وإلى أولياء النعم لا يحتاج إلى تعقيب هدف خاص، حيث إنّ من أهمّ وظائفنا بيان فضائلهم وسيرتهم ليسير الناس بسيرتهم وينهجوا نهجهم، وهذا هو الهدف الوحيد.

ولكن الدواعي تختلف، فبعضها قويّة وبعضها ضعيفة، والذي قوّى عزمي وشدّ أزري وشوّقني إلى إنجاز هذا العمل ما تعرضت إليه في مقدّمة الكتاب وهو: (إنّ أحد الأقلام المأجورة كتب في إحدى المجلات الإيرانيّة التي كانت تُطبع قبل الثورة في طهران مقالاً واستهان بمقام الإمام العسكري عليه السلام بأنّه ليس له أيّ فضيلة ومقام وشأن سوى أنّه كان والد للحجة الغائب) فوا أسفاه من هؤلاء الخبثاء الذي لا يقلّ عددهم في كل عصر وزمان فإننا إلم نشك في نسبهم وطهارة مولدهم، فعلى الأقل نطمئنّ بخلل في عقلهم وإدراكهم.

فتأثّرت من هذا الكلام ومن سوء أدبه بالنسبة إلى الإمام عليه السلام فعزمت ليلتها على تأليف كتاب كاشف عن حقائق حياة هذا الإمام المظلوم.

* ما هو دور الإمام العسكري في تنوّع أدوار الأئمّة ووحدة هدفهم؟

إنّ ما هو ثابت تاريخيا أنّ لكل إمام دور خاص ومنهج معين كسكوت الإمام علي عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وقبول الصّلح من قبل الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وثورة الإمام الحسين عليه السلام بوجه الطّغاة من بني أمّية وهكذا بثّ العلوم والمعارف الإلهية من قبل الإمام الباقر والصادق عليهما السلام.

إلى أن أنتهى الأمر إلى الإمام العسكري عليه السلام، فاختلف دوره عن سائر الأئمّة من قبله وإن كان الهدف واحد .

كان دور الإمام في هذا الحصار الشديد -الذي واجهه من قبل الدولة العبّاسية في سامراء، هذا الحصار الذي كان يؤدي إلى سجن الإمام أكثر من

مرّة وهذا التضييق عليه ومنع النّاس من اللقاء- و مع الالتفات إلى كونه عليه السلام.

يعيش في أواخر عصر حضور الأئمة عليهم السلام -لأنّه بعد استشهاده في سنة ٢٦٠هـ وقعت الغيبة الصغرى ثم الكبرى وانقطاع الناس عن الإمام المعصوم- يتلخّص ضمن نقاط:

منها: الاحتجاب

فلذلك كان على الإمام العسكري أن يهيّئ الأجواء لعيش الشيعة مع عدم وجود إمام حاضر هذا الحضور الذي ألفه الناس طيلة ٢٦٠هـ، فأقدم الإمام على أمور لسدّ هذه الثغرة وإن كان صعب على الشيعة فقد إمامهم، كما عن أبي عبد الله عليه السلام قال: >كيف بكم إذا بقيتم بلا إمام هدى ولا علم يرى يبرأ بعضكم بعضاً<[٤٣].

ولذلك استخدم الإمام أسلوب الاحتجاب عن النّاس أكثر مما كان الإمام الهادي عليه السلام يحتجبه عن الناس في حياته، فلم يلتقي بهم إلا في الأيّام التي كان يخرج فيها بأمر المعتمد إلى لقائه أو ما يراه من المصلحة في بعض الأحيان بل ولم يظهر حتى لخواصّ شيعته على حدّ قول المسعوديّ بأنّه كان يكلّمهم من وراء الستر إلا في الأوقات التي يركب فيها إلى دار السلطان وأن ذلك كان منه ومن أبيه قبله مقدّمة لغيبة صاحب الزمان لتألف الشيعة ذلك ولا تنكر الغيبة وتجري العادة بالاحتجاب.

ومنها: إرجاع إلى الوكلاء

لا شك أن غياب المعصوم يولّد فراغ واسع ولذلك سدّ الإمام عليه السلام هذا الفراغ بتعيين الوكلاء ونظّمهم بالنظام الخاص وأرجع الناس والشيعة في البلدان الإسلامية إليهم.

فمن الوكلاء الذين عيّنوا من قبله عليه السلام إبراهيم بن عبدة النيسابوري، وأيوب بن نوح، وأيوب بن الباب، وأحمد بن إسحاق الرازي، وأحمد بن إسحاق

الأشعري القمي، وجعفر بن عمرو العمري، وعثمان بن سعيد العمري، وعلي بن جعفر العماني، والقاسم بن العلاء، ومحمد بن أحمد بن جعفر، ومحمد بن صالح بن محمد، ومحمد بن عثمان بن سعيد، وعروة بن يحيى.

ولقد عيّن العمري وكيلاً له كما كان قبل ذلك من وكلاء الإمام الهادي عليه السلام وأمر أحمد بن إسحاق الأشعري وغيره أن يطيعوه فيما يقوله ويفعله ويأمره قائلاً: >هذا أبو عمرو الثّقة الأمين ثقة الماضي وثقتي في الحياة والممات فما قاله لكم فعنّي يقول وما أدّى إليكم فعنّي يؤدي فاسمع له وأطع فإنّه الثّقة المأمون<.

لماذا تتّسم حياة الإمام العسكري بالغموض تاريخي ؟

لا شكّ في أنّ هذا الغموض التأريخي خيّم على حياة جميع الأئمة عليهم السلام ولا يختص بالإمام العسكري عليه السلام وحتى خيّم على حياة النبي صلى الله عليه وآله في كثير من أموره وقضاياه في ولادته حيث تعجّب كثير من المؤرّخين! ومنهم العلامة علي بن عيسى الإربلي في كشف الغمّة قائلاً: "إنّ اختلافهم في يوم ولادته سهل إذ لم يكونوا عارفين به وبما يكون منه وكانوا أمّيين لا يعرفون ضبط مواليد أبنائهم، فأمّا اختلافهم في موته فعجيب/ ولا عجب من هذا مع اختلافهم في الأذان والإقامة، بل اختلافهم في موته أعجب فإنّ الأذان وبما ادعى كلّ قوم أنهم رووا فيه رواية، فأمّا يوم موته فيجب أن يكون معيناً معلوما"(٤٤).

فإذا خيّم الغموض التاريخي حتى على حياة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الذي لم يعش تحت الحصار والظلم فكيف بالذي قضى كلّ حياته وحتى أيّام إقامته تحت الحصار والظلم القاسي الذي كان يعانيه من خلفاء بني العباس، ولقد قضى الإمام العسكري عليه السلام من حياته عشرين سنة في سامراء ولم يعرفه أحد حتى جملة من بني هاشم فكان عند أبيه ولكن لم يعرفه أحد فضلاً أن يعرفوه بالإمامة بعد أبيه، فبقي عليه السلام مجهول القدر في حياة أبيه وذلك لعلل ومصالح، منها حرص على حفظه من كيد الأعداء والحاقدين على الإسلام وعلى أهل البيت عليهم السلام.

والشاهد على ما نقول ما رواه لنا الكليني بسنده عن سعد بن عبدالله عن جماعة من بني هاشم منهم الحسن بن الحسين الأفطس أنّهم حضروا يوم توفي محمد بن علي بن محمد دار أبي الحسن عليه السلام وقد بسط له في صحن داره والناس جلوس حوله فقالوا قدرنا أن يكون حوله من آل أبي طالب ومن بني العباس وقريش مائة وخمسون رجلاً سوى مواليه وسائر الناس إذ نظر إلى الحسن بن عليّ عليه السلام وقد جاء مشقوق الجيب حتى قام عن يمينه ونحن لا نعرفه، فنظر إليه أبو الحسن بعد ساعة من قيامه ثمّ قال له: يا بنيّ أحدث لله شكر فقد أحدث فيك أمر ... فسألنا عنه فقيل لنا هذا الحسن بن علي ابنه وقدرنا له في ذلك الوقت عشرين سنة ونحوها، فيومئذ عرفناه وعلمنا أنّه قد أشار إليه بالإمامة وأقامه مقامه(٤٥).

ما هي كيفيّة علاقة الشيعة بالإمام وبالعكس؟

إنّ من أهمّ الدلائل من استدعاء الإمام الهادي عليه السلام إلى سامراء أو حبس الإمام الكاظم أو التضييق على أبناء الرضا منهم الجواد والهادي والحسن العسكري عليهم السلام هو فصل الأئمّة عن الناس وفصل الناس عن أئمّتهم، لئلا يكونوا بمحضرهم ويستفيدوا من علومهم، فكانوا عليهم السلام إما في سجن العباسيين وإمّا تحت الرقابة الشديدة من قبل النظام الغاصب.

فممّن اتفق له الحصار والسجن في أيّام إمامته في سامراء هو الإمام العسكري عليه السلام بحيث منعوا الناس من أن يلتقوا به، ولكن الإمام العسكري رغم هذه المضايقات من قبل العباسيين كان على اتصال دائم بين الشيعة ولكن بأساليبه المختصّة به التي منها:

إرسال الرسائل السرية

عن داوود بن الأسود -وكّاد حمّام أبي محمد- قال دعاني سيدي أبو محمد عليه السلام فدفع إليّ خشبة كأنّها رجل باب مدوّرة طويلة ملء الكف، فقال:

سر بهذه الخشبة إلى العمري. فمضيت فلما صرت إلى بعض الطريق عرض لي سقاء معه بغل فزاحمني البغل على الطريق فنادى السقاء: صح على البغل فرفعت الخشبة التي كانت معي فضربت البغل فانشقت فنظرت إلى كسرها فإذا فيها كتاب فبادرت سريعة فرددت الخشبة إلى كمّي فجعل السقاء يناديني ويشتمني ويشتم صاحبي فلمّا دنوت من الدار راجعة استقبلني عيسى الخادم عند الباب فقال يقول لك مولاي أعزّه الله: لم ضربت البغل وكسرت رجل الباب؟ فقلت له: يا سيدي لم أعلم ما في رجل الباب، فقال: ولم احتجت أن تعمل عملاً تحتاج أن تعتذر منه، إيّاك بعدها أن تعود إلى مثلها[٤٦].

حضور الإمام في بيوت الشيعة

إنّ الإمام العسكري عليه السلام كان يُعيّن أحياناً بيتاً من بيوت الشيعة في سامراء ويأمر الشيعة بالاجتماع هناك بعد صلاة العشاء ليلتقي بهم وكانوا يجتمعون هناك بأمره ويعرضون مشاكلهم ومسائلهم الشرعية.

المراسلات

كتب الإمام العسكري عليه السلام خلال حصاره في سامراء إلى الشيعة مئات من الكتب والرسائل إليهم وكان أبو الأديان البصري يحمل كتبه إلى المدن والأمصار[٤٧].

الإمام والإعداد العملي للإمام الحجة عليه السلام؟

أمّا دور الإمام بالنسبة إلى الإعداد العملي لغيبة الإمام الحجة عليه السلام فكانت كما يلي:

*كتمان ولادته

كان الإمام عليه السلام حريصاً على حفظ ولده منذ ولد فكان يكتم ولادته من كيد الأعداء، ولذلك كتب إلى أحمد بن إسحاق حينما بشّره بولادة الإمام المهدي أن يكتم ولادته. وقال: ولد لنا مولود فليكن عندك مستوراً وعن جميع الناس

مكتوم [٤٨].

وحتى أنّ عمّته حكيمة بنت الإمام الجواد مع مكانتها عند الإمام العسكري عليه السلام ما كانت تعلم بالحمل إلا ليلة النصف من شعبان. ولمّا دعاها إلى الإفطار وإلى أن تبقى وتبيت عنده لتحضر ولادة الحجة عليه السلام سألته وقالت: يا سيدي الخلف ممّن؟ قال: من سوسن[٤٩].

*عرض الإمام الحجة على جمع من أصحابه

إنّ الإمام العسكري عرض ولده الحجة في اليوم الثالث على بعض أصحابه، وقال: هذا صاحبكم من بعدي وخليفتي عليكم وهو القائم الذي تمتدّ إليه الأعناق بالأنظار فإن امتلأت الأرض جور وظلم خرج فملأها قسط وعدلاً[٥٠].

*التنصيص على إمامة الحجة عليه السلام

صرح الإمام العسكري عليه السلام في كثير من رواياته الصادرة عنه حضور وكتابة بإمامة ولده الحجة عليه السلام. قال: هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم أطيعوه ولا تتفرقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم[٥١].

*الاحتراز عن الخلاف بعده

وقال عليه السلام في كلام له يحذر أصحابه عن الخلاف من بعده قائلاً: كأنّي بكم وقد اختلفتم في الخلف مني أما إن المقر بالأئمّة بعد رسول الله المنكر لولدي كمن أقرّ بجميع أنبياء الله ورسله ثمّ أنكر نبوّة رسول الله صلى الله عليه وآله[٥٢].

*بيان غيبته

ومن الإعداد العملي للإمام الحجة عليه السلام هو بيان غيبته وقال في حديث له: أما إن له غيبة يحار فيها الجاهلون ويهلك فيها المبطلون ويكذب فيه الوقاتون ثم يخرج فكأنّي انظر إلى الأعلام البيض تخفق فوق رأسه بنجف الكوفة[٥٣].

ما هو الواقع الذي واصله العباسيون في حياة الإمام العسكري عليه السلام من

حيث التضييق والضغط على الإمام؟

إن من تصفح التاريخ يرى ما يعجب منه من هؤلاء الحاقدين والظلمة وأئمّة الجور بحق أهل بيت النبي صلوات الله عليهم أجمعين. فكأنّما النبي صلى الله عليه وآله أمرهم بإيذائهم والتضييق عليهم بأشدّ ما يكون فلو تابعنا كل ما حدث وجرى في عصر إمامة الإمام العسكري عليه السلام فقط لملئت الكتب من جرائم العباسيين.

وإليك قائمة بذكر الأحداث:

إلقاء القبض على العلويين وزجهم في السجون.

القضاء على ثورات العلويين.

استمرار الحصار على الإمام العسكري.

سجن الإمام العسكري في طوامير الخلفاء.

سجن الإمام عند أشخاص شديدي العداوة لآل رسول الله صلى الله عليه وآله.

أمر الحاجب وبقتل الإمام في الطريق.

أمر الإمام بركوب البغلة العاصية لقتله.

تهديد الإمام بين السّباع.

قتل الإمام بالسم.

الهجوم على بيت الإمام أيام مرضه.

تفتيش بيت الإمام.

إلقاء القبض على بعض جواري الإمام.

تفتيش الدور لإلقاء القبض على الإمام الحجة.

تهديد الشيعة بالسجن والقتل النفي.

***

الهوامش

(١) سماحة المحقّق الشيخ محمد جواد الطبسي حفظه الله تعالى، الحاصل على شهادة دكتوراه في الفقه والأصول من الحوزة العلمية، والمولود في التاسع من شهر ذي الحجة ١٣٧٢ هجري قمري الموافق ١٣٣١/١٢/٢٨ هجري شمسي في

النجف الأشرف في عائلة علمائية، فهو ابنٌ لآية الله العظمى الشيخ محمد رضا الطبسي قدس سره، الذي في سنة ١٣٤٥ هجري قمري هاجر من قم المقدسة إلى حوزة النجف الأشرف وأستفاد من محضر كبار العلماء من أمثال النائيني وآقا ضياء العراقي والسيد أبو الحسن الإصفهاني رحمهم الله تعالى.

وبدأ مشوار المؤلف في الدراسة في المدارس الرسمية إلى الصف السادس وبعد تشجيع وتحفيز والده لدراسة العلوم الدينية التحق في الحوزة العلمية في النجف الأشرف ثم انتقل إلى طهران من بعد رحيل الأخ الأكبر له المرحوم الشيخ محمد علي الطبسي في طهران ليسد مسده.

لذلك كان منذ صغره وشبابه مصاحبا والده لحرم المولى أمير المؤمنين عليه السلام من بعد أذان الصبح والذي كان يصلي في طريقه صلوات مستحبة ولذلك كان يشعر ويتأثر بالحالة المعنوية والعرفانية التي كانت عند والده، فضلاً عن الوصايا بالأذكار والأوراد التي كان يوصي بها.

إلى أن تعمم على يد والده في بداية العام ١٣٤٦ هجري شمسي في اليوم الأول من شهر فروردين.

وفي هذه السنين التي قضاها في الحوزة العلمية في النجف الأشرف درس على يد أساتذة مرموقين ومن جملة أوائل أساتذته ومربيه المرحوم والده الذي له الحق الكبير عليه في كل مراحل عمره والأب الرحيم. ومع ما لديه من انشغالات علمية وتأليف ودراسة وتدريس ومراجعات كثيرة لكنه لم يضيع الفرص في الليل والنهار ليهتم به إلى آخر لحظات عمره المبارك.

في أوائل شهر ذي القعدة سنة ١٣٥٠ تم اعتقال سماحة المحقق الشيخ محمد جواد الطبسي حفظه الله مع مجموعة من العلماء وتسفيرهم من قبل النظام البعثي، وعليه ذهب إلى قم المقدسة وواصل الدراسة فيها عند كبار الأساتذة في المراحل المختلفة ومنهم:

سماحة آية الله العظمى السيد كاظم الحائري.
سماحة السيد محسن الموسوي التبريزي.
سماحة آية الله العظمى الشيخ جواد التبريزي.
سماحة آية الله العظمى الشيخ هاشم الآملي.
سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد فاضل اللنكراني.
سماحة آية الله العظمى السيد شهاب الدين المرعشي النجفي.
سماحة آية الله العظمى السيد أبو القاسم الكوكبي.
سماحة آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.
سماحة آية الله العظمى الشيخ جعفر السبحاني.

سماحة آية الله العظمى الوحيد الخراساني.

من مؤلفاته:

الـزواج الموفـق، قـم عاصمـة الحضـارة الشـيعية، حيـاة الصديقـة فاطمـة دراسـة وتحليـل، حيـاة الإمـام الهـادي عليه السلام، الإمـام المهـدي المصلـح العالمـي المنتظـر، الرؤيـا والأحـلام مـن منظـور النبـي والإمـام.

(٢) معارج نهج البلاغة، ابن زيد البيهقي، ص٣.
(٣) مصادر نهج البلاغة و أسانيده. السدي عبدالزهراء الخطيب. ص ١٠٨.
(٤) م ن، ص١٠٨.
(٥) م ن، ص١٠٨.
(٦) م ن، ص١٠٩.
(٧) م ن، ص١٠٩.
(٨) م ن، ص١١٤.
(٩) م ن، ص١١٦.
(١٠) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١٠، ص ١٢٧-١٢٩.
(١١) انظر مقدّمة الشيخ العطاردي على استناد نهج البلاغة ص ٧.
(١٢) معجم رجال الحديث ج١٦,ص١٩.
(١٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١، ص٣٣-٣٤.
(١٤) حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، قطب الدين البيهقي، ج١، ص٢٧.
(١٥) شرح نهج البلاغة، محمد عبده. ص١٥.
(١٦) نهج البلاغة (المقدمة)، ص١و٢.
(١٧) انظر جامع الرواة ج١ ص٣٧٤.
(١٨) مروج الذهب للمسعودي ج٢ ص ٣٦.
(١٩) م ن، ص,١٥٠.
(٢٠) بحار الأنوار ج ١٣، ص١٧٢.
(٢١) م ن، ص,٢١٩.
(٢٢) البحار ج ١٣، ص١٧١.
(٢٣) تذكرة الخواص ص١١٧.
(٢٤) مستدرك الوسائل، ج١١، ص٣٧٨.
(٢٥) تذكرة الخواص ص١٢٢.
(٢٦) تذكرة الخواص ص ١١٤.
(٢٧) فهرست ابن النديم ص ١٤٠.
(٢٨) رجال النجاشي ٣٠١.

(٢٩) فهرست ابن النديم ١٤٩.
(٣٠) رجال النجاشي، ص٢٤٧.
(٣١) الفهرست ص١٦.
(٣٢) انظر مروج الذهب ج٢، ص٢٩.
(٣٣) رجال النجاشي ص١٨٦.
(٣٤) فهرست الطوسي ص١٩.
(٣٥) انظر الفهرست ص١٤٨.
(٣٦) رجال النجاشي، ص٢٦.
(٣٧) الفهرست لابن النديم، ج١، ص١٢٢.
(٣٨) رجال النجاشي ص٢٩٥.
(٣٩) فهرست الطوسي ص١١.
(٤٠) فهرست الطوسي ١٣.
(٤١) الغدير، الأميني، ج٤، ص٢٧٤.
(٤٢) انظر موسوعة الغدير ج ٤، ص٢٥٧- ٢٦٥.
(٤٣) الغيبة للطوسي، ص٣٤١.
(٤٤) كشف الغمة ج١ ص ١٤.
(٤٥) الكافي، الكليني، ج١، ص٣٢٦.
(٤٦) المناقب، ابن شهر آشوب، ج٤، ص٤٢٧.
(٤٧) كمال الدين لصدوق، ج٢، ص٤٧٥.
(٤٨) كمال الدين لصدوق، ج٢، ص٤٣٤.
(٤٩) الغيبة للطوسي، ص٢٣٥.
(٥٠) كمال الدين، لصدوق، ج٢، ص٤٣١.
(٥١) كمال الدين، لصدوق، ج١، ص٤٤.
(٥٢) كمال الدين، لصدوق، ج٢، ص٤٠٩.
(٥٣) إعلام الورى، الطبرسي، ص٤٤٢.

بعض واجبات الحاكم

كماشرحها ابن ميثم البحراني

الشيخ جاسم بدر المطوع

مقدمة

لا يتردّد مطّلع على تاريخ الأمّة الإسلامية في أنّها اختلفت في تحديد الولاة والحكام، وأنّ المذاهب تعدّدت في صفات الحاكم الذي يحكم المسلمين وشروط شرعية حكمه، وللمسلمين من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام رؤيتهم التي تلقوها عن أئمتهم عليهم السلام، وقد فصّل في بيان هذه الرؤية العلماء فكانت مصنفاتهم الخاصة بالمسألة فيها ما يروي الغليل ويشفي العليل، فضلاً عن ما ذكروه في مطاوي الكتب والمؤلفات.

ولعلماء هذه المدرسة في البحرين وفي مختلف العصور جهودهم المباركة في هذا الباب، والمطالع لفهارس مصنفاتهم يتضح له ذلك بوضوح وبما لا يدع مجالاً للشك في أنهم قد بالغوا في ذلك مما أثمر حضور كبيرا للمفهوم -الذي طرحه المعصوم- في نفوس عامة أهل البحرين من أتباع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم.

ومع ذلك انبرى بعض من الطائفيين ومن لا معرفة لهم

بالتاريخ مشكك ومدلّس بجهد محموم للتشويش على هذه العقيدة والرؤية الصافية التي ورثها أبناء البحرين بدماء الأئمة والعلماء، ومن الأفكار التي يحاول غرسها في ذهن المجتمع البحراني فكرة أن الحاكم الذي يتسلط على البلاد بالغلبة والقهر له ولاية إلهية وأنه من أولي الأمر المفروضة طاعتهم، ومع أن هذه الفكرة لا يمكن لها أن تنبت في تربة كتربة البحرين الولائية بامتياز إلا أنّهم يصرون على أنّ المفهوم الحاضر للحاكم في أذهان الناس هو مفهوم غريب عن البحرين وأنه مستورد من إيران أو غيرها.

ولذلك اخترت أن أستحضر من تراث علماء البحرين بعض ما دُون في هذه المسألة ووقع الاختيار على شرح نهج البلاغة للعالم الرباني الشيخ ميثم البحراني[1] قدس سره، لما لهذا السفر من قيمة علمية راقية باعتراف مختلف علماء المسلمين -من كان منصف منهم- ولكون الشيخ شمس ساطعة لا يمكن أن يُنكر انتماؤه للبحرين وأنّه من أعلام علماء شيعة أهل البيت عليهم السلام في القرن السابع الهجري، وهي فترة زمنية سابقة لانتشار مذهب أهل البيت عليهم السلام في إيران، مما سيبيّن بجلاء أنّ ما يعتقد به شيعة أهل البيت عليهم السلام في البحرين اليوم هو إرث علمي ضارب بجذوره تاريخي وقد توارثه أهل أوال عبر قرون من الزمن.

والمطالع لما بيّنه الشيخ ميثم في شرحه هذا لا يستطيع أن يفصله عن بيانات أمير المؤمنين عليه السلام، فيتم لنا بيان ارتباط الرؤية الإجمالية التي يحملها البحارنة بما أسّسه الأئمة المعصومون من أهل بيت النبي ^ ، ومن الواضح أنه في هذه العجالة لا يمكن أن يستقصى كلُ ما ذكره الشيخ في شرح كلمات أمير المؤمنين عليه السلام المتعلقة بالحاكم والوالي وإنّما يكتفى بنماذج مختارة مما يساعد في توضيح مدى البون الشاسع بين حال المتسلطين على رقاب أبناء الأمّة والحال الذي رسمه الإسلام للحاكم على المسلمين.

النموذج الأول: من أوامره لمالك الأشتر

عهد أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشتر من أهم الوثائق التي ورثها المجتمع الإنساني حول إدارة الحكم، وقد أودع فيه كنوز ما زالت البشرية تحتاج إليها وأعناق المستضعفين تشرئب نحوها، وصفه الشريف الرضي & بقوله: "أطول عهد وأجمع كتبه للمحاسن"[٢]، وأجاد الشيخ ميثم قدس سره في شرح وبيان هذا العهد وذكر فيه ما لا غنى لحاكم -يريد صلاح نفسه ورعيته- عنه، ونحن نذكر بعض ما انتخبناه من درر هذا الشرح والله الموفق.

تقوى الله وطاعته:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وإِيْثَارِ طَاعَتِهِ، واتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ: مِنْ فَرَائِضِهِ وسُنَنِهِ... وأَنْ يَنْصُرَ اللَّه سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ ويَدِهِ ولِسَانِهِ... وأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ، ويَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ...»[٣].

وقال البحراني قدس سره: "تقوى الله وخشيته، وقد سبق بيان كونها أصلا لكلّ فضيلة"[٤]. تقدم من الشيخ بيان هذا في عدة مواضع فما أكثر الموارد التي ذكر فيها أمير المؤمنين عليه السلام التقوى ومنها قوله: «فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ، وذَخِيرَةُ مَعَادٍ، وَعِتْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ، وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ، بِهَا يَنْجَحُ الطَّالِبُ، وَيَنْجُو الْهَارِبُ، وَتُنَالُ الرَّغَائِبُ»[٥]، والأمر بتقوى الله وطاعته هنا إجمالي سيفصله بأوامر متعددة لاحقة ، وعلى كل حال فلا يخفى ما لتقوى الله سبحانه من أثر كبير في سلوك الإنسان، وأنّها أقوى رادع له عن مخالفة القوانين وهي التي تحافظ على انسجام باطن الإنسان وظاهره، فلا يأتي في السر ما يرفضه في العلن؛ لما يستشعره المتّقي من رقابة الله عليه. ولا يمكن أن تُضمن مراعاة الأوامر اللاحقة إلا من المتّقي الحقيقي فغيره تمنعه أغلال الشهوات من طاعة الله سبحانه ولذلك أمر بالعفة عنها، قال الشيخ قدس سره: «أن يكسر من نفسه عند الشهوات. وهو أمر بفضيلة العفّة ... [أي] أن يكفّها ويقاومها عند الجمحات. وهو أمر بفضيلة الصبر عن اتّباع الهوى... [وهو بذلك] ينصر الله سبحانه بيده وقلبه ولسانه في جهاد

العدوّ وإنكار المنكرات...»[٦]. لا لحاجة من الله سبحانه وإنّما لما في ذلك من خير للحاكم والأمّة، ولا يخفى على مطالع لتاريخ المسلمين ما حاق بأمّة الإسلام من الضعف والهوان والانسلاخ عن قيم الرسالة المحمدية، حتى قال بعضهم أنه يرى في بلاد الإسلام مسلمين بلا إسلام، قد تفشى فيهم الفساد والظلم واصطلمهم الأعداء وصاروا كغثاء السيل وزبده، حيث زهد حكام المسلمين في التقوى واتبعوا الشهوات وضيعوا كتاب الله.

تقديم عبادة الله:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «واجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وبَيْنَ اللَّهِ أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ، وأَجْزَلَ تِلْكَ الأَقْسَامِ، وإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلَّهِ إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا النِّيَّةُ، وسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ.

ولْيَكُنْ فِي خَاصَّةِ مَا تُخْلِصُ بِهِ لِلَّهِ دِينَكَ: إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ، الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةً، فَأَعْطِ اللَّهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ ونَهَارِكَ، ووَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ كَامِلًا غَيْرَ مَثْلُومٍ ولَا مَنْقُوصٍ، بَالِغاً مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ ...»[٧].

قال الشيخ قدس سره: «أن يجعل لنفسه في معاملته لله أفضل تلك المواقيت أي الأوقات المفروضة للأفعال، وأجزل أقسام الأفعال الموقّتة، فأفضلها أبعدها عن الشواغل الدنيويّة وأقربها إلى الخلوة بالله سبحانه، ونبّه ... على أن أصلح الأعمال أخلصها لله ... [و] أن يكون في خاصّة ما يخلصه لله في دينه إقامة فرائضه فيخصّها بمزيد عناية منه ورعاية ... [و] أن يعطي الله من بدنه في ليله ونهاره: أي طاعة وعبادة ... [و] أن يوفّى ما تقرّب به إلى الله من ذلك...»[٨].

روي عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: «فِي التَّوْرَاةِ مَكْتُوبٌ: يَا ابْنَ آدَمَ، تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي؛ أَمْلأْ قَلْبَكَ غِنًى، ولا أَكِلْكَ إِلى طَلَبِكَ، وعَلَيَّ أَنْ أَسُدَّ فَاقَتَكَ، وَأَمْلأْ قَلْبَكَ خَوْفاً مِنِّي ...»[٩]. ويتضح منه أهمية أن يخصص الحاكم المسلم وقت مختص بالعبادة، فإنّ أحد أهم أسباب جور الحكام على الرعايا هو طمعهم وشح أنفسهم،

وحيثما تفرغوا للعبادة ملأ الله قلوبهم بالغنى والقناعة؛ فينصرفوا لخدمة رعاياهم وإصلاح أمر ممالكهم، والمراد بالعبادة هنا -كما يظهر بأيسر النظر- العبادات الخاصة المنصوصة من الصلاة والدعاء والمناجاة وقراءة القرآن، وإن كانت عامة أفعال الإنسان تكون عبادة إذا قصد بها وجه الله وسلمت من موانع القبول، وكذلك فإن ما تورثه العبادة من خشية الله خير المعين على التقوى التي تقدم الحديث عنها.

التحكم بالهوى:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**فَامْلِكْ هَوَاكَ وشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ**»(١٠).

هذا الأمر من الأوامر المفصلة بعد ما أجمله سابقا من الأمر بالتقوى، وفيه يأمر الحاكم بحفظ نفسه عن أن يهلكها الهوى، قال الشيخ قدس سره: "أن يملك هواه في شهوته وغضبه فلا يتّبعهما، ويشحّ بنفسه عمّا لا يحلّ لها من المحرّمات... تفسير لذلك الشحّ بما يلازمه وهو الإنصاف والوقوف على حدّ العدل في المحبوب فلا تقوده شهوته إلى حدّ الإفراط فيقع في رذيلة الفجور، وفي دفع المكروه فلا يقوده غضبه إلى طرف الإفراط من فضيلة العدل فيقع في رذيلة الظلم والتهوّر. وظاهر أنّ ذلك شحّ بالنفس وبخل بها عن إلقائها في مهاوي الهلاك."(١١)

الهوى من أخطر الأعداء على النفس فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**احذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم فليس شيء أعدى للرجال من اتباع أهوائهم...**»(١٢)، والروايات في هذا المعنى كثيرة وضرر اتباع الهوى لا يحيق بالنفس فقط بل يتعداها للغير ممن تؤثر خيارات الإنسان في حياتهم ولا شك في أنّ تأثير الحاكم أوسع من تأثير غيره، وحاكم يملكه هواه يفْجر ويطغى وتاريخ البشرية حافل بالنماذج التي ذبحت فيها إنسانية البشر بسبب أهواء الحكام والولاة.

الرحمة للرعية:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**وأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، والْمَحَبَّةَ لَهُمْ، واللُّطْفَ**

بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ...»[١٣].

قال الشيخ قدس سره: «أن يشعر قلبه الرحمة للرعيّة والمحبّة واللطف بهم. وهي فضائل تحت ملكة العفّة: أي اجعل هذه الفضائل شعار لقلبك...»[١٤]، الشعار: ما استشعرت به من اللباس تحت الثياب. سمّي به لأنه يلي الجسد دون ما سواه من اللباس[١٥]، فالمطلوب من الحاكم أن تكون الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم لباس قلبه، وإذا كان هذا حاله فلن يظلمهم ولن يعتدي عليهم وسيراعي مصالحهم وهذا حقهم فلن يكون في الرعية إلا أحد اثنين إما أخ في الدين والعقيدة وإما نظير في الخلق، وحيث يصدر منهم خطأ أو تقصير مقتضٍ للعقوبة -وهذا هو المتوقع إذ ليسوا معصومين- فيكون علاجه بالمحبة واللطف لا بالانتقام والتشفي.

العفو والصفح:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وصَفْحِكَ ...»[١٦].

قال الشيخ قدس سره: "أن يعفو ويصفح عنهم، وهو فضيلة تحت الشجاعة... وفي أمره بإعطاء العفو مثل الذي يجب أن يعطيه الله من عفوه أتمّ ترغيب في العفو وأقوى جاذب إليه، وكذلك قوله: «فإنّك فوقهم، إلى قوله: وابتلاك بهم» تخويف من الله في معرض الأمر بالعفو واللطف ..."[١٧]، تقدم أنّه ليس أحد من الرعية فوق أن يخطئ أو يزل، والمطلوب من الحاكم أن يعفو ويصفح ملاحظ أنّه أيض ليس فوق أن يخطئ وهو طالب عفو الله عن خطئه -وإن كان فوق الحاكم والي فهو بحاجة لعفوه عند التقصير أيض - والمطلوب أن يترافق ذلك مع العدل والإنصاف لا أن يكون وفق الهوى؛ فقد تقدم الأمر بالتحكم فيه، ولا يخفى أهمية ذلك مع وجود الشواهد العديدة على تحكّم الهوى في حالات عفو الحكام عن المقربين والمتنفذين وتغليظهم العقوبة على المستضعفين، بل قد يشاهد العفو عن

المجرمين المفسدين في الأرض بينما يبقى المطالبون بالإصلاح في السجون.

ترك الغلظة:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ ...»[١٨].

قال الشيخ قدس سره: "نهاه أن ينصب نفسه لحرب الله. وكنّى بحربه عن الغلظة على عباده وظلمهم ومبارزته تعالى فيهم بالمعصية ... وكنّى بعدم اليدين عن عدم القدرة، يقال: ما لي بهذا الأمر يد، إذا كان ممّا لا يطاق ..."[١٩]، الغِلْظَةُ، ضد الرقة في الخَلْق والطَّبْع والفِعْل والمَنْطق والعَيْش وَنَحْو ذلك ... ورَجُلٌ غَليظٌ، أي فَظ، ذُو قَساوة. ورَجُلٌ غَليظُ القَلْبِ، أي سَيّء الخُلُق. وأَمْرٌ غَليظٌ: شَديدٌ صَعْبٌ[٢٠]، يتذرع الظالم من الحكام بالقوانين ليبطش بالضعفاء والمقهورين فهو شديد غليظ لا يأخذ أحدهم برخصة في الوقت نفسه الذي يغض النظر عن أهل الحظوة عنده ويتساهل في عقوبتهم، وهذا محاربة لله عز وجل حيث إنّه أمر بالعدل، وليس غريب عنك أخذ المضطهدين بالتهمة والظن، والعفو عن المجرمين بدعوى غياب البينات والأدلة، كل ذلك غفلة عن نظر الله وإهمالا لوعيده.

التحكم في القوة الغضبية:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ولا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ، ولا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ، ولا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً»[٢١].

قال الشيخ قدس سره: "نهاه عن الندم على العفو، وعن التبجّح بعقوبة الغير والتسرّع إلى الغضب الذي يجد منه مندوحة. فإنّ ذلك كله من لوازم إعطاء القوّة الغضبيّة قيادها. وقد علمت أنّها شيطان تقود إلى النار"[٢٢]، هنا ثلاثة أمور نهى عنها الإمام عليه السلام وقد تعلقت بلجم جماح القوة الغضبية وذلك لأن "الأفعال المنسوبة إلى دفع المضرة كدفاع الإنسان عن نفسه وعرضه وماله ونحو ذلك ... هي الصادرة عن المبدأ الغضبي"[٢٣]، أما كيف ارتبطت الأمور الثلاثة بالقوة الغضبية فتفصيله:

أما العفو فهو من فضائل القوة الغضبية وقد ذكر علماء الأخلاق أنه ضد

للانتقام وهذا نتيجة للغضب حيث إنّ "قوة الغضب تتوجه عند ثورانها إما إلى دفع المؤذيات إن كان قبل وقوعها، أو إلى التشفّي والانتقام إن كان بعد وقوعها"[٢٤]، والندم على العفو إما لاستعار نار الانتقام وإما لسوء الظن بالمعفو عنه وإما للخوف منه أو من العفو وكلها من رذائل القوة الغضبية.

وأما التبجح بالعقوبة، فالتبجح بالشيء هو الفخر به[٢٥]، والفخر بعض أصناف التكبر وهذا من رذائل القوة الغضبية[٢٦].

وأما التسرع فهو العجلة وهي من رذائل القوة الغضبية كذلك[٢٧]، وهو هنا التسرع إلى الغضب فكأنه صب الزيت على النار. و<**الْبَادِرَةُ: ما يَبْدُرُ من حدة الرجل عند الغضب**>[٢٨].

وفي موضع آخر من عهده هذا أيض قال الأمير عليه السلام: «**امْلِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ، وسَوْرَةَ حَدِّكَ، وسَطْوَةَ يَدِكَ، وغَرْبَ لِسَانِكَ، واحْتَرِسْ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ بِكَفِّ الْبَادِرَةِ وتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ ...**»[٢٩].

وهناك قال الشيخ قدس سره: "أمره أن يملك حميّة أنفه: أي أنفته ممّا يقع من الأمور المكروهة، وسورة حدّه، وحدّة لسانه وملكه لهذه الأمور إنّما يكون بالاحتراس عن تعدّى قوّته الغضبيّة ووقوفه في فعلها على حاقّ الوسط بحيث لا يعبر فيها إلى حدّ الإفراط فيقع في رذيلة التهوّر ويلزمه في تلك الرذيلة الظلم ... [حيث] أمره بالاحتراس من تلك الأمور وأرشده إلى أسبابه وهو كفّ البادرة وتأخير السطوة إلى حين سكون الغضب ليحصل له بذلك الاختيار في الفعل والترك الذي عساه مصلحة ..."[٣٠].

وكم يؤسف لحال الأمّة الإسلامية وأنت ترى القرارات الانفعالية والعقوبات الانتقامية التي تصدر بدون رويّة وتؤدي إلى جرائم يندى لها جبين البشرية، ويوصم بها الإسلام الذي حكم بالحلم والعفو وساد بهما.

نزع الحقد:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ ...**»[٣١].

قال الشيخ قدس سره: «أمره بنزع الحقد وعقد ما عقده في قلبه منه لكونه من الرذائل الموبقة وأن يقطع أسبابه من قبول السعاية وأهل النميمة»[٣٢]

الحقد ثمرة للغضب فـ>الغضب إذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال، رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا<[٣٣]، والعقدة من قولهم: «عَقَدَ قلبه على شيء: لم ينزع عنه»[٣٤]، ومن المهم أن يحرص الحاكم على نزع الحقد من قلبه طلبا لراحة نفسه، أولاً: حيث إنّ الروايات في كون نفس الحقود معذبة كثيرة، منها ما روي عن الإمام العسكري عليه السلام: «أَقَلُّ النَّاسِ رَاحَةً الْحَقُود»[٣٥]، وثانيا: أن في ذلك نزعا للحقد من قلوب الرعية نحوه، ويدل عليه قول أمير المؤمنين عليه السلام: «احْصُدِ الشَّرَّ مِنْ صَدْرِ غَيْرِكَ بِقَلْعِهِ مِنْ صَدْرِك»[٣٦]، وما أحوج أمّة الإسلام لتآلف القلوب خصوصا بين الحاكم ورعيته فإنّه لا يمكن أن تتقدم البلاد بدون ذلك.

عدم الاغترار بالسلطة:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ ...»[٣٧].

قال الشيخ قدس سره: "نهاه أن يأمر بما لا ينبغي الأمر به ويخالف الدين، ونهى عن ما عساه يعرض في النفس من وجوب طاعة الخلق لإمرته فإنّ عليهم أن يسمعوا وعليه أن يأمر فإنّ ذلك فساد في القلب والدين، ... وهو من وجوه ثلاثة:

أحدها: أنّه إدغال في القلب وصرف له عن دين الله، وهو معنى إفساده.

الثاني: أنّ ذلك منهكة للدين وإضعاف له.

الثالث: إنّه مقرّب من الغِيَر لكون الظلم من أقوى الأسباب المعدّة باجتماع همم الخلق على زواله، وإليه الإشارة بقوله تعالى «إِنَّ الله لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ»[٣٨]..."[٣٩].

وما أسهل اغترار ذوي السلطة بسلطانهم وكم شهدت بلاد المسلمين النكبة تلو النكبة بسبب مُحْدَثي السلطة الذين يصدرون القرارت والأوامر بلا معرفة أو

دراسة وبلا مشاورة أهل الخبرة، فتكون النتيجة أن تخسر الأمّة قدراتها ما دامت في سلطانهم لا يرعوون ولا يرتدعون.

النظر لعظمة الله:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وَ إِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أَوْ مَخِيلَةً، فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ ...»(٤٠).

قال الشيخ قدس سره: "أرشده إلى دواء داء الأُبهة والكبر الذي عساه يعرض له في سلطانه وولايته، وذلك أن ينظر إلى عظمة الله تعالى فوقه وقدرته على ما لا يملكه من نفسه ولا يستطيعه جلباً لها، أو دفعاً عنها فإنّ ذلك يسكن داء الكبر الذي يحدث له فيطفيه ويكسر حدّة غضبه ويردّه إليه ما قهرته قوّته الغضبيّة من عقله فغرب عند جماحها..."(٤١).

بيّن الأمير عليه السلام وتبعه الشارح + العلاج العلمي للكبر، فالقوة الغضبية عندما تسيطر على النفس وتأخذها للتكبر في جانب الإفراط تعالج علميا بمثل ما ذكر مما يعرّفها بحجمها الحقيقي.

الحذر من التجبر والعجب:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إِيَّاكَ ومُسَامَاةَ اللَّهِ فِي عَظَمَتِهِ والتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ ...»(٤٢).

قال الشيخ قدس سره: "حذّره عن التعظيم والتجبّر، ونفّر عن ذلك بكونهما مساماة وتشبّها به، وبأنّ التكبّر يستلزم أن يذلّ الله صاحبه ويهينه. وتقدير الاحتجاج: فإنّك إن تجبّرت واختلت يذلك الله ويهينك ..."(٤٣).

والأمثلة على إذلال الله عز وجل للطغاة كثيرة في التاريخ وهي بمرأى لمن أراد الاعتبار، هذا في الدنيا وأما في الآخرة فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: <الْكِبْرُ رِدَاءُ اللَّهِ؛ فَمَنْ نَازَعَ اللَّهَ شَيْئاً مِنْ ذلِكَ، أَكَبَّهُ اللَّهُ فِي النَّارِ>(٤٤).

وفي موضع آخر من العهد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وإِيَّاكَ والإِعْجَابَ

بِنَفْسِكَ ... فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ، لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِين»[٤٥].

قال الشيخ قدس سره: "حذّره الإعجاب بنفسه، والثقة بما يعجبه منها، وحبّ الإطراء.

والأخيران سببان لدوام الإعجاب ومادّة له ...

وقوله: «ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين». يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه لمّا كان الإعجاب من الهلكات لم ينفع معه إحسان المحسن فإذا تمكن الشيطان من الفرصة وزيّن الإعجاب للإنسان وارتكبه محقّ لذلك ما يكون له من الإحسان.

والثاني: إنّ المعجب بنفسه لا يرى لأحد عنده إحساناً فيكون إعجابه ماحقاً لإحسان من أحسن إليه، ولمّا كان مبدئ الإعجاب هو الشيطان كان الماحق لإحسان المحسن أيضاً هو الشيطان فلذلك نسبه إليه ...»[٤٦].

إنصاف الله والناس:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أَنْصِفِ اللَّه وأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ ...»[٤٧].

قال الشيخ قدس سره: "أمره بإنصاف الله وإنصاف الناس من نفسه وأهل هواه من رعيّته، فإنصاف الله العمل بأوامره والانتهاء عن زواجره مقابلاً بذلك نعمه، وإنصاف الناس العدل فيهم والخروج إليهم من حقوقهم اللازمة لنفسه ولأهل خاصّته ..."[٤٨].

«الإِنْصَاف: إعطاء الحق»[٤٩]، ومن حق الله المنعم -على عباده بنعم جلت عن أن تحصى- أن تشكر نعمه، وليس لعاقل أن يظن المقدرة على شكر نعم الله سبحانه فلا أقل من عدم معصية الله بنعمه فإنّ ذلك من قبيح الإثم، ولا يظنن أحد أن بالله عز وجل حاجة لشكر الشاكرين فـ ﴿مَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[٥٠]. وسيأتي حديث حول العدل الذي هو إنصاف الناس ويدل على ذلك غير ما تقدم قول الأمير في موضع آخر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ والْإِحْسانِ﴾[٥١]، «العدل: الإنصاف، والإحسان: التّفضّل»[٥٢].

حب العدل:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ولْيَكُنْ أَحَبَّ الأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ، وأَجْمَعُهَا لِرِضَا الرَّعِيَّةِ ...**»(٥٣).

قال الشيخ قدس سره: "أمره أن يكون أحبّ الأمور إليه أقربها إلى حاقّ الوسط من طرفي الإفراط والتفريط وهو الحقّ، وأعمّها للعدل، وأجمعها لرضاء الرعيّة فإنّ العدل قد يوقع على وجه لا يعمّ العامّة بل يتّبع فيه رضاء الخاصّة، ونبّه على لزوم العدل العامّ للرعيّة وحفظ قلوب العامّة وطلب رضاهم بوجهين:

أحدهما: أنّ سخط العامّة لكثرتهم لا يقاومه رضاء الخاصّة لقلتهم، بل يجحف به ولا ينتفع برضاهم عند سخط العامّة، وذلك يؤدّي إلى وهن الدين وضعفه أمّا سخط الخاصّة فإنّه مغتفر ومستور عند رضاء العامّة فكان رضاهم أولى.

الثاني: أنّه وصف الخاصّة بصفات مذمومة تستلزم قلة الاهتمام بهم بالنسبة إلى العامّة، ووصف العامّة بصفات محمودة توجب العناية بهم ..."(٥٤).

لا شك في أنّ إقامة العدل مع المحافظة على رضا العامة والخاصة من خير الأمور إلا أنه مما لا يكاد يكون ممكنا لما يوجد في نفوس البشر من الأثرة وحب الحظوة، فإذا دار الأمر بين تضييع العدل وإقامته فإقامته أولى وهو ما ينبغي أن يكون عليه الحاكم حذر من أن ينطبق عليه قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ أَمِيرٌ مُتَسَلِّطٌ لَمْ يَعْدِلْ ...**»(٥٥)، كما أن العدل يكون ببسط العطاء للجميع وتنفيذ القانون على الكل، إلا أن بعض الحكام قد يجنح بإعطاء الخاصة حقوقهم وتنفيذ القانون عليهم وفي الوقت نفسه يحرم العامة من العطاء ويحيف عليهم حين القضاء وليس هذا من الخير في شيء، وليس بعيد عنك ما تمارسه بعض السلطات من منع المعارضين لها حقوقهم وإعطاء الحقوق الموالين لها وهذا بما ذكرناه شبيه ولعله هو مراد الشارح بقوله:"فإنّ العدل قد يوقع على وجه لا يعمّ العامّة بل يتّبع فيه رضاء الخاصّة". والله العالم.

توزير الأخيار:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً ... وأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلَفِ ... مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِماً عَلَى ظُلْمِهِ ...»[٥٦].

قال الشيخ قدس سره: "لمّا كان من الأعمال الصالحة اختيار الوزراء والأعوان نبّهه على من لا ينبغي استصلاحه لذلك ليجتنبه ومن ينبغي ليرغب فيه، فمن لا ينبغي هو من كان للأشرار من الولاة قبله وزيراً ومشاركاً لهم في الآثام، ونهاه عن اتّخاذه بطانة وخاصّة له ...

وقوله: «ممّن له مثل آرائهم» تميز لمن هو خير الخلف من الأشرار وهم الذين ينبغي أن يستعان بهم، وبيان لوجه خيريّتهم بالنسبة إلى الأشرار، وهو أن يكون لهم مثل آرائهم ونفاذهم في الأمور وليس عليهم مثل آصارهم ولم يعاون ظالماً على ظلمه.

ثمّ رغب في اتّخاذ هؤلاء أعواناً ... أمّا أنّهم أخفّ مؤونة فلأنّ لهم رادعاً من أنفسهم عمّا لا ينبغي لهم من مال، أو حال فلا يحتاج في إرضائهم أو ردعهم ممّا لا ينبغي إلى مزيد كلفة بخلاف الأشرار والطامعين فيما لا ينبغي، وبحسب قربهم إلى الحقّ ومجانبتهم للأشرار كانوا أحسن معونة وأثبت عنده قلوباً وأشدّ حنوّاً عليه وعطفاً وأقلّ لغيره إلفاً، ... ثمّ ميّز من ينبغي أن يكون أقرب هؤلاء إليه وأقواهم في الاعتماد عليه بأوصاف أخصّ:

أحدها: أن يكون أقوَلُهم بمرّ الحقّ له.

الثاني: أن يكون أقلهم مساعدة له فيما يكون منه ويقع من الأمور التي يكرهها الله لأوليائه...

ثمّ أمره في اعتبارهم واختيارهم بأوامر:

أحدها: أن يلازم أهل الورع منهم والأعمال الجميلة وأهل الصدق، وهما فضيلتان تحت العفّة.

الثاني: أن يروضهم ويؤدّبهم بالنهي عن الإطراء له، أو يوجبوا له سروراً بقول ينسبونه فيه إلى فعل ما لم يفعله فيدخلونه في ذمّ قوله تعالى: «وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا

لَمْ يَفْعَلُوا» ...[٥٧].

الثالث: نهاه أن يكون المحسن والمسيء عنده بمنزلة سواء ... وسرّه أنّ أكثر فعل الإحسان إنّما يكون طلباً للمجازاة بمثله خصوصاً من الولاة وطلبا لزيادة الرتبة على الغير وزيادة الذكر الجميل مع أنواع من الكلفة في ذلك. فإذا رأى المحسن مساواة منزلته لمنزلة المسيء كان ذلك صارفاً عن الإحسان وداعياً إلى الراحة من تكلفه، وكذلك أكثر التاركين للإساءة إنّما يتركون خوفاً من الولاة وإشفاقاً من نقصان الرتبة عن النظر، فإذا رأى المسيء مساواة مرتبته مع مرتبة المحسنين كان التقصير به أولى ..."[٥٨].

لا شك في أن أمر أي دولة لا يستقيم بدون وزراء يعينون الحاكم على إدارة شؤون الدولة؛ لذلك عُد اختيارهم ونصبهم من الأمور الصالحة بل اللازمة، ولا يكفي صلاح الحاكم عن صلاح الوزراء، كما أن صلاح الوزراء قد يسد كثير من الخلل الذي ينتجه النقص في الحاكم، حيث إنّ الوزراء بنحوٍ ما حكّام في الجوانب التي نُصبوا فيها ومطلوب منهم مثل ما يطلب من الحاكم في ما تصدّوا له. وفي نظام الدولة الحديث يتصدّى الوزراء لنصب الوكلاء والمدراء فيجب أن يلاحظوا في أداء ما يوكل لهم ما جاء في هذا العهد مما يتصل بصلاحياتهم وكثير مما يجري على الحاكم يجري على الوزراء.

الإحسان للرعية:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**واعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِم، وتَخْفِيفِهِ الْمَؤُونَاتِ عَلَيْهِمْ ...**»[٥٩].

قال الشيخ قدس سره: "نبّهه على الإحسان إلى رعيّته وتخفيف المؤونات عنهم وترك استكراههم على ما ليس له قبلهم بما يستلزمه ذلك من حسن ظنّه بهم المستلزم لقطع النصب عنه من قبلهم والاستراحة إليهم؛ وذلك أنّ الوالي إذا أحسن إلى رعيّته قويت رغبتهم فيه وأقبلوا بطباعهم على محبّته وطاعته، وذلك يستلزم حسن ظنّه بهم

فلا يحتاج معهم إلى كلفة في جمع أهوائهم والاحتراس من شرورهم..."[٦٠].

الروايات في بيان أثر الإحسان الإيجابي في القلوب كثيرة جد ، منها عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «جُبِلَتِ الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا وَبُغْضِ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهَا»[٦١]، وهذا أيضا مما يشهد به الوجدان، والإحسان وإن كان مطلوبا من الجميع إلا أن الحاكم أولى من غيره فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أَحَقُّ النَّاسِ بِالْإِحْسَانِ مَنْ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ وَبَسَطَ بِالْقُدْرَةِ يَدَيْهِ»[٦٢].

الأخذ عن العلماء:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وَأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلَمَاءِ ومُنَاقَشَةَ الْحُكَمَاءِ...»[٦٣].

قال الشيخ قدس سره: "أمره أن يكثر مدارسة العلماء، أي بأحكام الشريعة وقوانين الدين، ومنافثة الحكماء: أي العارفين بالله وبأسراره في عباده وبلاده العاملين بالقوانين الحكمية العمليّة التجريبيّة والاعتباريّة، ويتصفّح أنواع الأخبار في تثبّت القواعد والقوانين التي يصلح عليها أمر بلاده، وإقامة ما استقام به الناس قبله منها..."[٦٤].

لا يمكن لأي بلد أن يستقيم أمره بدون قانون ينظم حركة المجتمع، ولا يضع القانون الصالح لتسيير أمور الدولة أهل الجهل والأهواء بل المرجع في وضع القانون هم أهل العلم والمعرفة لا غير، والعلم الحقيقي هو عند الله عز وجل فما جاء من عنده سبحانه هو الكفيل بتحقيق صالح البشرية وإيصالها إلى كمالها المنشود وسعادتها المطلوبة، ولذلك لا بد من الأخذ عن أهل المعرفة بالدين الحق والاستفادة من نتاجاتهم العلمية في التخطيط للدولة وإلا فمصير الدولة إلى الخراب والمجتمع إلى الفساد والحضارة إلى الزوال وذلك عند الأخذ باجتهادات أهل التجربة والحدس البعيدين عن نمير الشرع الصافي وغديره العذب، فضلاً عن الأخذ برأي أهل الهوى والجهل ممن لا معرفة عندهم وإنما يصاحبون للأنس واللهو أو للقرابة والنسب وما شابه من الأسباب التي وفقها تختار السلطات مستشاريها، وليس ذلك يعني إهمال نظر أهل العلم والمعرفة والتخصصات المختلفة التي لا يشك عارف بالمدنية الحديثة

في ضرورة الاستفادة منها للتقدم وإنّما المراد أن يكون العمدة في بناء الدولة والمجتمع هو بناء الإنسان وأشرف ما فيه روحه لا جسده، وخير من يؤتمن على روح الإنسان الفقهاء العدول.

ومع ذلك فإنّ لمن يستشار من أصحاب التخصصات والفنون مواصفات أيضا، وقد نهى أمير المؤمنين عليه السلام عن استشارة البخيل والجبان والحريص(٦٥)، وشرح ذلك الشيخ قدس سره بقوله: "ونبّه على وجه المفسدة في استشارة كلّ أحد من الثلاثة ... وذلك أنّ البخيل لا يشير إلا بما يراه مصلحة عنده وهو البخل وما يستلزمه من التخويف بالفقر، وهو يعدل بالمستشير عن الفضل ... [و] الجبان لا يشير إلا بوجوب حفظ النفس والتخويف من العدوّ وهو المصلحة التي يراها، وكلّ ذلك مضعّف عن الحرب ومقاومة العدوّ ... [وأما الحريص فبسبب] أنّ المصلحة عنده جمع المال وحفظه وهو مستلزم للجور عن فضيلة العدل والقصد ... [ونفّر عن الصفات الثلاث بسبب] أنها غرائز: أي أخلاق متفرّقة يحصل للنفس عن أصل واحد ينتهي إليه وهو سوء الظنّ بالله.

وبيان ذلك أنّ مبدأ سوء الظنّ بالله عدم معرفته تعالى فالجاهل به لا يعرفه من جهة ما هو جواد فيّاض بالخيرات لمن استعدّ بطاعته لها فيسوء ظنّه به، وبأنّه لا يخلف عليه عوض ما يبذله فيمنعه ذلك مع ملاحظة الفقر من البذل وتلزمه رذيلة البخل، وكذا الجبان جاهل به تعالى من جهة لطفه بعباده وعنايته بوجودهم وغير عالم بسرّ قدره فيسوء ظنّه بأنّه لا يحفظه من التلف ويتصوّر الهلاك فيمنعه ذلك عن الإقدام في الحرب ونحوها فيلزمه رذيلة الجبن، وكذلك الحريص يجهله تعالى من الوجهين المذكورين فيسوء ظنّه به ويعتقد أنّه إذا لم يحرص الحرص المذموم لم يوصل إليه تعالى ما يصلح حاله ممّا يسعى فيه ويحرص عليه فيبعثه ذلك على الحرص، وكذلك النفس، فكانت هذه الأخلاق الثلاثة المذمومة راجعة إلى ما ذكره عليه السلام"(٦٦).

حسن اختيار الجند:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ...»[٦٧].

قال الشيخ قدس سره: "الجند: وأشار إلى تعيين من يصلح لهذه المرتبة بأوصاف، وأمره ونهاه فيهم بأوامر ونواهي".

أمّا الأوصاف:

فأحدها: من كان أنصح في نفسه لله ولرسوله ولإمامه جيب أي أكثرهم أمانة في العمل بأوامر الله ورسوله وإمامه. وناصح الجيب كناية عن الأمين.

الثاني: أفضلهم حلم . ثمّ وصف ذلك الأفضل فقال: ممّن يبطئ عن الغضب ويستريح إلى العذر فيقبله إذا وجده، ويرأف بالضعفاء فلا يغلظ عليهم، وينبو على الأقوياء: أي يعلو عليهم ويتجنّب الميل إليهم على من دونهم، ممّن لا يثيره العنف: أي لا يكون له عنف فيثيره ... وقيل: لا يهيّجه العنف ولا يزعجه إذا فعل، ولا يقعد به الضعف عن إقامة حدود الله وأخذ الحقوق من الظالمين أي لا يكون له ضعف فيقعده عن ذلك.

الثالث: من كان من أهل الأحساب والبيوتات الصالحة والسوابق الحسنة من الأحوال والأفعال والأقوال الخيريّة.

الرابع: من يكون من أهل النجدة والشجاعة.

الخامس: من يكون من أهل السخاء والسماحة.

وأمّا الأوامر:

فأحدها: أن يولّي من الجند من كان بهذه الصفات.

الثاني: أن يلصق بمن ذكر منهم...

الثالث: أن يتفقّد من أمورهم ومصالحهم ما يتفقّده الوالدان، وهو كناية عن نهاية الشفقّة عليهم.

الرابع: نهاه أن يعظم في نفسه شيء يقوّيهم به من مال، أو نفع فيدعوه إلى التقاصر في حقّهم.

الخامس: وأن لا يحتقر لطف يتعاهدهم به فيحمله احتقاره على تركه... .

السادس: نهاه أن يدع تفقّد الصغير من أمورهم اعتمادا على تفقّد عظيمها ... .

السابع: أمره أن يكون آثر رؤس جنده عنده من كان بالصفات المذكورة وهو الذي يواسي من تحت يده من الجند فيما يحصل له من المعونة، ويفضل عليهم ممّا في يده بما يسعهم ويسع من ورائهم من ضعفاء أهليهم وخلوفهم حتّى يكون بذلك همّهم واحد فيكونوا بمنزلة رجل واحد في جهاد العدوّ... .

الثامن: أمره أن يفسح لهم: أي يجعل لهم من نفسه طمع يفتسح به آمالهم فيه...

التاسع: أمره أن يواصل من حسن الثناء عليهم وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم ...

العاشر: أمره أن يعرف لكلّ امرئ ما أبلى وينسبه إليه لأنّه يهزّ الشجاع ويشجّع الجبان.

الحادي عشر: نهاه أن يضمّ بلاء امرئ إلى غيره.

الثاني عشر: وأن يقصر به دون غاية بلائه فيذكر بعضه أو يحقّره.

الثالث عشر: وأن يدعوه شرف امرئ إلى أن يعظم صغير بلائه، أو ضعة امرئ أن يستصغر كثير بلائه فإنّ كلّ ذلك داعية الكسل والفتور عن الجهاد.

الرابع عشر: أمره أن يردّ إلى الله ورسوله ما يضلعه[٦٨] من الخطوب ويشتبه عليه من الأمور محتجّ بالآية، ثمّ فسّر الردّ إلى الله بالأخذ بمحكم كتابه، والردّ إلى الرسول بالأخذ بسنّته، ووصف السنة بكونها جامعة؛ لأنّ مدارها على وجوب الألفة واجتماع الخلق على طاعة الله وسلوك سلوكه»[٦٩].

يشكل الجهاز العسكري أحد أهم الحصون التي تحمي الدولة وإنّما تكمن

قوته في عناصره البشرية لذلك لا بد من العناية من اختيار أفراد هذا الجهاز ليؤدي دوره المطلوب في حماية الأمّة، ولا يخفى على المطالع لتاريخ الأمّة وحاضرها ما جرّه عدم العناية بمواصفات العسكر من ويلات، فمنها سيطرة العسكر على إدارة الدولة بالقهر والغلبة، ومنها ظلمهم للرعية بدل حمايتها وقتل الأبرياء بدل الدفاع عنهم، ولعل أعظمها ضعفهم عن حماية الأمّة في وجه هجمات الأعداء مما أدى إلى تسلط أمم الكفر على أمّة الإسلام، ولكل ذلك وغيره شواهد كثيرة ليس المقام مقام تفصيلها. ولا يخفى أن كل ذلك راجع إلى ضعف الحكام والساسة وفقدهم الأهلية.

الدقة في اختيار القضاة:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ ...»[٧٠].

قال الشيخ قدس سره: "قضاة العدل وعيّنهم له بأوصاف وأمره فيهم بأوامر:

أمّا التعيين فأوجب أن يكون أفضل رعيّته في نفسه، وميّز ذلك الأفضل بصفات:

أحدها: أن يكون ممّن لا يضيق به الأمور فيحار فيها حين تورد عليه.

الثاني: وممّن لا يمحكه الخصوم: أي يغلبه على الحقّ باللجاج، وقيل: ذلك كناية عن كونه ممّن يرتضيه الخصوم فلا تلاجّه ويقبل بأوّل قوله.

الثالث: أن لا يتمادى في زلته إذا زلّ فإنّ الرجوع إلى الحقّ خير من التمادي في الضلال.

الرابع: أن لا يحصر من الرجوع إلى الحقّ إذا عرفه كما يفعله قضاة السوء حفظاً للجاه وخوفاً من شناعة الغلط.

الخامس: أن لا يشرف نفسه على طمع فإنّ الطمع في الناس داعية الحاجة إليهم والميل عن الحقّ.

السادس: أن لا يكتفى بأدنى فهم دون أقصاه؛ لأنّ ذلك مظنّة الغلط.

السابع: أن يكون أوقف الناس عند الشبهات لأنّها مظنّة الوقوع في المآثم.

الثامن: وآخذهم بالحجج.

التاسع: وأقلهم تبرّماً بمراجعة الخصم لما يستلزمه التبرّم من تضييع الحقوق.

العاشر: وأصبرهم على تكشّف الأمور.

الحادي عشر: وأصرمهم عند اتّضاح الحقّ فإنّ في التأخير آفات.

الثاني عشر: وممّن لا يحدث له كثرة المدح كبراً.

الثالث عشر: وممّن لا يستميله إلى غير الحقّ إغراء به.

ثمّ حكم بقلة من يجتمع فيه هذه الصفات تنبيهاً على أنّ فيها ما هو أولى دون أن يكون شرطاً في القضاء.

وأمّا الأوامر:

فأحدها: أن يختار من كان بالصفات المذكورة.

الثاني: أن يكثر تعاهد قضائه ليقطع طمعه في الانحراف عن الحقّ لو خطر بباله.

الثالث: أن يفسح له في البذل ما يزيل علته، وهو كناية عمّا يكفيه ويقلّ معه حاجته إلى الناس فلا يميل إليهم... .

الرابع: أن يعطيه من المنزلة عنده ما لا يطمع فيه معها غيره من خاصّته ليأمن بذلك اغتيال الأعداء.

الخامس: أن ينظر في اختيار من كان بهذه الصفات وفيما أمره به نظراً بالغاً ليعمل بأقصاه ..."[٧١].

إنّ منصب القضاء من أهم المناصب وأشدها وقد روي عَنْ أَبِي عَبْدِاللهِ عليه السلام أنه قَالَ: «قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام لِشُرَيْحٍ: يَا شُرَيْحُ، قَدْ جَلَسْتَ مَجْلِساً لا يَجْلِسُهُ إِلا نَبِيٌّ، أَوْ وَصِيُّ نَبِيٍ، أَوْ شَقِيٌّ»[٧٢]، والحاكم مسؤول عن اختياره للقضاة -وهو شريكهم في قضائهم- وعن حمايتهم وعن تنفيذ أحكامهم؛ فلذلك وجب أن يتقن اختيار من ينصبه للقضاء، ومن المهم أن يحرص الحاكم على أن ينفذ القانون على الجميع بلا تمييز ولا محاباة، وكثر سخط العامة على الحكام لعدم

العدل فيهم وهذا يكون بسبب ظلم الحاكم نفسه، ويكون بسبب من ينصبه من القضاة خصوص إن كان نصبه لاعتبارات الهوى الحزبية والقبليّة والعشائرية وغيرها.

اختبار المسؤولين قبل نصبهم:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمُ اخْتِبَاراً ...»(٧٣).

قال الشيخ قدس سره: "العمّال وميّزهم أيضاً بأوصاف وأمّره فيهم بأوامر مصلحيّة.

أمّا الأوصاف:

فأحدها: أن يكون العامل من أهل التجربة للأعمال والولايات، على علم بقواعدها. وبدأ بذلك لأنه الأصل الأكبر للعمل.

الثاني: أن يكون من أهل الحياء فلا ينتهي في الانفعال إلى حدّ الاستخدام وهو طرف التفريط فيضيّع به الحقوق والمصالح ولا يتجاوزه إلى حدّ القحة فيقع في طرف الإفراط وما يلزمه من الجفاوة ونفرة القلوب عنه.

الثالث: أن يكون من أهل البيوتات الصالحة والقدم السابقة في الإسلام، وهي كناية عن البيوت المتقدّمة في الدين والخير، ولهم في ذلك أصل معرق. وأشار إلى وجه الحكمة في تولية من كان بهذه الصفات الثلاث ... وذلك أنّ الحياء وصلاح البيوت والتقدّم في الإسلام يفيدهم كرم الأخلاق ومحافظة على الأعراض من المطاعن وقلة الإشراف والتطلع إلى المطامع الدنيّة، والتجربة يفيدهم بلاغة النظر في عواقب الأمور...

وأمّا الأوامر:

فأوّلها: أن ينظر في أمورهم فيستعملهم بعد التجربة والاختبار ولا يوليهم محاباة وأثرةً كأن يعطونه شيئاً على الولاية فيوليهم ويستأثر بذلك دون مشاورة فيه فإنّهما: أي المحاباة والأثرة - كما هو مصرّح به في بعض النسخ عوض الضمير - جماع من شعب الجور والخيانة، أمّا الجور فللخروج بهما عن واجب العدل المأمور به شرعاً وأمّا

الخيانة فلأنّ التحرّي في اختيارهم من الدين وهو أمانة في يد الناصب لهم فكان نصبهم من دون ذلك بمجرّد المحاباة والأثرة خروجاً عن الأمانة ونوعاً من الخيانة.

وثانيها: أن يقصد بالعمل من كان بالصفات المذكورة للعلل المذكورة.

الثالث: أن يسبغ عليهم الأرزاق، وبيّن المصلحة في ذلك من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنّ عمومهم بالأرزاق يكون قوّة لهم على استصلاح أنفسهم الذي لا بدّ منه.

الثاني: أنّه غنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم من مال المسلمين.

الثالث: أنّه يكون حجّة له عليهم إن خالفوا أمره أو ثلموا أمانته. واستعار لفظ الثلم للخيانة... .

الرابع: أن يتفقّد أعمالهم ويبعث العيون والجواسيس من أهل الصدق والوفاء عليهم ... فإنّ تعهّده لأمورهم مع علمهم بذلك منه يبعثهم على أداء الأمانة فيما ولوا من الأعمال، وعلى الرفق بالرعيّة... .

الخامس: أن يتحفّظ من خيانة الأعوان من العمّال. وأرشده ... إلى ما ينبغي من تأديبهم وإقامة سنّة الله فيهم ... وهذه العقوبة مقدّرة بحسب العرف ورأى الإمام أو من ارتضاه"[٧٤].

ليس المقصود من العمال هو قطاع الموظفين والعاملين من ذوي الدرجات العادية في المؤسسات والشركات وما شابه، بل المراد هو المسؤولون في المناصب الرفيعة من الوكلاء والرؤساء والمدراء، ولهؤلاء أدوار مهمة تقترب من دور الوزراء وقد تقدم في ذلك الكلام.

عمارة الأرض:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وَتَفَقَّدْ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ ...»[٧٥].

قال الشيخ قدس سره: "أهل الخراج : وأمره فيهم بأوامر :

أحدها: أن يتفقّد أمر خراجهم ويفعل فيه ما يصلح أهله مما سيشرحه ... ونبّه بقوله: «لا صلاح لمن سواهم إلّا بهم» على حصر صلاح الغير فيهم تأكيد ... بقوله: «لأنّ النّاس كلّهم عيال على الخراج وأهله». وهو ظاهر في ذلك الوقت.

الثاني: أن يكون نظره في عمارة الأرض أبلغ من نظره في طلب الخراج واستجلابه ... [وإلا فالنتيجة] مفاسد ثلاث أحدها: إخراب البلاد لعدم العمارة، والثاني: إهلاك العباد لتكليفهم ما ليس في وسعهم، والثالث: عدم استقامة أمر الطالب للخراج والوالي على أهله ... .

الثالث: أمره أن يخفّف عنهم من خراجهم ما يرجو أن يصلح به أمرهم على تقدير أن يشكوا من حالهم ما عساه يلحقهم من قبل أرضهم من ثقل خراج أو علّة سماويّة أو انقطاع نصيب كان لهم من الماء أو تغيّر أرض وفسادها بسبب غرق أو عطش، ثمّ نهاه أن يستثقل بما يخفّف عنهم به المؤونة ... .

ثم نبّه ... على سبب الخراب ... وهو مركب من ثلاثة أجراء:

أحدها: إشراف نفوس الولاة على الجمع.

والثاني: سوء ظنّ أحدهم أنّه لا يبقى في العمل.

والثالث: عدم انتفاعهم بالعبر لقلة التفاتهم إليها، وظاهر أنّ هذه الأمور إذا اجتمعت في الوالي استلزمت جمعه للمال واستقصاءه على الرعيّة واستلزم ذلك إعوازهم وفقرهم فاستلزم ذلك خراب أرضهم وتعطيل عمارتها"(٧٦).

هناك شبه بين ما أمر به صلوات الله عليه في أهل الخراج وما ينبغي أن يحرص عليه الحكام اليوم فيما يتعلق بجبي الضرائب على أبناء الشعب، وكذلك ما يتعلق باستخراج الثروات الطبيعية والاستفادة منها، فيجب على الحاكم أن يحرص على مصلحة أبناء الشعب وتطور إنسان الأمّة وتلبية حاجاته وتوفير البنى التحتية والمرافق الحيوية بما يسهم في تقدّم العباد وازدهار البلاد، لا أن يحرص على جمع أموال الضرائب حتى وإن أضرت بحال المواطنين ويبالغ في استخراج واستثمار الثروات الطبيعية بدون رعاية أن يكون ذلك في سبيل زيادة عزة الإسلام والمسلمين، ومما يؤسف له حق أن الوطن الإسلامي يتوفر على أغلب ثروات العالم من المعادن والموارد الطبيعية ولكنه يعيش التأخر الاقتصادي والإعماري وليس هذا إلا بسبب جشع الحكّام وفسادهم ولله

المشتكى.

الاهتمام بالفقراء:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ثُمَّ اللَّهَ اللَّهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ ... واحْفَظ لِلَّهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ، واجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكِ ... ولَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ... فَلَا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ ولَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ، وتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ ... ثُمَّ اعْمَلْ فِيهِمْ بِالإِعْذَارِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ ... وتَعَهَّدْ أَهْلَ الْيُتْمِ وذَوِي الرِّقَّةِ فِي السِّنِّ ...»(٧٧).

قال الشيخ قدس سره: "الطبقة السفلى وميّزهم بأوصاف وأمر فيهم بأوامر ونواهي:

أمّا تميّزهم فالعاجزون عن الحيلة والاكتساب والمساكين والمحتاجون وأهل البؤسى والزمنى، وهؤلاء كلهم وإن دخل بعضهم في بعض إلا أنه عدّدهم بحسب تعدّد صفاتهم لمزيد العناية بهم كيلا يتغافل عن أحدهم ويتثاقل فيه.

وأمّا الأوامر:

فأحدها: أنه حذّر من الله فيهم، وأشار إلى وجه الحكمة في ذلك التحذير بقوله : «فإنّ فيهم قانعاً ومعتّراً»... .

الثاني: أن يجعل لهم قسماً من بيت ماله ومن صوافي الإسلام في كلّ بلد. وأضاف بيت المال إليه وأراد الذي يليه... .

الثالث: نهاه أن يشغله عنهم بطر... .

الرابع: نهاه أن يشخص همّه عنهم: أي يرفعه حتّى لا يتناولهم.

الخامس: نهاه أن يصعّر خدّه لهم، وهو كناية عن التكبّر عليهم.

السادس: أمره أن يتفقّد أمور من لا يمكنه الوصول إليه منهم لعجزه وحقارته في عيون الأعوان والجند، وأن يفرّغ لهؤلاء ثقة له من أهل الخشية والتواضع وينصبه لهم ليرفع إليه أمورهم.

السابع: أن يعمل فيهم بالإعذار إلى الله سبحانه يوم يلقاه: أي يعمل في حقّهم ما

أمره الله به بحيث يعذر إليه: أي يكون ذا عذر عنده إذا سأله عن فعله بهم.

الثامن: أكد الأمر بالإعذار إلى الله في تأدية حقّ كلّ واحد من المذكورين إليه.

التاسع: أمره أن يتعهّد الأيتام وذوي الرّقّة في السنّ: أي الذين بلغوا في الشيخوخة إلى أن رقّ جلدهم وضعف حالهم عن النهوض فلا حيلة لهم، وممّن لا ينصب نفسه للمسألة حياء مع حاجته وفقره"(٧٨).

هذه الفئة من المجتمع التي نزل بها الضر والبلاء لها أهميتها في المجتمع -وفق نظر الإسلام- ولا يقبل أن تكون على هامش اهتمام الولاة بل لا بد من العناية بها لعدة عوامل منها أن أفرادها جزء من عيال الله عزّ وجلّ ولا يرضى سبحانه بإهمالهم بل شدد الأمر برعايتهم والقيام بحاجاتهم، إضافة إلى أن عدم القيام بحاجاتهم سيفتح الباب لكثير من الانحرافات الضارة بالمجتمع، وذلك ما نشاهده اليوم في مختلف المجتمعات البشرية حيث يتفشى في مثل هذه الفئات الجهل وتنتشر الجريمة!!

مع أن هذه الفئات يمكن أن تكون منتجة وفعالة في رقي المجتمع لو عولجت حاجاتها بشكل صحيح، ونحن لا نلغي دور التكافل الاجتماعي -في معالجة هذه الحاجات- فهو دور مهم جد إلا أن الحاكم والدولة هما المسؤول الأول عن رعاية المواطنين وتوفير الضمان الاجتماعي الذي يجعل المواطن المنتج اليوم مطمئن على مستقبله لو قدر الله أن يصاب بمانع يمنعه عن العطاء.

الجلوس لأهل الحاجات:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**واجْعَلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً، فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ، وتُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وشُرَطِكَ...**»(٧٩).

قال الشيخ قدس سره: "أن يجعل لذوي الحاجات نصيباً من نفسه يفرّغ لهم فيه بدنه عن كلّ شاغل ويجلس لهم مجلساً عامّاً في الأسبوع أو دونه أو فوقه حسب ما يمكن"(٨٠).

ليس المراد بذوي الحاجات هنا المتملّقين من النفعيين وأشباههم الذين

لا تنقضي طلباتهم ومن لهم في كل يوم حاجة ولا تخلو منهم مجالس الحكام والمسؤولين، وإنما المراد أهل الحاجة من عامة الناس الذين تقوم بهم البلاد وقد تمنع من قضاء حوائجهم بعض الموانع هنا أو هناك وقد تكون حوائجهم مالية أو إدارية وقد تكون حاجتهم شكوى من تقصير مسؤول أو فساده، وقد يكونوا من الفقراء والمحتاجين أو من أفراد الطبقة الوسطى وهؤلاء لا طريق لهم للحاكم والمسؤولين إلا أن يُجلس لهم في مجلس عام يُفتح لهم ويُستقبلون فيه ليعرضوا حوائجهم.

وحيث كان المجلس فقد تكون معه موانع تمنع من أن يؤتي أكله ولرفعها قال الشيخ قدس سره: "أن يتواضع فيه لله. ورغبه في التواضع بنسبته إلى الله باعتبار أنه خالقه الذي من شأنه أن يكون له التواضع"(٨١).

فإذا كان الغرض من المجلس لأهل الحاجات هو الاطلاع على حوائجهم وسماع شكاياتهم وقضاء ما يمكن قضاؤه لهم فلا بد من أن يكون المجلس باعث على أنسهم وانطلاق ألسنتهم ليتحقق الغرض منه، ولا يكون ذلك إلا بأن يكون الحاكم متواضع فيه ليقبل عليه الناس بدون تكلف.

ولرفع مانع آخر -قد يكون أقوى في المانعية- قال الشيخ قدس سره: "أن يقعد عنهم جنده وأعوانه، وأبان وجه المصلحة في ذلك بقوله: «حتّى يكلمك متكلمهم غير متتعتع..."(٨٢)، فإن أصحاب الحاجات إن احتملوا أن يصيبهم غضب الحاكم أو حاشيته ترددوا في طرحها، وإذا كانت عندهم شكوى من متنفذ وذي سلطة أو وجاهة فلن يطرحوها إلا إن كانوا آمنين، وحيث إن سماع حوائجهم وشكاويهم واجب وجب كل ما كان مقدمة له.

عدم تفضيل المقربين:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**وَلَا تُقْطِعَنَّ لأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وحَامَّتِكَ قَطِيعَةً ...**»(٨٣).

قال الشيخ قدس سره: "من الأمور المصلحيّة المتعلقة بخاصّته أن يحسم مؤونتهم عن الرعيّة ... وأشار إلى وجه ذلك بذكر ما فيهم من الاستئثار على الرعيّة بالمنافع والتطاول عليهم بالأذى وقلة الإنصاف ... فإنّ إقطاع أحدهم قطيعة وطمعه في اقتناء ضيعة تضرّ بمن يليها من الناس في ماء أو عمل مشترك يحمل مؤونته على الناس كعمارة ونحوها هي أسباب الأحوال المذكورة من وجوه المؤونة وقطع تلك الأحوال بقطع أسبابها. ثمّ نفّره عن أسباب المؤونة على الناس بما يلزم تلك الأسباب من المفسدة في حقّه وهي كون مهنأ ذلك لهم دونه وعيبه عليه في الدنيا والآخرة..."(٨٤).

أقرباء الحاكم وعشيرته وأصحابه وحاشيته من أهم العوامل في فساد الحكم؛ لما تدخله أهواؤهم من الضر على عامة الناس، وقد عرفت البشرية ويلات النظام الإقطاعي وهو نظام إن زال ظاهر فهو ما زال نافذ بصور وأشكال متنوعة وجديدة، ولا يقتصر وجوده على الأنظمة الملكية المطلقة بل تنوع بتنوع الأنظمة فهو موجود في النظام الملكي الدستوري بشكل، وموجود في الأنظمة الجمهورية بشكل آخر وهلم جر ، وما لم يكبح الحاكم جماح هذه الفئة فالويل لها وله إذ إنّ العامة وإن طال صبرها إلا أنه لا يدوم، فجشع هؤلاء وتوسعهم في الاستحواذ على الامتيازات لا بد من أن ينتج نقطة الغليان والثورة.

فالسبيل هو بإحقاق الحق ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وَأَلْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ ...»(٨٥).

وفي بيانه قال الشيخ قدس سره: "أن يلزم الحقّ من يلزمه الحقّ من القريب والبعيد ويكون في ذلك الإلزام صابر لما عساه يلحق أقاربه من مرّ الحقّ، محتسباً له: أي مدخله في حساب ما يتقرّب به إلى الله تعالى ويعدّه خالصاً لوجهه، واقعا ذلك الإلزام من قرابته وخواصّه حيث اتّفق وقوعه بمقتضى الشريعة..."(٨٦).

دفع الشبهة عن نفسه:

مهما كان الحاكم عادلاً منصف مجتهد في خدمة الرعية وإصلاح البلاد فإنّ

البلد لن يخلو من أهل الفساد ممن يشوه الحقائق وينشر الإشاعات، الأمر الذي سيؤدي إلى سوء ظن الرعية به، وقد عالج أمير المؤمنين عليه السلام هذا الوضع فقال: «وَإِنْ ظَنَّتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفاً فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ ...»(٨٧).

قال الشيخ قدس سره: "أمره على تقدير أن تظنّ الرعيّة فيه حيفاً أن يصحر لهم عذره فيما ظنّوا فيه الحيف ويعدل عنه ظنونهم بإظهاره ... فإنّ في إظهار عذرك لهم أن تصير ذا عذر تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحقّ من معرفتهم أنّ فعلك حقّ لا حيف فيه..."(٨٨).

ولا يراد من هذا أن يخدع الحاكم رعيته بالأعذار الكاذبة؛ كما ينتشر بين ساسة اليوم حيث يوظفون المختصين في الإعلام لخداع الجمهور وضمان استمرار الظلم والطغيان، بل المراد أن تتضح الأمور للعامة فلا يترك المجال للأعداء وعملائهم الذين يريدون ببلاد المسلمين السوء.

الرغبة في الصلح:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وَلَا تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ وَلِلَّهِ فِيهِ رِضًا ... وَلَكِنِ الْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ ...»(٨٩).

قال الشيخ قدس سره: "نهاه أن يدفع صلحا دعاه إليه عدوّه إذا كان صلحاً يرضى الله ونبّه على وجوه المصلحة فيه ... [ثم] بالغ في تحذيره من العدوّ بعد صلحه وأمره أن يأخذ بالحزم ويتّهم في الصلح حسن ظنّه الذي عساه ينشأ عن صلحه..."(٩٠).

نطرح هذا البعد لأهميته حيث إن أغلب حكام المسلمين يلهثون للصلح مع الكيان الصهيوني الغاصب ويتكالبون للتعاون مع الاستكبار العالمي الكاذب، فالصلح مطلوب ومهم إذا كان مما يرضي الله سبحانه وتعالى، وليس مما يرضي الله أن تُذل رقابُ أبناء الأمّة للصهيونية العالمية وأن تتحكم في مقدرات المسلمين قوى الجاهلية المعاصرة، ثم أنه لو فرض أن الدراسات العلمية الموضوعية أنتجت أهمية الصلح مع هؤلاء فلا يصح أن يحسن بهم الظن ويفتح الباب لهم لتغيير

هوية أبناء الأمّة وفكرها وثقافتها، بل لا بد من اتهام كل فكرة ومنتج بل كل ما يأتي منهم، ولا يعني هذا رفض ما فيه صلاح وخير من العلوم والتقنيات الحديثة المهمة والمفيدة لأمّة الإسلام؛ فالمؤمنون أولى بخير الدنيا وصلاحها، فاللازم على حكام الأمّة أن يتّقوا الله جل جلاله ويتركوا ما هم فيه من الارتهان للكفر والطغيان العالمي وأن يحفظوا للأمّة عزّتها وكرامتها.

الوفاء بالعهد:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**وإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وبَيْنَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً، أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّة، فَحُطْ عَهْدَكَ بِالْوَفَاءِ وارْعَ ذِمَّتَكَ بِالأَمَانَةِ ... ولَا تُعَوِّلَنَّ عَلَى لَحْنِ قَوْلٍ بَعْدَ التَّأْكِيدِ والتَّوْثِقَةِ ...**»(٩١).

قال الشيخ قدس سره: "أمره على تقدير أن يعقد بينه وبين عدوّه عهداً أن يحوطه بالوفاء ويرعى ذمّته بالأمانة ويجعل نفسه جنّة دون ما أعطى: أي يحفظ ذلك بنفسه ولو أدّى إلى ضررها، واستعار لفظ اللبس لإدخاله في أمان الذمّة ملاحظة لشبهها بالقميص ونحوه ...

ورغب في ذلك بوجهين:

أحدهما: أنّ الناس أشدّ اجتماعاً على ذلك من غيره من فرائض الله الواجبة عليهم مع تفرّق أهوائهم وتشتّت آرائهم.

الثاني: أنّ المشركين لزموا ذلك فيما بينهم واستثقلوا الغدر لما فيه من سوء العاقبة... ثمّ أكد ذلك بالنهى عن الغدر في العهد ونقض الذمّة وخداع العدوّ بمعاهدته ثمّ الغدر به... [و] نهاه أن يعتمد على لحن القول في الأيمان والعهود بعد أن يؤكدها ويتوثّق من غيره فيها أو يتوثّق غيره منه فيها..."(٩٢).

يعطي الحاكم المسلم عهود لأعدائه، والمفترض أن يكون هؤلاء من خارج الأمّة إلا أنّ تمزق المسلمين وتفرقهم أشتاتا جعل كل فرقة ترى في غيرها عدو وهذا ليس من الإسلام في شيء، والحاكم -حيث إنه عادة المالك

للقوة والقادر على القهر- قد يتوسل للتغلب على أعدائه بمعاهدتهم ثم الغدر بهم، وقد أمر أمير المؤمنين عليه السلام بالوفاء بالعهد إذا تم الالتزام به، هذا مع الأعداء ومن باب أولى أن يلتزم الحكام بما وعدو به شعوبهم قبل وصلولهم إلى السلطة أو بعده، وهناك من الحكام من يطلق وعود تحتمل أكثر من وجه، فيؤكد على معنى منها ويعطي عليه المواثيق، ثم يعدل عند العمل لغيره، وقد نهى أمير المؤمنين عليه السلام عن هذا الفعل، كما نهى عن تنازل الحاكم أمام غيره فيما لو مارسوا معه خداء من هذا النوع أيض فلا يقبل بخلاف ما اتفق عليه وأخذ عليه المواثيق.

ترك سفك الدماء:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**إِيَّاكَ والدِّمَاءَ وسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا ... فَلا تُقَوِّيَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ ... ولا عُذْرَلَكَ عِنْدَ اللَّهِ ولا عِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمْدِ ...**»(٩٣).

قال الشيخ قدس سره: "حذّره من الدخول في الدماء وسفكها بغير حقّ وهو كناية عن القتل ... فإنّ سفك الدماء بغير حقّ أدنى الأشياء لحلول نقمة الله، وأعظمها في لحوق التبعة منه، وأولاها بزوال النعمة وانقطاع مدّة الدولة والعمر، وظاهر أنّها أقوى المعدّات للأمور الثلاثة لما يستلزمه من تطابق همم الخلق ودواعيهم على زوال القاتل واستنزال غضب الله عليه لكون القتل أعظم المصائب المنفور عنها... [ولهذا] نهاه أن يقوّى سلطانه ودولته بسفك الدم الحرام... [و] نهاه عن قتل العمد حراماً ونفّر عنه بأمرين: أحدهما: أنّه لا عذر فيه عند الله ولا عنده. الثاني: أنّ فيه قود البدن ..."(٩٤).

من أكبر الانحرافات التي ابتليت بها هذه الأمّة هو ظن الحكام أنّ لهم الحق في دماء الرعية وأعراضها، وأن تقتنع فئات واسعة من الأمّة بهذه الفكرة الجاهلية، وإنّ تبجيل ما فعله طواغيت في التاريخ الإسلامي كالحجاج وأمثاله في الكتب والإعلام هو خير دليل على مقبولية الفكرة، في حين أنّ الله عزّ وجلّ حرّم سفك الدم والاستثناء من ذلك موارد محدودة بينتها الشريعة الغراء. فاللازم

على أبناء الأمّة أن يمنعوا الحكام من سفك الدماء وأن لا يتهاونوا في طلب القصاص من القتلة، فليس لقاتل النفس المحترمة عذر عند الله ﷻ ، وينبغي هنا الحذر مما يطرحه الغرب من أنّ القصاص اعتداء على حق الحياة فالقاتل وقد هتك حق حياة المقتول فلا حق له، والمطلوب هو المحاكمة العادلة والتزام ما أمر الله ﷻ به.

معالجة القتل الخطأ:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وإِنِ ابْتُلِيتَ بِخَطَإٍ ... فَلا تَطْمَحَنَّ بِكَ نَخْوَةُ سُلْطَانِكَ ...»[٩٥].

قال الشيخ قدس سره: "نهاه أن يرتكب رذيلة الكبر عند من يبتلى بقتل خطأ، أو إفراط سوطه، أو يده عليه في عقوبة فيأخذه عزّة الملك والكبر على أولياء المقتول فلا يؤدّى إليهم حقّهم ..."[٩٦].

بعد أن يتقي الحاكم وجهازه التنفيذي سفك الدم الحرام ويكون له رادع عن القتل بالهوى أو التهمة، فلو مات بسببه بريء خطأً، عندها لا عيب في الاعتراف بالخطأ والإقرار به وبالتالي تعويض أهل المقتول بالدية الشرعية، ولا يخفى أن مثل هذا متصور فيما لو كانت الحاكمية للقوانين الشرعية التي يكون فيها الحد والتعزير بالضرب الذي قد يفضي خطأً إلى الموت، أما والأنظمة الحاكمة اليوم تتبرأ من أحكام الشرع وتأخذ بالقوانين الغربية -التي ترفض أي نوع من أنواع العقوبة البدنية- فما يتصور حدوثه من قتل هو بسبق النية والقصد وعليه فعلى الحكام محاكمة المتهم بالقتل والقصاص من القتلة، والمؤسف له أن الأنظمة تغطي على المنتسبين إليها عند اعتدائهم على الأرواح وهذا ما يشعل في نفوس الجماهير الغضب حيث يرون أن حياتهم لا تقدّر ولا تُحترم.

ترك المن والتزيد والخُلف:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وإِيَّاكَ والْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ، أَوِ التَّزَيُّدَ فِيمَا

كَانَ مِنْ فِعْلِكَ، أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعودَكَ بِخُلْفِكَ ...»[٩٧].

قال الشيخ قدس سره: "حذّره رذائل ثلاثة:

أحدها: المنّ على الرعيّة بإحسانه إليهم.

الثانية: التزيّد فيما فعله في حقّهم وهو أن ينسب إلى نفسه من الإحسان إليهم أزيد ممّا فعل.

الثالثة: أن يخلف موعوده لهم.

ثمّ نفّر عن المنّ بقوله: «فإنّ المنّ يبطل الإحسان»، وذلك إشارة إلى قوله تعالى: «ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ والأَذى»[٩٨]، وعن التزيّد بقوله : «فإنّ التزيّد يذهب بنور الحقّ» . وأراد بالحقّ هنا الإحسان إليهم، أو الصدق في ذكره في موضع يحتاج إليه فإنّ على ذلك نور عقليّا ترتاح إليه النفوس وتلتذّ به، ولمّا كان التزيّد نوعاً من الكذب وهو رذيلة عظيمة لا جرم كان ممّا يذهب نور ذلك الحقّ ويطفيه فلا يكون له وقع في نفوس الخلق، ونفّر عن الخلف بقوله: «يوجب المقت عند الله والناس»: أمّا عند الناس فظاهر وأمّا عند الله فلقوله تعالى: «كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ الله»[٩٩]..."[١٠٠].

المطلوب من حاكم المسلمين خدمة الرعية، وليست خدمته لهم كأي خدمة بل هي خدمة من نوع خاص، خدمة على طريق الله سبحانه تأخذ بالمجتمع -عبر تطبيق شرع الله سبحانه- إلى الكمال المطلوب له، هذه الخدمة الخاصة معها سلطة خاصة وتحتاج معايير خاصة، الحاكم خادم يملك سلطة وقوة ولا مكان للمن على الرعية بل كل ما يصدر من الحاكم من الإحسان فهو من واجباته التي يقتضيها منصبه، وسيكون له جزاؤه الحسن عند الله عز وجل.

كما أنه من القبيح المبالغة في ذكر الإنجازات -فضلاً عن اختلاقها كذبا- بتضخيم الأرقام وتزوير الإحصاءات، وكذلك أن تطلق الوعود الفارغة التي يعلم بأنها لن تنفذ، وللأسف فهذان الأمران مما لا يكاد يخلو منه حاكم أو سياسي إلا من هداه الله بالإيمان والتقوى.

ترك الاستئثار على الناس:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وإِيَّاكَ والاسْتِئْثَارَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ، والتَّغَابِيَ عَمَّا تُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ، فَإِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ...»[١٠١].

قال الشيخ قدس سره: "حذّره من الاستئثار بما يجب تساوى الناس فيه كالذي يستحسن من مال المسلمين ونحوه ... وعن التغافل عمّا يجب العلم والعناية به من حقوق الناس المأخوذة ظلماً ممّا قد وضح للعيون إهمالك له ... وأراد ما يستأثر به من حقوق الناس ويتغافل عنها..."[١٠٢].

النموذج الثاني: ما لا ينبغي للوالي

من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة ١٣٠ من النهج: «وقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِي عَلَى الْفُرُوجِ والدِّمَاءِ والْمَغَانِمِ والأَحْكَامِ، وإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ، الْبَخِيلُ، فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ، ولَا الْجَاهِلُ فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ، ولَا الْجَافِي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ، ولَا الْخَائِفُ لِلدُّوَلِ، فَيَتَّخِذَ قَوْماً دُونَ قَوْمٍ، ولَا الْمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ، فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ، ويَقِفَ بِهَا دُونَ الْمَقَاطِعِ، ولَا الْمُعَطِّلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ الأُمَّةَ»[١٠٣].

فهذه صفات ست لا يجوز أن تكون في الحاكم ونحن نعددها مع بيان ما أفاده الشيخ ابن ميثم قدس سره في شرحها:

البخل:

قال الشيخ قدس سره: "أمّا البخيل فلشدّة حرصه على ما في أيدي الناس من الرعيّة وقد عرفت ما يستلزمه من نفارهم عنه وعدم انتظام الأحوال به"[١٠٤].

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «الْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ»[١٠٥]، وقد تقدم عند شرح نهي أمير المؤمنين لمالك الأشتر عن استشارة البخيل أن مرجع بخل البخيل لسوء ظنه بالله جل وعلا فلذلك هو بعيد من الله تعالى وقد بين الشارح قدس سره سبب بعده عن الناس حيث إنّ بخله يمنعه من الإحسان إليهم، بل يتوغّل ليعتدي على حقوقهم ومعاشهم، وللأسف

فإن سيرة مثل هؤلاء تشهد عليها خزائنهم وحساباتهم البنكية المتخمة في حين تعيش الشعوب الفقر والفاقة وعدم توفر أسباب العيش الكريم.

وقد أدّى بخل الحكام إلى غياب عوامل القوة والمنعة أمام الأعداء، فلم يعد لأمّة الإسلام العظيمة -والتي أغناها الله بموارد طبيعية كثيرة- هيبة عند غيرها، والساحة العالمية تشهد على إهانة الإسلام ونبيه ﷺ بدون رادع في الوقت نفسه الذي يمنع التشكيك في أكاذيب الصهيونية أو كشف جرائمها.

الجهل:

قال الشيخ قدس سره: "وأمّا الجاهل فلأنّه لجهله بقوانين الدين وتدبير أمور العالم ضالّ وضلاله يستلزم ضلال من اقتدى به وذلك ضدّ مقصود الشارع"(١٠٦).

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**الجاهل لا يعرف تقصيره ولا يقبل من النّصيح له**»(١٠٧)، وعنه عليه السلام كذلك: «**إِنَّ الْجَاهِلَ مَنْ عَدَّ نَفْسَهُ بِمَا جَهِلَ مِنْ مَعْرِفَةِ الْعِلْمِ عَالِماً وبِرَأْيِهِ مُكْتَفِياً فَمَا يَزَالُ لِلْعُلَمَاءِ مُبَاعِداً وعَلَيْهِمْ زَارِياً ولِمَنْ خَالَفَهُ مُخَطِّئاً ولِمَا لَمْ يَعْرِفْ مِنَ الْأُمُورِ مُضَلِّلًا فَإِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ مِنَ الْأُمُورِ مَا لَمْ يَعْرِفْهُ أَنْكَرَهُ وكَذَّبَ بِهِ وقَالَ بِجَهَالَتِهِ مَا أَعْرِفُ هَذَا ومَا أَرَاهُ كَانَ ومَا أَظُنُّ أَنْ يَكُونَ وأَنَّى كَانَ وذَلِكَ لِثِقَتِهِ بِرَأْيِهِ وقِلَّةِ مَعْرِفَتِهِ بِجَهَالَتِهِ فَمَا يَنْفَكُّ بِمَا يَرَى مِمَّا يَلْتَبِسُ عَلَيْهِ رَأْيَهُ مِمَّا لَا يَعْرِفُ لِلْجَهْلِ مُسْتَفِيداً ولِلْحَقِّ مُنْكِراً وفِي الْجَهَالَةِ مُتَحَيِّراً وعَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ مُسْتَكْبِرا**»(١٠٨)، وفي هذا كفاية لبيان قبح أن يكون الحاكم جاهلاً.

الجفاء:

قال الشيخ قدس سره: "وأمّا الجافي فلأنّ جفاءه يستلزم النفرة والانقطاع عنه وذلك ضدّ الألفة والاجتماع المطلوب للشارع"(١٠٩)، "الجَفَاء: نقيض الصلة"(١١٠). وقد تقدم من واجبات الحاكم ما لا يتحقق إن كان جافي ، كما لا يخفى عظم الحاجة اليوم إلى تواصل وتآلف أبناء الأمّة والتواصل بين الحاكم والمحكوم في زمن تداعت فيه الأمم على الأمّة الإسلامية كتداعي الأكلة على قصعتها، فغدت الأمّة

نهب للاعتداءات العسكرية والثقافية والاقتصادية وإنّ من أهم ما يدفع عنها كل أنواع العدوان هو التواصل لحل المشاكل وسد الثغرات وتبديل نقاط الضعف إلى مواطن قوة.

الخوف من للدول:

قال الشيخ رحمه الله: "وأمّا الخائف من الدول فيخصّص بعنايته من يخافه دون غيره وذلك ظلم لا ينتظم معه نظام العالم"(١١١) .

"الخوف وهو تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال مشكوك الوقوع ... ثم الخوف على نوعين: (أحدهما) مذموم بجميع أقسامه، وهو الذي لم يكن مِن الله ولا من صفاته المقتضية للهيبة والرعب، ولا من معاصي العبد وجناياته، بل يكون لغير ذلك من الأمور ... وهذا النوع من رذائل قوة الغضب من طرف التفريط، ومن نتائج الجبن. و(ثانيهما) محمود وهو الذي يكون من الله ومن عظمته ومن خطأ العبد وجنايته، وهو من فضائل القوة الغضبية، إذ العاقلة تأمر به وتحسنه، فهو حاصل من انقيادها لها"(١١٢)، ولا يخفى أنّ المراد هنا هو الأول المذموم لأن الدوّل جمع مفرده الدَوْلَة، وذُكر في معناها: انقلابُ الزمانِ أو العُقْبَةُ في المالِ -وفسّرت العُقْبة بالنَوْبة والبَدَل- أو الدولة في المُلْك والسّن التي تغير وتُبدلُ وقيلَ انتقالُ النِّعْمة من قَوْمٍ إلى قَوْمٍ أو الاسْتيلاءُ والغَلَبَةُ(١١٣)، وحيث إن أكثر ما يخافه الحكام اليوم هو الاستكبار العالمي وسطوته فهم لرضاه مبادرون غير ملتفتين لكرامة الأمّة وعزتها، ولو طلبوا رضا الله جل جلاله لنصرهم وأعزهم، وقد يقال إنّهم يخافون -فيما لو بذلوا للأمّة ما ينهض بها- الانقلاب عليهم وتسلط غيرهم على كراسيهم ولذلك يسلبون من الأمّة عوامل قوتها ويحيطون بعنايتهم من يتوقعون أنه ناصرهم، وقد تقدم أنّ الحاكم إذا عدل وأحسن فإن الرعية لا تبتغي عنه بدلا.

الارتشاء في الحكم:

قال الشيخ قدس سره: "وأمّا المرتشي في الحكم فلظلمه وذهابه بالحقوق والوقوف فيها على الحيف دون المقاطع الحقّة، فترى أحد هؤلاء إذا أراد فصل قضيّة دافع بها طويلا وصعّب الحقّ وعرّض بغموضه وأشار بالصلح بين الخصمين مع ظهور الحقّ لأحدهما وكانت غايته من ذلك تخويف صاحب الحقّ من فواته ليجنح إلى الاصلاح والرضى ببعض حقّه مع أنّه قد يأخذ منه رشوة أيضاً، وربّما كانت في المقدار كرشوة المبطل منهما. ولهم في ذلك حيل يعرفها من عاناهم..."(١١٤).

التعطيل للسنة:

قال الشيخ قدس سره: "وأمّا المعطل للسنّة فلتضييعه قوانين الشريعة وإهمالها المستلزم لفساد النظام في الدنيا والهلاك الدائم في الأخرى"(١١٥).

النموذج الثالث: من كتاب إلى أصحاب المسالح

من كتاب لأمير المؤمنين عليه السلام إلى أمراءه على الجيوش: « **فَإِنَّ حَقّاً عَلَى الْوَالِي أَلَّا يُغَيِّرَهُ عَلَى رَعِيَّتِهِ فَضْلٌ نَالَهُ، ولا طَوْلٌ خُصَّ بِهِ، وأَنْ يَزِيدَهُ مَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ مِنْ نِعَمِهِ دُنُوّاً مِنْ عِبَادِهِ، وعَطْفاً عَلَى إِخْوَانِهِ.**

أَلَا وإِنَّ لَكُمْ عِنْدِي أَلَّا أَحْتَجِزَ دُونَكُمْ سِرّاً إِلّا فِي حَرْبٍ، ولا أَطْوِيَ دُونَكُمْ أَمْراً إِلَّا فِي حُكْمٍ، ولا أُؤَخِّرَ لَكُمْ حَقّاً عَنْ مَحَلِّهِ، ولا أَقِفَ بِهِ دُونَ مَقْطَعِهِ. وأَنْ تَكُونُوا عِنْدِي فِي الْحَقِّ سَوَاءً ...»(١١٦).

قال الشيخ قدس سره: "اعلم أنّه قدّم هاهنا ما يجب على الوالي المطلق لرعيّته بوجه كلّي كما هو عادة الخطيب، ثمّ ثنّى ببيان ما يجب عليه لهم تفصيلاً لذلك الكلّي...

أمّا الأوّل [ما يجب بنحو عام وكلي]: ... وأشار فيه إلى أمرين:

أحدهما: أن لا يغيّره عنهم ما اختصّ به من الفضل والطَول؛ لأنّ تغيّره عنهم خروج عن شرائط الولاية.

الثاني: أن تزيده تلك النعمة من الله دنوّاً من عباده عطفاً على إخوانه؛ لأنّ ذلك من تمام شكر النعمة.

وأمّا الثاني [ما يجب تفصيلاً]: فاشترط على نفسه لهم خمسة أمور:

أحدها: أن لا يحتجز دونهم سرّاً في الأمور المصلحيّة إلا في الحرب. ويحتمل ترك مشورتهم هناك أمرين:

أحدهما: أنّ أكثرهم ربّما لا يختار الحرب فلو توقّف على المشورة فيه لما استقام أمره بها. ولذلك كان عليه السّلام كثيرا ما يحملهم على الجهاد ويتضجّر من تثاقلهم عليه، وهم له كارهون، ...

الثاني: أن يكتم ذلك خوف انتشاره إلى العدوّ فيكون سبب استعداده وتأهّبه للحرب ...

الثاني: أنّه لا يطوي دونهم أمراً إلا في حكم. استعار لفظ الطّيّ لكتمان الأمر: أي لا يخفى عنكم أمرا إلا أن يكون حكماً من أحكام الله فإني أقضيه دونكم من غير مراقبة ومشاورة فيه كالحدود وغيرها.

الثالث: أن لا يؤخّر لهم حقّاً عن محله كالعطاء وساير الحقوق اللازمة له ولا يقف به دون مقطعه كالأحكام المتعلقة بالمتخاصمين المحتاجة إلى الفصل.

الرابع: أن يسوى بينهم في الحقّ.

والأوّلان مقتضى فضيلة الحكمة، والثالث والرابع مقتضى فضيلة العدل"[١١٧].

خاتمة:

ليس لأيّ شخصٍ تسلط على رقاب المسلمين بالقوة والقهر أن يطالبهم بالطاعة العمياء، ويفرض عليهم ما يشاء من الآراء، وليس له أن يتصرف بالعباد والبلاد كيف يريد وحسب ما يشاء، بل الحاكم في نظر الإسلام عبدٌ كلّفه الله عزّوجلّ برعاية مصلحة الأمّة والأخذ بالمجتمع نحو ما فيه رضا الله تعالى، فالحاكم عليه واجبات لا بدّ من أن يفي بها وأن يؤديها، أولها تقوى الله تعالى والحكم بالعدل وفق شرع الله عزّوجلّ.

ولا شك في أن للحاكم حقوق على أبناء الأمّة يعينه وفاؤهم بها على أداء تكاليفه على أتم وجه، فالحقوق والواجبات أمور متبادلة بين الحاكم والمحكوم وأينما أدى كل من الطرفين ما عليه للطرف الآخر كان التقدم والرقي والعكس

صحيح.

ولو بُحث في التاريخ الإنساني عن حاكم أفضل من أمير المؤمنين عليه السلام -بعد الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله- فلن يوجد؛ ولذلك كان أخذ الحكام بوصاياه خير لهم ولشعوبهم، ومن نعم الله جل جلاله على أهل البحرين أن غرس هذه الوصايا في وجدانهم كجزء لا ينفصل عن التراث الإيماني العظيم الواصل من أهل بيت الطهارة عليهم السلام، ويجب عليهم من باب شكر المنعم أن يحافظوا عليها وأن يتمسكوا بها، فلا يفرطوا فيها أو يستبدلوها بالغث والهزيل من أطروحات الشرق والغرب البعيدة عن الهدي الإلهي المنير.

وبعد هذه الإطلالة السريعة على بعض ما أُثر عن الشيخ ميثم البحراني قدس سره في شرحه لنهج البلاغة يتضح البون الشاسع بين ما ينبغي أن يكون عليه الحاكم وما عليه حكام المسلمين اليوم، وأنّ ما يطلبه أبناء الأمّة الإسلامية اليوم من تغيير أو إصلاح للأنظمة الحاكمة هو ما يفرضه عليهم تاريخهم وثقافتهم الإسلامية العريقة، وأن إهمال هذا الإرث وزهدهم فيه هو انسلاخ عن هويتهم المحمدية.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يمنّ على بلادنا وعموم بلاد المسلمين بالأمن والاستقرار وأن يبعد عن أمّة محمد صلى الله عليه وآله الشر والضر، إنه رحيم كريم.

***

الهوامش

(١) لعلّ أفضل ترجمة محققة للشيخ ميثم البحراني هو المقال الذي كتبه أستاذنا الشيخ فاضل الزاكي -حفظه الله- بعنوان «العالم الرباني الشيخ ميثم البحراني» ونشر في قسمين في رسالة القلم العددين ١٠ و١١ فراجع.

(٢) شرح نهج البلاغة، بن ميثم البحراني، ج٥، ص١٦٨, الطبعة الاولى ١٤٢٧هـ أنوار الهدى-قم.

(٣) المصدر نفسه، ج٥، ص١٦٨.

(٤) المصدر نفسه، ج٥، ص١٦٩.

(٥) المصدر نفسه، ج٤، ص١١٥.

(٦) المصدر نفسه، ج٥، ص١٦٩.
(٧) المصدر نفسه، ج٥، ص٢١١-٢١٢.
(٨) المصدر نفسه، ج٥، ص٢١٧-٢١٨.
(٩) الكافي، الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، ج٣، ص٢١٤، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ، دار الحديث - قم.
(١٠) شرح نهج البلاغة، بن ميثم البحراني، ج٥، ص١٧٠.
(١١) المصدر نفسه، ج٥، ص١٧٥.
(١٢) الكافي، الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، ج٤، ص٣٤ ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ، دار الحديث - قم.
(١٣) شرح نهج البلاغة، بن ميثم البحراني، ج٥، ص١٧٠.
(١٤) المصدر نفسه، ج٥، ص١٧٥.
(١٥) كتاب العين، الفراهيدي، الخليل بن أحمد، ج١، ص٢٥٠، الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ، نشر الهجرة - قم.
(١٦) شرح نهج البلاغة، بن ميثم البحراني، ج٥، ص١٧٠.
(١٧) المصدر نفسه، ج٥، ص١٧٦.
(١٨) المصدر نفسه، ج٥، ص١٧١.
(١٩) المصدر نفسه، ج٥، ص١٧٦.
(٢٠) تاج العروس، مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد، ج١٠، ص٤٧٧-٤٧٨، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، دار الفكر - بيروت.
(٢١) شرح نهج البلاغة، بن ميثم البحراني، ج٥، ص١٧١.
(٢٢) المصدر نفسه، ج٥، ص١٧٦.
(٢٣) الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، محمد حسين، ج١، ص٣٧١، الطبعة الثانية ١٤١٢ هـ إسماعيليان - قم.
(٢٤) جامع السعادات، النراقي، محمد مهدي، ج١، ص٢٧٦، الطبعة السابعة ١٤٢٨هـ إسماعيليان - قم.
(٢٥) لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم، ج٢، ص٤٠٦، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ دار صادر - بيروت.
(٢٦) جامع السعادات، النراقي، محمد مهدي، ج١، ص٣٢٨ وص٣٤٥، الطبعة السابعة ١٤٢٨هـ إسماعيليان - قم.
(٢٧) المصدر نفسه، ج١، ص٢٦٦.
(٢٨) كتاب العين، الفراهيدي، الخليل بن أحمد، ج٨، ص٣٤، الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ، نشر الهجرة - قم.

(٢٩) شرح نهج البلاغة، بن ميثم البحراني، ج٥، ص٢١٥.
(٣٠) شرح نهج البلاغة، بن ميثم البحراني، ج٥، ص٢٢٦.
(٣١) المصدر نفسه، ج٥، ص١٧٢.
(٣٢) المصدر نفسه، ج٥، ص١٨٠.
(٣٣) جامع السعادات، النراقي، محمد مهدي، ج١، ص٢٩٨، الطبعة السابعة ١٤٢٨هـ إسماعيليان - قم.
(٣٤) كتاب العين، الفراهيدي، الخليل بن أحمد، ج١، ص١٤٠، الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ، نشر الهجرة - قم.
(٣٥) تحف العقول عن آل الرسول، ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، ص٤٨٨، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ، جماعة المدرسين - قم.
(٣٦) نهج البلاغة (لصبحي صالح)، الشريف الرضي، محمد بن حسين، ص٥٠١، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، الهجرة - قم.
(٣٧) شرح نهج البلاغة، بن ميثم البحراني، ج٥، ص١٧١.
(٣٨) سورة الرعد:١١.
(٣٩) شرح نهج البلاغة، بن ميثم البحراني، ج٥، ص١٧٧.
(٤٠) المصدر نفسه، ج٥، ص١٧١.
(٤١) المصدر نفسه، ج٥، ص١٧٧.
(٤٢) المصدر نفسه، ج٥، ص١٧١.
(٤٣) المصدر نفسه، ج٥، ص١٧٧.
(٤٤) الكافي، الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، ج٣، ص٧٥٤ ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ، دار الحديث - قم.
(٤٥) شرح نهج البلاغة، بن ميثم البحراني، ج٥، ص٢١٥.
(٤٦) المصدر نفسه، ج٥، ص٢٢٤.
(٤٧) المصدر نفسه، ج٥، ص١٧١.
(٤٨) المصدر نفسه، ج٥، ص١٧٨.
(٤٩) لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم، ج٩، ص٣٣٢، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ دار صادر - بيروت.
(٥٠) النمل:٤٠.
(٥١) النحل:٩٠.
(٥٢) شرح نهج البلاغة، بن ميثم البحراني، ج٥، ص٤٢٨.
(٥٣) المصدر نفسه، ج٥، ص١٧٢.
(٥٤) المصدر نفسه، ج٥، ص١٧٨.

(٥٥) عيون أخبار الرضا، ابن بابويه، محمد بن علي، ج٢، ص٢٨، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، نشر جهان - طهران.
(٥٦) شرح نهج البلاغة، بن ميثم البحراني، ج٥، ص١٧٣.
(٥٧) آل عمران:١٨٨.
(٥٨) شرح نهج البلاغة، بن ميثم البحراني، ج٥، ص١٨٢-١٨٤.
(٥٩) المصدر نفسه، ج٥، ص١٧٣.
(٦٠) المصدر نفسه، ج٥، ص١٨٤.
(٦١) تحف العقول عن آل الرسول، ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، ص٣٧، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ، جماعة المدرسين - قم.
(٦٢) عيون الحكم والمواعظ، الليثي الواسطي، علي بن محمد، ص١٢٧، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، دار الحديث - قم.
(٦٣) شرح نهج البلاغة، بن ميثم البحراني، ج٥، ص١٧٤.
(٦٤) المصدر نفسه، ج٥، ص١٨٤.
(٦٥) المصدر نفسه، ج٥، ص١٧٢.
(٦٦) المصدر نفسه، ج٥، ص١٨١-١٨٢.
(٦٧) المصدر نفسه، ج٥، ص١٨٦.
(٦٨) أي يثقله: النهاية، ابن الأثير الجزري، مبارك بن محمد، ج٣، ص٩٦، الطبعة الرابعة ١٤٠٩ هـ مؤسسة إسماعيليان - قم.
(٦٩) شرح نهج البلاغة، بن ميثم البحراني، ج٥، ص١٩٥.
(٧٠) المصدر نفسه، ج٥، ص١٨٨.
(٧١) المصدر نفسه، ج٥، ص١٩٩.
(٧٢) الكافي، الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، ج١٤، ص٦٣٨، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ، دار الحديث - قم.
(٧٣) شرح نهج البلاغة، بن ميثم البحراني، ج٥، ص١٨٨.
(٧٤) المصدر نفسه، ج٥، ص٢٠١.
(٧٥) المصدر نفسه، ج٥، ص١٨٩.
(٧٦) المصدر نفسه، ج٥، ص٢٠٣-٢٠٤.
(٧٧) المصدر نفسه، ج٥، ص١٩١.
(٧٨) المصدر نفسه، ج٥، ص٢٠٨-٢٠٩.
(٧٩) المصدر نفسه، ج٥، ص٢١١.
(٨٠) المصدر نفسه، ج٥، ص٢١٦.
(٨١) المصدر نفسه، ج٥، ص٢١٦.

(٨٢) المصدر نفسه، ج٥، ص٢١٦.
(٨٣) المصدر نفسه، ج٥، ص٢١٣.
(٨٤) المصدر نفسه، ج٥، ص٢١٩.
(٨٥) المصدر نفسه، ج٥، ص٢١٣.
(٨٦) المصدر نفسه، ج٥، ص٢٢٠.
(٨٧) المصدر نفسه، ج٥، ص٢١٣.
(٨٨) المصدر نفسه، ج٥، ص٢٢٠.
(٨٩) المصدر نفسه، ج٥، ص٢١٣.
(٩٠) المصدر نفسه، ج٥، ص٢٢١.
(٩١) المصدر نفسه، ج٥، ص٢١٣-٢١٤.
(٩٢) المصدر نفسه، ج٥، ص٢٢١.
(٩٣) المصدر نفسه، ج٥، ص٢١٤.
(٩٤) المصدر نفسه، ج٥، ص٢٢٣.
(٩٥) المصدر نفسه، ج٥، ص٢١٤.
(٩٦) المصدر نفسه، ج٥، ص٢٢٤.
(٩٧) المصدر نفسه، ج٥، ص٢١٥.
(٩٨) سورة البقرة: ٢٦٤.
(٩٩) سورة الصف:٣.
(١٠٠) شرح نهج البلاغة، بن ميثم البحراني، ج٥، ص٢٢٤.
(١٠١) المصدر نفسه، ج٥، ص٢١٥.
(١٠٢) المصدر نفسه، ج٥، ص٢٢٦.
(١٠٣) المصدر نفسه، ج٣، ص١٨٨.
(١٠٤) المصدر نفسه، ج٣، ص١٩٠.
(١٠٥) مستدرك الوسائل، النوري، حسين بن محمد تقي، ج٧، ص١٣، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، مؤسسة آل البيت - قم.
(١٠٦) شرح نهج البلاغة، بن ميثم البحراني، ج٣، ص١٩٠.
(١٠٧) غرر الحكم ودرر الكلم، التميمي الآمدي، عبد الواحد بن محمد، ص٩٧ ، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ، دار الكتاب الإسلامي - قم.
(١٠٨) تحف العقول عن آل الرسول، ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، ص٧٣-٧٤، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ، جماعة المدرسين - قم.
(١٠٩) شرح نهج البلاغة، بن ميثم البحراني، ج٣، ص١٩٠.
(١١٠) كتاب العين، الفراهيدي، الخليل بن أحمد، ج٦، ص١٩٠، الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ،

نشـر الهجـرة - قم.

(١١١) شرح نهج البلاغة، بن ميثم البحراني، ج٣، ص١٩٠.

(١١٢) جامـع السـعادات، النراقـي، محمـد مهـدي، ج١، ص٢٠٧، الطبعـة السـابعة ١٤٢٨هـ إسـماعيليان - قـم.

(١١٣) تـاج العـروس، مرتضـي الزبيـدي، محمد بـن محمـد، ج١٤، ص٢٤٥، الطبعـة الأولى ١٤١٤هـ، دار الفكر - بيروت.

(١١٤) شرح نهج البلاغة، بن ميثم البحراني، ج٣، ص١٩٠.

(١١٥) المصدر نفسه، ج٣، ص١٩١.

(١١٦) المصدر نفسه، ج٥، ص١٦٠.

(١١٧) المصدر نفسه، ج٥، ص١٦٠.

الإيمان في نهج البلاغة

الشيخ محمد علي حسن خاتم

المقدمة

إنّ من يتشهّد الشهادتين فإنّه يدخل في ربقة الإسلام فيجري عليه ما يجري على المسلمين، لكنّ هذا ما هو إلا أول الطريق في سلّم الارتباط بالله عزّ وجلّ والوصول إليه، فمن بعد التعهد من الإنسان بأن يلتزم بأوامر الله ونواهيه يأتي الإسلام ليفتتح الكثير من الطرق أمامه ليصل إلى الله تعالى ذكره، فهناك الكثير من الطرق التي تؤدّي إلى هذا الهدف، وأفضلها ما أشار إليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو الإيمان بالله تعالى، فقال في خطبته المعروفة بالديباج: ‹إنّ أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله سبحانه الإيمان به وبرسوله›[1]، وقد احتل هذا المفهوم نصيبا وافرا من الروايات والآيات الدالة عليه والمشيرة إلى كل ما يتعلّق به، وفي هذا البحث نظر في بعض منها خصوصا ما ورد عن الأمير عليه السلام في نهج البلاغة، لنتعرف على حقيقة الإيمان والفارق بينه وبين الإسلام، مرورا بأقسامه وكيفية استشعاره فينا والتعرف على التعامل مع الآخر بلحاظ الدرجة الإيمانية، ونختمه بذكر جملة من الطرق التي تسهم في إعانة الفرد على الارتقاء إلى أعلى الدرجات الإيمانية.

الإيمان وبيان فرقه عن الإسلام

قال أمير المؤمنين عليه السلام في بيان معنى الإيمان أنّه تصديقٌ في القلب بالله تعالى وبما أنزل من كتاب على رسوله الأعظم صلى الله عليه وآله ولهذا التصديق ترجمة في الخارج عن طريق العمل، فعندما سئل عن الإيمان، قال عليه السلام: >الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان<[٢] وهذه ثلاثة أمور لابد من تحققها ليتحقق الإيمان وهي:

المعرفة بالقلب: وهي عبارة عن التصديق بالله تعالى والقبول والإذعان بما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وآله من معتقدات حقّة. ولا يكتفى بهذا التصديق بل لابد من الأمر الثاني للذم الوارد في قوله تعالى: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا}[٣]، ومن يضطر إلى إخفاء إيمانه على المستوى اللساني فإنّ إيمانه باقٍ ولا يزول لقوله تعالى: {إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ}[٤].

وإقرار باللسان بأن يتشهد الشهادتين، ولو لم يوافق القلب.

وعمل بالأركان: وأركان الشيء هي ما يستند إليها ويتقوم بها[٥]، وأركان الإسلام خمسة بها يتقوّم إسلام المسلم فلو أنكرها فهو مرتد، وهذه الأركان خمسة هي الواردة في الحديث الشريف عن إمامنا الباقر عليه السلام: >بني الإسلام على خمس دعائم[٦]: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحجّ البيت، والولاية لنا أهل البيت<[٧].

ومن هنا نعي جيّد تفسير قوله تعالى: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ}[٨] لأنّ "الإسلام انقياد ودخول في السلم، وإظهار الشهادة وترك المحاربة يشعر به"[٩]، وفائدته حقن الدماء وتحليل النكاح واحترام المال، لا أكثر من ذلك، فالإسلام لوحده لا ينجي من الهلاك في الآخرة بل لا بد من الإيمان، يقول الإمام الصادق عليه السلام: >إن الإسلام قبل الإيمان، وعليه يتوارثون ويتناكحون، والإيمان عليه يثابون<[١٠].

والإمام الباقر عليه السلام يختزل الأمور الثلاثة في أمرين أولهما مترتب على

المعرفة والتصديق حيث قال: >الإيمان إقرار وعمل والإسلام إقرار بلا عمل<[11].
ونلاحظ هنا أنّ الإمام يركز على أهمية أن يوجد عنصران يتحقق بهما الإيمان هما الإقرار مع العمل، وإذا أقر شخصٌ ولم يتحقق منه العمل فإنه لا يستحق وسام الإيمان بل يكون مستحق لوسام آخر هو أقل بدرجات من الإيمان وهذا الوسام هو الإسلام، وعلى هذا لا يكون الإيمان بالتمني بل لابد من خلوصه في القلوب وتصديق عمل الإنسان بأنّه مقر بهذا الأمر.

فمن هنا يتّضح لنا أن الإيمان يختلف عن الإسلام مفهوم لكن على نحو العموم من وجه؛ فمن كان مؤمن فقد تحقق الإسلام منه ولا عكس، لذا يقول الإمام الصادق عليه السلام في رواية الفضيل بن يسار: >الإيمان يشارك الإسلام والإسلام لا يشارك الإيمان<[12]، ويمثل الإمام الصادق عليه السلام بمثال لطيف للتفريق بينهما بتشبيه الإيمان بالكعبة والإسلام بالحرم، ففي معرض جوابه عليه السلام عن أيهما أفضل الإيمان أو الإسلام، فقال: >الإيمان أرفع من الإسلام... قال عليه السلام: ما تقول في من أحدث في المسجد الحرام متعمداً؟ قلت-أي الراوي-: يقتل، قال: أصبت فما تقول فيمن أحدث في الكعبة متعمداً؟ قلت: يقتل، قال: أصبت ألا ترى أن الكعبة أفضل من المسجد وأن الكعبة تشرك المسجد والمسجد لا يشرك الكعبة، وكذلك الإيمان يشرك الإسلام والإسلام لا يشرك الإيمان<[13].

أقسام الإيمان

قال الأمير عليه السلام: >فمن الإيمان ما يكون ثابتاً مستقراً في القلوب، ومنه ما يكون عواري بين القلوب والصدور إلى أجل معلوم<[14]، يقسّم الأمير عليه السلام الإيمان إلى قسمين:

القسم الأول: الإيمان المستقر: وهو ما بلغ حد الكمال، فصار ثابت مستقر في القلب بالبرهان اليقيني، وبلوغه حدّ الكمال لكونه قد ظفر بالبرهان الراجع إلى ما لا يزول من العقل ولا يضعف وهي البديهيات، وقد عبّر الأمير عليه السلام عن

هذا القسم بقوله: >فمن الإيمان ما يكون ثابتاً مستقراً في القلوب<.

القسم الثاني: الإيمان غير المستقر وهو ما كان متزلزلاً باعتبار كونه في معرض الزوال سريع كما عبّر الإمام عليّ عليه السلام بأنه يكون عواري بين القلوب والصدور؛ وهذا أضعف الأقسام لأنّه لا يستند إلى برهان ولا قياس، بل هو على سبيل التقليد للأسلاف السابقين، وبمن يحسن الظن بهم كالزُهاد والعُبّاد، وقد عبّر الأمير عليه السلام عن هذا القسم بقوله: >ومنه ما يكون عواري بين القلوب والصدور< فجعله عارية لا تدخل القلب بل بين القلب والصدر.

القسم الثالث: وهذا متوسط بين القسمين السابقين من حيث الرسوخ فهو بين الثبات والتزلزل لأنّه يستند إلى القياس الجدليّ، كمن يؤمن بالاعتماد على جملة من الأقيسة التي تنفع في مقام الجدل ولا تبلغ حدّ البرهان اليقيني وهذا القسم مستفاد من بعض النسخ لنهج البلاغة حيث كانت العبارة هكذا >فمن الإيمان ما يكون ثابت مستقر في القلوب، ومنه ما يكون عواري [في القلوب، ومنه ما يكون عواري] بين القلوب والصدور إلى أجل معلوم<، فيكون الأمير عليه السلام قد عبّر عن هذا القسم بقوله >ومنه ما يكون عواري في القلوب< فهذا القسم داخل في القلب لكنه لا يطيل المكث في القلب لذا استعار عليه السلام لفظ العواري؛ ليقول: >إنّ الإيمان بمعنى العارية التي تكون في البيت فهي غير ثابتة فيه دائماً فزمان الإعارة ينقضي فهي بعرضة الخروج منه«[15].

استشعار الإيمان

الإيمان لا يمكن إدراكه بالحواس فليس هو عضو في الجسم بحيث يمكن لمسه أو الإشارة إليه حتى... بل هو أمر معنوي يدركه صاحب القلب السليم، نعم لهذا الإيمان أمور يتجلى من خلالها نشير إلى نزر يسير منها:

التسليم: التسليم إلى الله تعالى والرضا بقضائه، يقول الرسول صلى الله عليه وآله: >إن لكل شيء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه

وما أخطئه لم يكن ليصيبه<(١٦)، وهذا هو التسليم المطلق له تعالى، فلا اعتراض على حكمه وحب ورض بقضائه وقدره.

التوكل: أن يكون الإنسان المؤمن متوكّلاً على الله تعالى، يقول الأمير عليه السلام: >لا يصدق إيمان عبد حتى يكون بما في يد الله أوثق منه بما في يده<(١٧) فما في يد العبد من رزق -مثلاً- فهو خيرٌ قد قسمه الله له فتارة يستغني وأخرى يفتقر، وعلى كلّ حال فعين الله تراقبه أيشكر ويحمد أم يكفر وينقم، فإن كان في كل أحواله لله شاكر وعليه متوكّلاً قرّبه الله إليه، ورزقه ما لا يحتسب في الدنيا والآخرة.

الحب في الله: الحب في الله والبغض في الله، عندما أحب ما يحبه الله وأبغض ما يبغضه الله وأغضب لا لمصلحتي الشخصية بل أغضب لله فيكون هذا الأمر خير تجل على وجود الإيمان في قلب الإنسان. يقول الرسول صلى الله عليه وآله: >لا يجد العبد حقيقة الإيمان حتى يغضب لله ويرضى لله فإذا فعل ذلك فقد استحق حقيقة الإيمان<(١٨).

حبّ النبي وآله: حبّ النبي محمد وآله الطاهرين، وهذا من الحقائق المهمة التي تُميز الإيمان الصادق من الإيمان الكاذب فهذا قول الرسول صلى الله عليه وآله لعلي بن أبي طالب: عليه السلام >لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق، أو ولد زنيه، أو حملته أمّه وهي طامث<(١٩). وإحياؤنا لمجالس الفرح والحزن عليهم وتمسكنا بها وذكر فضائلهم والنهل من علومهم لهو خير دليل على حبّهم عليهم السلام، وهذا التمسك لا علاقة له بالتعصب الجاهلي أو الانتماء القبلي أو الدم النسبي بل هذا التمسك هو من الحب الشديد لهم والرغبة في إظهار المودّة لهم عليهم السلام لعلنا نفوز بأعالي درجات الجنان لأنّه إن حققنا الإيمان في قلوبنا لم يبق علينا إلا أن نتنافس في فضائل الدرجات؛ كما قال الصادق عليه السلام: >خرجت مع أبي عليه السلام حتى إذا كنا بين القبر والمنبر إذا هو بأناس من الشيعة، فسلَّم عليهم فردوا عليه السلام، ثم قال: إنّي والله لأحب ريحكم وأرواحكم واعلموا أن ولايتنا لا تنال إلا

بالعمل والاجتهاد من ائتمّ منكم بعبدٍ فليعمل بعمله... أنتم شيعة الله، وأنتم أنصار الله وأنتم السابقون الأولون والسابقون الآخرون، السابقون في الدنيا إلى ولايتنا والسابقون في الآخرة إلى الجنة، وقد ضمنا لكم الجنة بضمان الله وضمان رسوله، ما على درجات الجنة أحد أكثر أزواجاً منكم فتنافسوا في فضائل الدرجات أنتم الطيبون ونساؤكم الطيبات كل مؤمنة حوراء عيناء وكل مؤمن صدّيق<[٢٠].

الإيثار: يقول الأمير >الإيمان أن توثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك<[٢١]، وهذه الخصلة العظيمة ترفع المؤمن فوق نفسه فلا يراها مفضّلة على الآخرين، ففي غالب الأحيان يقدّم مصالحهم على مصالحة. وهذا خلق نتعلّمه من رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد ورد في الخبر أنه صلى الله عليه وآله >ما شبع ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا، ولو شاء لشبع ولكنّه كان يؤثر على نفسه<، ومن وصيّه علي بن أبي طالب عليه السلام عند ما بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله: >فأوحى الله إلى جبرئيل وميكائيل: إنّي آخيت بينكما، وجعلت عمر الواحد منكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كلاهما الحياة، فأوحى الله عزّوجلّ إليهما: أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين محمد، فبات على فراشه يفديه بنفسه فيؤثره بالحياة، فأنزل الله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بالعِبَاد}.

السماحة: يقول الأمير عليه السلام: >المؤمن بشره في وجهه، وحزنه في قلبه. أوسع شيء صدراً، وأذلّ شيء نفساً. يكره الرفعة، ويشنأ السمعة. طويل غمه. بعيد همه. كثير صمته. مشغول وقته. شكور صبور. مغمور بفكرته. ضنين بخلته. سهل الخليقة. ليّن العريكة. نفسه أصلب من الصلد وهو أذلّ من العبد<[٢٢]، وهنا جملة من العلامات أولها السماحة ونكتفي بها وهي عبارة عن «العطاء بكرم وسخاء»[٢٣] فالمؤمن سمح يعطي الآخرين من روحه الطيبة وخلقه العالي بالبشر الذي يراه الآخرون في وجهه، فيكون باباً تنفتح به أساريرهم وقد تنفرج همومهم، وهذا المؤمن يعبّر عنه الأمير عليه السلام في موضع آخر بقوله: >مأمول لكل شدّة هشّاش

بشّاش<(٢٤)، ويقال للرجل هش بش إذا كان «طلق الوجه»(٢٥) فتكون هشّاش على فعّال فيها من المبالغة ما فيها.

آفات الإيمان

كل ما يكون في القلب لابد له من مفسدات، فينبغي معرفتها والتنبّه إليها والنظر في النفس نظرة فاحص عنها فإن كانت موجودة قلعها وإن لم تكن احترز عنها، وهنا ثلاث من الآفات:

مجالسة أهل الهوى: يقول الأمير عليه السلام: >واعلموا أنّ يسير الرياء شرك ومجالسة أهل الهوى مَنْساة للإيمان، ومَحْضَرة للشيطان<(٢٦) فمجالسة أهل الهوى تدعو إلى الغفلة عن الإيمان ونسيانه، وإذا حصل هذا صدرت من الإنسان أفعال تتنافى مع ما يؤمن به في واقع نفسه فقد يفعل أفعال الكفار ويضمر أفكار الملحدين ولو التفت إلى إيمانه لم يقبل من نفسه الانحراف عن جادّة الصواب.

أما أهل الهوى فهم الذين يتّبعون ما تميل إليه نفوسهم من دون رعاية إلى مبغوضيتها وقبحها.

الكذب: يقول الأمير عليه السلام: >جانبوا الكذب فإنّه مجانب للإيمان، الصادق على شرف منجاة وكرامة، والكاذب على شفا مهواة ومهانة<(٢٧)، الإمام ينهى عن الكذب لأنّه لا يمكن أن يجتمع مع الإيمان أبد ، والكذب ليس فيه نفع حتى لو جلب شيئ من فتات الدنيا ما جلب، وهذا ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام حيث كان ويقول: >يا علي! عليك بالصدق، فإن ضرّك في العاجل كان فرجك في الآجل<(٢٨) ومنه قيل:

عليك بالصدق ولو أنّه ... أحرقك الصدق بنار الوعيد

ويقول أيض : >جانبوا الكذب، فإنّ الصادق على شفا منجاة وكرامة، والكاذب على شفا مهواة وهلكة<(٢٩) ذلك لأنّ نتيجة الكذب تنتهي إلى الفجور والعياذ بالله

لذا كان الكذب مجانب للإيمان.

الحسد: يقول الأمير عليه السلام: >ولا تحاسدوا فإنّ الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب<[٣٠] الحسد «من أعظم أبواب الشيطان التي يدخل بها على القلب»[٣١]، لأنّ الحاسد ينشغل فكره وقلبه بأمر المحسود ويراقبه بشكل دائم ويرافق هذا الانشغال حزن وهمّ لما يرد على المحسود من خيرات ويتغافل هذا المسكين عن ما وهبه الله تعالى من الخيرات الظاهرة والباطنة وبدل أن يغبط يحسد، وكلّما أصرّ على الحسد انشغل عن العمل الصالح الجالب للحسنات والخيرات، وقد يصل الأمر بالحاسد إلى أن يتبرّأ الله منه؛ يقول الإمام الصادق عليه السلام: >قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله تعالى لموسى بن عمران: لا تحسدنّ الناس على ما آتيتهم من فضلي، ولا تمدّن عينيك إلى ذلك ولا تتبعه نفسك، فإنّ الحاسد ساخط لنعمي، صادق لقسمي الذي قسمت بين عبادي، ومن يك كذلك فلست منه وليس مني<[٣٢].

درجات الإيمان

وبما أنّ هذه الأمور كالحب في الله والبغض في الله وكذا حب أهل البيت عليهم السلام تتفاوت بين الناس شدة وضعف مما يعني أن الإيمان في الناس بتبعها متفاوت شدة وضعف فليس حبنا لأهل البيت كحب سلمان-رضوان الله عليه- ولا تسليمنا كتسليم مالك الأشتر... وهذا ما نريد الآن الحديث عنه وهو درجات الإيمان.

الروايات الشريفة يوجد فيها ما يدل على وجود تعدد في درجات الإيمان كقول الرسول صلى الله عليه وآله: >إنّ أعلى منازل الإيمان درجة واحدة، من بلغ إليها فقد فاز وظفر وهو أن ينتهي بسريرته في الصلاح إلى أن لا يبالي لها إذا ظهرت ولا يخاف عقابها إذا استترت<[٣٣] وكقول الإمام الصادق عليه السلام: >إنّ الإيمان عشر درجات...<[٣٤]، وكقول الأمير عليه السلام: >لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقينا< "معناه: بلوغ أقصى درجات الإيمان بالله تعالى، وأقصى ما يمكن من معرفة الله تعالى، وقوله صلى الله عليه وآله: (رب زدني علما)

يدل على أن علمه قابل للزيادة، وهو لا ينافي بلوغه أقصى درجات الإيمان، وأقصى ما يمكن من معرفة الله تعالى"[٣٥].

ولك أن تسأل عن حد هذه الدرجات فما هي أقصى الدرجات وما هي أدناها، وجوابه ما ورد في بحار الأنوار على لسان بعض المحققين حيث قال:

١- وأوائل درجات الإيمان تصديقات مشوبة بالشكوك والشبه على اختلاف مراتبها ويمكن معها الشرك {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ}[٣٦].

٢- وأواسطها تصديقات لا يشوبها شك ولا شبهة {الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا}[٣٧] وأكثر إطلاق الإيمان عليها خاصة {إِنَّمَا المُؤمِنونَ الَّذينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَت قُلوبُهُم وَإِذا تُلِيَت عَلَيهِم آياتُهُ زادَتهُم إيمانًا وَعَلىٰ رَبِّهِم يَتَوَكَّلونَ}[٣٨].

٣- وأواخرها تصديقات كذلك مع كشف وشهود وذوق وعيان ومحبة كاملة لله سبحانه وشوق تام إلى حضرته المقدسة {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ}[٣٩].

وإلى المراتب الثلاثة الإشارة بقوله عَزَّوَجَلَّ: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[٤٠].

وأعلى الكل ما ورد في قول رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ: **<إنّ أعلى منازل الإيمان درجة واحدة، من بلغ إليها فقد فاز وظفر وهو أن ينتهي بسريرته في الصلاح إلى أن لا يبالي لها إذا ظهرت ولا يخاف عقابها إذا استترت>**[٤١]، وهناك غاية أخرى للإيمان وهي أن يصل العبد إلى مصافّ الأولياء الصالحين ولن يكون إلا إذا ترقّى العبد في إيمانه، فإذا ترقى العبد في إيمانه بلغ منزلة الرضا بالقضاء، وإذا ازداد في سلم الإيمان علو وسمو وصعود ، أصبح شاكر لربه على البلاء، فالأولياء الصالحون لن يكونوا مؤمنين إلا كما وصفهم الإمام الكاظم عَلَيْهِالسَّلَامُ: **<حتى تعدوا البلاء نعمة،**

والرخاء مصيبة، وذلك أن الصبر عند البلاء أعظم من الغفلة عند الرخاء»[٤٢].

فوائد معرفة درجات الإيمان

بعد هذا نسأل ماهي الفائدة المتحصلة من معرفتنا لدرجات الإيمان؟

وهنا نكتفي بذكر ثلاث من الفوائد:

الفائدة الأولى: الارتقاء في درجات الإيمان عندما يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ ورَسُولِهِ والْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ والْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ومَن يَكْفُرْ بِاللّهِ ومَلاَئِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ والْيَومِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا}[٤٣] أي أنه يأمر الذين آمنوا ودخل الإيمان في قلوبهم بأن يرتقوا في درجاتهم الإيمانية ولا يمكن تفسيرها بغير هذا وإلا لكان العبث واقع واضح في القرآن وهذا لا يسلم به أحد، فالفائدة الأولى هي أنه على كل واحد منا أن يسعى لأن يرتقي بإيمانه إلى أرقى درجة يمكنه الارتقاء إليها.

الفائدة الثانية: عدم إسقاط العالي للداني وهي مذكورة في هذا الحديث الشريف المروي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام حيث يقول: «إنّ الإيمان عشر درجات بمنزلة السلم يصعد منه مرقاة بعد مرقاة، فلا يقول صاحب الاثنين لصاحب الواحد لست على شيء -حتى ينتهي إلى العاشرة فيقول- فلا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك»[٤٤]، ومطلوبنا من هذا الحديث هو في الفقرة الأخيرة إذ هي في الواقع قاعدة في غاية الأهمية ينبغي لكل واحد منّا أن يضعها نصب عينيه؛ لأنّي إن وفقت لأداء الحج وأداء النوافل وصيام عدد من الأيام والشهور المستحبة -مثلاً- فإنّه لا يحق لي أن أسقط من هو دوني وأن أقول بأنه ليس على شيء لأنّي إن فعلت هذا حق لمن هو أعلى مني درجة أن يسقطني ويقول لي إنّك لست على شيء.

الفائدة الثالثة: عدم كسر المؤمن وهي قاعدة أخرى يذكرها الإمام عليه السلام في نفس الحديث السابق فيقول: «فلا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك

فإذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فارفعه إليك برفق، ولا تحملنّ عليه ما لا يطيق فتكسره فإنّ مَن كسر مؤمناً فعليه جبره>. حيث يأمرنا الإمام بأن كل إنسان قد وصل إلى درجة من الإيمان أرقى من غيره -ولو ادعاءً- فعليه أن يرفق بمن هو دونه فلا يحمل عليه ما لا يطيقه، وليس له أن يقول بأن هذا الشخص أدنى منه في درجة الإيمان وأنه ليس من أهل الخير والصلاح، لأنّ هذا المنطق ينجرّ على نفس المتكلم إذ يوجد في الخارج من هو أرفع منه درجة في الإيمان فيكون من السهل أن يسقط... وفي هذه الفقرة يذكر الإمام عليه السلام قيد مهم لمن يسعى في هداية غيره؛ هذا القيد هو الرفق، صحيح أنّه على من هو في درجة أرقى أن يرفع من هو دونه إليه، ولكن لا بد من أن تكون عملية الرفع هذه موسومة بالرفق كي لا تحصل حالة النفور من الإيمان، وهذا ما يُعبر عنه الإمام بأنه كَسْرٌ.

وهذا حديث آخر يوصل المراد بشكل أكبر فقد جاء في الكافي الشريف عن يعقوب بن الضحاك عن رجل من أصحابنا كان خادماً عند أبي عبدالله الصادق عليه السلام... يقول الخادم بعثني أبوعبدالله عليه السلام في حاجة وهو بالحيرة، أنا وجماعة من مواليه، قال: فانطلقنا فيها، ثم رجعنا مغتمين، قال: وكان فراشي في الحائر الذي كنا فيه نزولاً فجئت وأنا بحالٍ فرميت بنفسي، فبينما أنا كذلك إذا أنا بأبي عبدالله عليه السلام قد أقبل، قال: فقال: قد أتيناك، فاستويت جالساً وجلس على صدر فراشي فسألني عما بعثني له فأخبرته، فحمد الله، ثم جرى ذكر قومٍ، فقلت: جعلت فداك إنّا نبرأ منهم، إنّهم لا يقولون ما نقول، قال الإمام: يتولونا ولا يقولون ما تقولون تبرؤون منهم؟ قال قلت: نعم، قال: فهو ذا عندنا ما ليس عندكم فينبغي لنا أن نبرأ منكم؟، قال: لا، قال: وهو ذا عند الله ما ليس عندنا أفتراه أطرحنا؟، قال قلت: لا والله جعلت فداك ما نفعل؟، قال عليه السلام: فتولوهم ولا تتبرؤوا منهم إنّ من المسلمين من له سهم، ومنهم من له سهمان، ومنهم من له ثلاثة ... -حتى وصل إلى سبعة أسهم، وهذه الأسهم هي تعبير عن درجات

الإيمان عند الإنسان- فليس ينبغي أن يحمل صاحب السهم على ما عليه صاحب السهمين ولا صاحب الثلاثة على صاحب الأربعة... سأضرب لك مثلاً، إنّ رجلاً كان له جارٌ -وكان نصرانيا - فدعاه إلى الإسلام وزينه له فأجابه، فأتاه سحيرا فقرع عليه الباب، فقال له: من هذا؟، قال: أنا فلان، قال: وما حاجتك؟، قال: توضّأ وألبس ثوبيك ومرّ بنا إلى الصلاة! فتوضّأ ولبس ثوبيه وخرج معه. فصلّيا ما شاء الله ثمّ صلّيا الفجر، ثمّ مكثا حتّى أصبحا، فقام الذي كان نصرانيا يريد منزله، فقال له الرجل: أين تذهب؟ النهار قصير، والذي بينك وبين الظهر قليل، فجلس معه إلى صلاة الظهر، ثمّ قال: وما بين الظهر والعصر قليل، فاحتبسه حتّى صلّى العصر. ثمّ قام وأراد أن ينصرف إلى منزله، فقال له: إنّ هذا آخر النهار وأقلّ من أوله فاحتبسه حتى صلّى المغرب.. ثمّ أراد أن ينصرف إلى منزله، فقال له: إنّما بقيت صلاة واحدة، فمكث حتّى صلّى العشاء الآخرة، ثمّ تفرّقا. فلمّا كان سحيرا غدا عليه، فضرب عليه الباب، فقال: من هذا؟، فقال: أنا فلان، قال: وما حاجتك؟، قال: توضّأ وألبس ثوبيك وأخرج بنا فصلّ، قال: اطلب لهذا الدّين من هو أفرغ منّي، وأنا إنسانٌ مسكينٌ وعلي عيال، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أدخله في شيء أخرجه منه<(٤٥).

فبدل أن يبعده عن الضلال والشرك قام بممارسة أسلوب خاطئ ولم يراع التفاوت في الإيمان مما سبب في ضلال هذا الرجل، وبهذا المثال أشار الإمام عليه السلام إلى أسلوب خاطئ مفاده أن يُحمل من هو دون ما لا يطيق، وللأسف هناك من الأشخاص ممن يوفقون لبعض التوفيقات كالقيام ببعض المستحبات كصلاة الليل وما شاكل إلا أنّه ينظر إلى الباقي وكأنّهم يوشك أن يُزج بهم إلى النار وهذا غير صحيح؛ فالإمام الصادق عليه السلام يذكر عشر خصال بها يكون الإنسان مؤمنا وعندما يصل إلى العاشرة يقول: >والعاشرة! وما العاشرة؟! لا يلقى أحداً إلا قال: هو خيرٌ مني وأتقى، إنّما النّاس رجلان رجلٌ خير منه وأتقى، وآخر شر منه وأدنى، فإذا لقي الذي هو خير منه تواضع له ليلحق به، وإذا لقي الذي هو شر

منه وأدنى قال: لعل شر هذا ظاهر وخيره باطن، فإذا فعل ذلك فقد علا وساد أهل زمانه<(٤٦).

وهذه الرواية مهمة جد حيث تعلمني كيف أتوقف أمام كل إنسان ألقاه وأجعل من نفسي متواضعة أمام الآخرين لأن خيرهم إما ظاهر وباطن أو باطن فقط وهذا يعطيني حالة من التواضع أمام الآخرين وفيها ما فيها من مراعاة للمستويات الإيمانية بين الناس.

ويكفي أثر من هذا أن يكون المؤمنون أجمع في حالة من الترابط الشديد فكلٌ يتعلّق بمن هو أرفع منه بيد واليد الأخرى ممدودة لمن هو أسفل منه... فإذا تصورت هذا فإنّك ستجد المؤمنين مترابطين متماسكين، وكلٌ يرفق بالآخر ويرفعه ويرتفع.

الارتقاء بعد الاستقامة

العلو في درجات الإيمان يحتاج إلى نفس قابلة لذلك ومن هنا لا بد:

أولاً: من سلامة القلب واللسان قال رسول صلى الله عليه وآله: >لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه<(٤٧)، وهنا قد حذف المتعلق مما يدلّ على العموم الشامل لكل ما فيه ذمّ واستنقاص للغير، وأشار الأمير إلى مفردة منها فقال عليه السلام: >سليم اللسان من أعراضهم<(٤٨)، فإذا سلم اللسان من هذه الأباطيل وتطهّر منها كان لسانه مستقيم على الحق، واستقامة اللسان تكشف غالبا عن استقامة القلب.

وثانيا: الصبر ويعتبر الصبر أول درجات الإيمان الذي يبدأ المؤمن به سلّم الارتقاء إلى مدارج الكمال، يقول الأمير عليه السلام: >وعليكم بالصبر فإنّ الصبر من الإيمان كالرّأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس معه، ولا في إيمان لا صبر معه<(٤٩).

كيف أرتقي إلى أعلى الدرجات؟

ذُكر في الروايات وفي كلمات العلماء طرق عديدة نذكر منها:-

الأول: العلم والمعرفة:

فبهما تزداد قيمة الإنسان، وتعلو درجته كلّما ازدادت معرفته حتى يصل إلى ما دون الأنبياء؛ قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: >أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد، أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل، وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل<[٥٠]، وقال أمير المؤمنين عليه السلام >يا مؤمن إنّ هذا العلم والأدب ثمن نفسك فاجتهد في تعلمهما، فما يزيد من علمك وأدبك يزيد من ثمنك وقدرك، فإنّ بالعلم تهتدي إلى ربك، وبالأدب تحسن خدمة ربك<[٥١].

وقال عليه السلام: >تعلم العلم فإنّ تعلمه حسنة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة وهو عند الله لأهله قربة... يرفع الله به أقواما يجعلهم في الخير أئمة...<[٥٢].

الثاني: العمل الصالح:

المؤمن هو من يظهر إيمانه في سلوكه ومن كان كذلك فإنّ عمله لا يكون إلا عملاً صالح وهذا ما يطلبه الإسلام من المؤمنين قال تعالى: {وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ}[٥٣]، وبركة العمل الصالح يتقوم بالكيف لا بالكم، وخير مثال على هذا مبيت الإمام علي عليه السلام ليلة واحدة في فراش الرسول صلى الله عليه وآله، وضربته يوم الخندق كانت تعادل عبادة الثقلين، لذا لا بد من اقتران الإيمان بالعمل، لذا يركّز الأمير عليه السلام على ضرورة هذا الاقتران حيث يقول: >لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل<[٥٤] ولا يصحّ أن يكتفي العبد بأن يكون محبّ للصالحين، وفي مقابل هذا الحب لا يعمل عملهم، >فبالإيمان يستدل على الصالحات، وبالصالحات يستدل على الإيمان<[٥٥]، ولا بد للإخلاص من أن يكون حاضر في العمل وإلا كان هذا العمل هشيم تذروه الرياح بل

هباء منثور .

الثالث: الأخلاق الحسنة؛

فبها يبلغ الإنسان أعظم الدرجات ويصل إلى مقامات رفيعة حتى لو كان قليل العبادة، يقول أمير المؤمنين عليه السلام موصيا : **>روّضوا أنفسكم على الأخلاق الحسنة، فإنّ العبد المؤمن يبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم<**(٥٦)، وقال عليه السلام: **>عليكم بمكارم الأخلاق فإنّها رفعة، وإياكم والأخلاق الدنية فإنّها تضع الشريف، وتهدم المجد<**(٥٧)، وروي عن الإمام الصادق عليه السلام **>إنّ أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً<**(٥٨).

ومن ثمرات الارتقاء إلى أعلى الدرجات

رؤية الله تعالى: وقد سأل ذعلب اليماني الأمير فقال: **>هل رأيتَ ربك يا أمير المؤمنين؟، فقال عليه السلام: أفأعبد ما لا أرى؟، فقال: كيف تراه؟، فقال: لا تراه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان<**(٥٩).

إدراك حقائق الولاية: **>إنّ أمرنا صعب مستصعب لا يحمله إلا عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان ولا يعي حديثنا إلا صدور أمينة، وأحلام رزينة<**(٦٠)، وهذا يعني أن أمرهم عليهم السلام مما يحتاج إدراك كنهه إلى صفاء في النفس، وقلب سليم، وصدر مستنير.

والبحث طويل الذيل، أكتفي بهذا القدر من الإطلالة على هذا المفهوم المهم جدّ سائلاً الله تعالى أن يوفّقنا للعمل على قدم وساق لرقي إيماننا -والطمع محمود في مثل هذه المواضع- وأن يهبنا الدرجات العلى وأن يجعلنا مع محمد وآل بيته الطاهرين الميامين المنتجبين.

***

الهوامش

(١) نهج البلاغة، من خطبة له عليه السلام في فرائض الإسلام خطبة ١١٠.

(٢) نهج البلاغة، الكلمات القصار ٢٢٧.

(٣) سورة النمل: ١٤.
(٤) النحل: ١٠٦.
(٥) تاج العروس للزبيدي، ج ١٨، ص ٢٤٢.
(٦) جمع دعامة، وهي عماد البيت.
(٧) الأمالي للشيخ الطوسي الجزء الخامس حديث ٥، ومثله وزيادة في الكافي ج٢، ص١٦. وتتمة من الرواية أنقلها للفائدة: > ...أما لو أنّ رجلاً قام ليله، وصام نهاره، وتصدّق بجميع ماله، وحجّ جميع دهره، ولم يعرف ولاية وليّ الله فيواليه، ويكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله حقّ في ثوابه، ولا كان من أهل الإيمان<.
(٨) الحجرات: ١٥.
(٩) التفسير الصافي للفيض الكاشاني ج٦ ص٥٢٥.
(١٠) الكافي ج١، باب الاضطرار إلى الجنة، ص ١٧٣، ح٤.
(١١) الكافي ج٢، باب الإسلام يحقن به الدم، ص ٤٢، ح٢.
(١٢) الكافي ج٢، باب أنّ الإيمان يشرك الإسلام ولا عكس، ص ٢٥، ح١.
(١٣) الكافي ج٢، باب أنّ الإيمان يشرك الإسلام ولا عكس، ص٢٦، ح٤.
(١٤) نهج البلاغة، في كلام له عليه السلام في تقسيم الإيمان والنهي عن البراءة من أحد.. خطبة ١٨٩.
(١٥) شرح أصول الكافي للمولى المازندراني ج٨، ص١٠٥، شرح ابن أبي الحديد ج١٣، ص٧٠، بحار الأنوار للمجلسي ج٦٦، ص٢٢٨ (بتصرف في الجميع).
(١٦) وسائل الشيعة ج١٥ باب٧ من أبواب جهاد النفس، ص٢٠١، ح١.
(١٧) نهج البلاغة، من الكلمات القصار ٣١٠.
(١٨) ميزان الحكمة ج١ ص ١٩٢.
(١٩) وسائل الشيعة ج٢ باب٢٤ من أبواب الحيض، ص٣١٩، ح٨.
(٢٠) الأمالي للصدوق، ص ٧٢٤، المجلس ٩١، ح٤.
(٢١) نهج البلاغة، من الكلمات القصار ٤٥٨.
(٢٢) نهج البلاغة، من الكلمات القصار ٣٣٣.
(٢٣) تاج العروس للزبيدي ج٤، ص ٩٥.
(٢٤) من خطبة للأمير عليه السلام في صفات المتقين.
(٢٥) الصحاح للجوهري ج٣، ص٩٩٦.
(٢٦) نهج البلاغة خطبة ٨٦.

(٢٧) نهج البلاغة، من خطبة له عليه السلام في صفة الجنة والحث على العمل وذكر نعمة الدين ذمّ الرياء والكذب.
(٢٨) كنز العمال للمتقي الهندي ص٧٩٩ رقم الحديث ٤٣١٧٠. وقريب منه ما في البحار للمجلسي ج٧٤ ص٦١.
(٢٩) نهج البلاغة، من خطبة له عليه السلام في صفة الجنة والحث على العمل وذكر نعمة الدين وذم الرياء والكذب.
(٣٠) نهج البلاغة، من خطبة له عليه السلام فيها صفات من يحبه الله وحال أمير المؤمنين مع الناس.
(٣١) شرح أصول الكافي للمازندراني ج١، ص١٧١.
(٣٢) وسائل الشيعة باب ٥٥ من أبواب جهاد النفس الحديث ٦ ، ج١١، ص٢٩٣.
(٣٣) بحار الأنوار ج٧١ ص٣٦٩ ح١٩.
(٣٤) الكافي ج٢ ص٤٠باب نسبة الإسلام ح٢.
(٣٥) منتهى المطالب للعلامة الحلي ج٣، ص ٤٤.
(٣٦) سورة يوسف: ١٠٦.
(٣٧) سورة الحجرات: ١٥.
(٣٨) سورة الأنفال: ٢.
(٣٩) سورة المائدة ٥٤.
(٤٠) سورة المائدة: ٩٣.
(٤١) بحار الأنوار للمجلسي ج٦٢، ص١١٥-١١٦ (بتصرف).
(٤٢) التمحيص لمحمد بن همّام الاسكافي ص ٤- ٥.
(٤٣) سورة النساء: ١٣٦.
(٤٤) الكافي ج٢ ص٤٠ باب نسبة الإسلام ح٢.
(٤٥) الكافي ج٢ص٤٣ باب درجات الإيمان ح٢.
(٤٦) الأمالي للطوسي ج٦، ص٢٤٠ ح٥.
(٤٧) نهج البلاغة، خطبة ١٧٦.
(٤٨) من خطبة له عليه السلام يحذّر من متابعة الهوى.
(٤٩) نهج البلاغة، من الكلمات القصار ٨٢.
(٥٠) ميزان الحكمة ج٤ ص ٣٠٢٢.
(٥١) بحار الأنوار ج١ص ١٨٠باب فرض العلم ووجوبه ح٦٤.
(٥٢) روضة الواعظين للفتال النيسابوي ص٩.

(٥٣) سورة طه: ٧٥.
(٥٤) تحف العقول ص١٥٧ في موعظته عليه السلام ووصفه المقصرين.
(٥٥) نهج البلاغة، خطبة ١٥٦
(٥٦) بحار الأنوار ج١٠ ص٩٩ باب ٧، تحف العقول ص ١١١ في آدابه لأصحابه وهي أربعمائة باب للدين والدنيا.
(٥٧) تحف العقول، ص٢١٥ من قصارى كلماته عليه السلام.
(٥٨) الكافي ج٢ ص٩٩ باب حسن الخلق ح١.
(٥٩) نهج البلاغة، من كلام له في التنزيه جواباً لمن سأله هل رأيت ربك.
(٦٠) نهج البلاغة، خطبة في كلام له في تقسيم الإيمان والنهي عن البراءة من أحد.

الزهد في نهج البلاغة

الشيخ منصور ابراهيم عباس الجبيلي

عند الحديث عن صفة أو فضيلة معينة في شخص من الأشخاص ونسبة هذه الصفة لهذه الشخصية أو تلك فإنّ هذه الصفة تضفي نوء من الشرف والرتبة والفضيلة للمنسوب إليه فيكون صاحب هذه الصفة ذا شرف وكرامة وهذا شيء طبيعي لكنه من الغريب حدوث عكس ذلك! أعني: أن تتشرف الصفة والفضيلة بسبب الشخصية المنسوبة إليها فهو على خلاف المألوف، وسرعان ما يزول هذا العجب والدهشة عندما تعرف أنّ هذه الشخصية هي شخصية الأمير علي بن أبي طالب عليه صلوات المصلين وأما الصفة التي تشرفت به فهي صفة الزهد.

فما هو الزهد في اللغة والاصطلاح؟ وما هو السبب أو الدافع للزهد؟ وماذا قال علي عليه السلام في الزهد؟ وما هي فوائد وثمرات الزهد؟ وما هي موانع الزهد؟

لقد تجسّد الزهد في حياته وسلوكه عليه السلام فحينما نقرأ حياته نجد ذلك واضح جلي فعن ابن عباس قال: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار وهو يخصف نعله، فقال لي: ما قيمة هذه النعل؟ ،فقلت: لا قيمة لها، فقال عليه السلام: لهي أحب إلي من إمرتكم إلا أقيم بها

حق أو أدفع بها باطلاً[1]. نريد أن نقف على كلماته في نهج البلاغة كي ننهل منه مفهوم الزهد ونجعله قدوة ونطبقه في سلوكنا وحياتنا اليومية.

مفهوم الزهد في اللغة كما ذهب جملة من أصحاب معاجم اللغة هو الترك والإعراض والرغبة عن الشيء واحتقاره، وخلاف الزهد في الشيء الرغبة في الشيء. والجمع زهاد، ومادته (زهد) من باب شرف وفرح وضرب[2]، وأما الزهد في الاصطلاح: هو أن لا يريد الدنيا بقلبه ويتركها بجوارحه إلا بقدر ضرورة بدنه، وبعبارة أخرى: هو الإعراض عن متاع الدنيا وطيّباتها من الأموال والمناصب وسائر ما يزول بالموت[3]، وأما الزهد في القرآن الكريم فعن علي عليه السلام: >**إنّ الزهد بين كلمتين** {لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ} **من لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد استكمل الزهد بطرفيه**<[4]، فلا يحرص كل الحرص على الأمور الدنيوية لأنّها زائلة بل يتركها مهما أمكن له ذلك فيأخذ منها مقدار ما يعيش وبما أنّ الدنيا دار فناء فلا يطول أمله وبهذا المضمون جاء عن الأمير عليه السلام: > **...أيّها الناس! الزهادة قصر الأمل، والشكر عند النعم، والورع عند المحارم**<[5]. ما يستفاد من الرواية أنّ الزهد ليس هو عدم الحصول على شيء ولا رفض نعم الدنيا بل هوعدم التعلق بالدنيا والتشبث بمغرياتها والانشغال بالنعم دون المنعم، فعن الصادق عليه السلام: >**ليس الزهد في الدنيا بإضاعة المال ولا تحريم الحلال بل الزهد في الدنيا أن لا تكون بما في يدك أوثق منك بما عند الله** عزّ وجلّ<[6].

فلا يجزع جزع الحريصين إذا أصيب بمصيبة أو خسر شيئ ولا يفرح فرح المنتصرين إذا أعطي نعمة، فهو يأسر الدنيا أونعم الدنيا لا أنّه أسير للدنيا ونعمها فكأنّما الإمام عليه السلام يردّ توهم هو أنّ الزهد إضاعة المال وتحريم ما أحل الله فجاء الإمام عليه السلام ليبيّن معنى الزهد الحقيقي وأنّ ما في يد الإنسان يزول ويذهب وأما ما عند الله فهو باق.

وهنا تجدر الإشارة إلى وجود الفرق بين الزهد والتصوّف فمعنى الزهد

يتحقق بمجرد الإعراض عن الدنيا ومتاعها وأما التصوف فقد أخذ في مفهومه مجاهدة النفس وترويضها، والزهد ثمرة من ثمرات التصوف وليس التصوف من الشعائر والعقائد الدينية.

أسباب الزهد:

ما يدفع الإنسان الى أن يزهد في الدنيا وما فيها كثير، فأكتفي بذكر بعض منها:

١- التمسك بالدائم، فالإنسان العاقل يتمسك بالشيء الدائم والباقي لا الشيء الفاني والزائل، لذلك يقيم للدنيا وزنا.

٢- الاستقرار والطمأنينة، الإنسان دائما يطلب الاستقرار والطمأنينة طلبا حثيثا وهذان يحصلان بالزهد فلا يحرص على شيء من هذه الحياة الدنيا.

٣- قلّة مدّة الحساب يوم المحشر، لأنّ هذه الحياة الدنيا في حلالها حساب وفي حرامها حساب وفي الشبهات عتاب فبمقدار رفع الإنسان يده عن مغريات الدنيا يقل حسابه ولا يطول وقوفه يوم القيامة، فعن الصادق عليه السلام حينما سئل عن الزهد فقال: >الذي يترك حلالها مخافة حسابه ويترك حرامها مخافة عقابه<[٧].

٤- مواساة الفقراء بسطاء العيش من الناس، فعندما سئل علي عليه السلام عن سبب زهده على الرغم من كونه حاكم ، فأجاب: إنّ الله افترض على أئمة العدل أن يقدروا لأنفسهم بالقوام كيل يتبيّع -يهيج به الألم فيهلكه- بالفقير فقره[٨].

كلمات الأمير عليه السلام في الزهد:

-قوله: >ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز<[٩]. إنّ علي عليه السلام يشبّه الدنيا بالشيء الحقير حيث لا أحد يتسابق، بل يطلب الشيء الحقير فهي عنده ليست بشيء فلا يرى منصبا ولا جاها ولا كرسيا ولا شيئا له قيمة، إنّ من يزهد في الدنيا فهو ينظر إلى الآخرة هكذا.

-ومن كلامه عليه السلام: >والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها،

ولقد قال لي قائل: ألا تنبذها عنك؟ فقلت له: أغرب عنّي، فعند الصباح يحمد القوم السرى<(١٠)، الأمير استخدم هنا مثلاً عند العرب وهو (عند الصباح يحمد القوم السرى) وهو مثل يضرب لمن يحتمل المشقّة عاجلاً ليصل إلى الراحة آجلا، فهو عليه السلام يتحمّل قساوة العيش وشدّته ليصل إلى الآخرة سالم ، فأقلّ ما فيها يكفيه.

-ومن كلامه عليه السلام: >وإنّ دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لعلي ونعيم يفنى ولذة لا تبقى؟<(١١). وهنا لا ينفي وجود النعيم؛ نعم يوجد نعيم لكنه غير دائم وزائل ولم ينف اللّذة لكنه يصفها بالفناء وعدم البقاء فإذا كان هذا وصفها فعلام التمسّك بها؟

-وأخير من كلامه عليه السلام وهو يخاطب الدنيا: >إليك عنّي يا دنيا، فحبلك على غاربك، قد انسللت من مخالبك وأفلت من حبائلك واجتنبت الذهاب من مداحضك<(١٢).

ينقل عن الأحنف بن قيس قال: >دخلت على علي بن أبي طالب عليه السلام وقت إفطاره إذ دعا بجراب مختوم فيه سويق الشعير، فقلت: يا أمير المؤمنين لم أعهدك بخيلا فكيف ختمت على هذا الشعير؟، فقال: لم أختمه ولكن خفت أن يلينه الحسن والحسين بسمن أوزيت، قلت: هما حرام عليك؟ فقال: لا، ولكن يجب على الأئمة أن يتغذوا بغذاء ضعفاء الناس وأفقرهم ليراهم الغني فيزداد شكراً وتواضعاً لله سبحانه وتعالى<(١٣). فها هو الأمير عليه السلام يعلّمنا بأنّه ليس كلّ شيء مباح نمارسه.

يحدثنا المؤرخون عن لباسه أنّه كان كرباس خشن غليظ رخيص لا يتجاوز ثمنه ثلاثة دراهم وكان يرقّعه عند الحاجة، هكذا كان لباسه عليه السلام.

وأما موقفه مع قصر الأمارة المعروف حينما تشرفت الخلافة به، جاؤوا به إلى القصر باعتباره حاكم فقال لهم عليه السلام: >جنبونيه إنّه قصر الخبال...<، فمن يقدر على زهد كهذا !! فما أعظمك يا أمير المؤمنين وأعظم زهدك!!

مراحل الزهد

قُسّم الزهد إلى ثلاث مراحل:

الأولى: وهي السفلى، أن يزهد الإنسان في الدنيا وهو لها مشته، وقلبه إليها مائل، ونفسه إليها ملتفتة، ولكنه يجاهدها ويكفها.

الثانية: أن يترك الدنيا طوعاً لاستحقاره إيّاها بالإضافة إلى الآخرة المرغوب فيها، كالذي يترك درهما لأجل درهمين فإنّه لا يشق عليه ذلك، وهو يظن بنفسه أنّه ترك شيئاً له قدر لما هو أعظم قدر منه.

الثالثة: وهي العليا، أن يزهد طوعاً ويزهد في زهده فلا يرى زهده إذ لا يرى أنّه ترك شيئاً ، حيث عرف أنّ الدنيا لا شيء، فيكون كمن ترك نواة وأخذ جوهرة، فلا يرى ذلك معاوضة، وهذا كمال ومثله الزهد. ومثله مثل من منعه من باب الملك كلب على بابه فألقى إليه لقمة خبز فشغله بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى نفذ أمره في جميع مملكته، أفترى لنفسه يد عند الملك بلقمة خبز ألقاها إلى الكلب في مقابلة ما ناله؟!، فالشيطان كلب على باب الله يمنع الناس من الدخول والدنيا كلقمة خبز يأكلها، فلذّتها حال المضغ وتنقضي على القرب بالابتلاع، ثم يبقى ثفلة -ما يترسب في أسفل الشيء من كدره- في المعدة، ثم ينتهي إلى النتن والقذر ويحتاج إلى إخراج الثفل، فمن يتركها لينال قرب الملك كيف يلتفت إليها؟

ثمرات الزهد

إنّ للزهد ثمرات وفوائد منها:

١- نيل الزاهد المحبّة من الله سبحانه وتعالى ومن الناس، ومن نال ذلك فقد عاش سعيد ، ففي الرواية: <**ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد عمّا في أيدي الناس يحبك الناس**>[١٤].

٢- إثبات العلم والحكمة، فعن النبي صلى الله عليه وآله: <**إذا رأيتم العبد قد أعطي صمتاً**

وزهداً في الدنيا فاقربوا منه فإنّه يلَقّى الحكمة< وعنه صلى الله عليه وآله: >من أراد أن يؤتيه الله علماً بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا<[١٥].

٣- الأمن يوم الحساب يوم لا ظل إلا ظله، فعن النبي صلى الله عليه وآله: أنّه >قال الله تعالى ليلة الإسراء: يا أحمد... هل تعرف ما للزاهدين عندي في الآخرة؟، فقال: لا يا ربّ، قال: يبعث الخلق ويناقشون بالحساب وهم في ذلك آمنون...<[١٦].

موانع الزهد

من أبرز موانع الزهد:

١- إيثار الدنيا على الآخرة، فمن آثر الدنيا على الآخرة يبتليه الله بأحد ثلاث كما في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله: >من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلاث: همٌّ لا يفارق قلبه أبداً، وفقرٌ لا يستغني معه أبداً، وحِرْصٌ لا يشبع معه أبداً<[١٧].

٢- طول الأمل واتّباع الهوى، ففي الحديث الشريف: >إنّما أخاف عليكم اثنان: اتباع الهوى وطول الأمل<.

إنّ هذه موانع تحجب الإنسان عن الزهد ورقي روحه فيظلّ متمسّك بهواه خالد للأرض لأنّه عظّم الدنيا فكبرت في عينه حتى آثرها على الآخرة فيبتلى بهمّ وفقر وشقاوة.

ماذا قالوا في زهد علي عليه السلام؟

ابن أبي الحديد المعتزلي: "وأما في الدنيا فهو سيد الزهاد وبدل الأبدال وإليه تشد الرحال، ما شبع من طعام قط، وكان أخشن الناس مأكلاً وملبساً"[١٨]، و كان يقول: "لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوان"، وهو الذي طلّق الدنيا ثلاث ، وكانت الأموال تجبى إليه من جميع بلاد الإسلام.

وعن عمرو بن عبد العزيز: ما علمنا أنّ أحد كان في هذه الأمّة بعد النبي صلى الله عليه وآله أزهد من علي بن أبي طالب عليه السلام.

حريّ بالإنسان المؤمن أن يقتدي بأمير المؤمنين عليه السلام ويرفض هذه الدنية

الفانية ويتمسّك بالآخرة الباقية.

اللّهم اجعل محيانا محيا محمد وآل محمد ومماتنا ممات محمد وآل محمد ولا تفرّق بيننا وبين محمد وآله طرفة عين أبد .

***

الهوامش

(١) نهج البلاغة، خطبة ٣٣.
(٢) معجم الطراز الأول، ج٥ ص٤٠٦.
(٣) جامع السعادات، الطبعة الأولى (ط الأميرة) ص٣١٥.
(٤) الأخلاق للسيد عبدالله شبر الباب السادس في الزهد.
(٥) النهج خطبة ٧٩.
(٦) الأخلاق، ص٢٩١.
(٧) نفس المصدر ص٢٩٢.
(٨) شرح ابن أبي الحديد،ج١١ ص٣٥- ٣٦.
(٩) النهج خطبة ٣.
(١٠) النهج خطبة ١٦٠.
(١١) النهج خطبة ٢٢٤.
(١٢) النهج كتاب ٤٥.
(١٣) التذكرة لابن الجوزي الباب الخامس.
(١٤) مرآة الكمال، باب الزهد ج٢ ص٣١٠.
(١٥) الأخلاق، الباب السادس في الزهد.
(١٦) مرآة الكمال باب الزهد ج٢ ص٣١١.
(١٧) الأخلاق، ص٢٩١.
(١٨) شرح ابن أبي الحديد، ج١ ص٢٦.

تقرير حول عدد من شروح نهج البلاغة

هيئة التحرير

تمهيد

يعتبر كتاب نهج البلاغة -الذي دون بيراع الشريف الرضي رحمه الله- من أهم الكتب الإسلامية التي حظيت باهتمام بالغ منقطع النظير من قبل العلماء والأدباء والمفكرين بجميع أطيافهم الدينية والمذهبية والفكرية والسياسية، حيث انكبوا على دراسته والتأمل في مفاصله، استلهام منه تارة وشرح وتحقيق تارة أخرى، وعلى مدى قرون مديدة، بدء من القرن السادس الهجري وإلى زماننا المعاصر، ولعل أبرز ما يواجه الباحث حول نهج البلاغة كثرة الشروح عليه، بلغات مختلفة، ومناهج متعددة، فقد ذكر العلامة الأميني رحمه الله في المجلد الرابع من غديره أكثر من ثمانين شرح ، وآغا بزرك الطهراني في الجزء الرابع عشر من كتابه الذريعة أكثر من مائة وخمسين شرح ، كلّ ذلك يكشف عن أهمية هذا الكتاب، وفي هذا التقرير نتعرّض إلى بعض منها بصورة خاطفة وموجزة.

١. شرح معارج ج البلاغة (للبيهقيّ)

المؤلف:

أبو الحسن علي بن زيد البيهقيّ المشهور بفريد خراسان، وبابن فندق. عالم، حكيم، أديب، رياضيّ من أعلام القرن السّادس. عاش بين سنة ٤٩٩ وسنة ٥٦٥هـ. ولد في سبزوار (بيهق) و قرأ علوم الأدب والفقه والحساب والجبر والحكم، وصار قاضي لمدينته عام ٥٢٦هـ[١].

مذهبه

اختلفوا حول مذهبه، فبعضهم قال بتسننه وبعضهم بتشيّعه[٢].

نظرات خاطفة حول الشرح:

- تأليفه: ألّفه البيهقيّ عام (٥٥٢هـ)، وهو شرح موجز. أنجزه في قسمين: أتمّ الأوّل في التّاسع من ربيع الآخر (٥٥٢هـ)، والثّاني من الفقرة (١٥٧٩ إلى ٢٢٢١) في الثّالث عشر من جمادى الأولى من نفس السّنة.

ـ كان تأليفه الكتابَ بطلب من بعض علماء عصره، كما صرّح بذلك في بعض فقرات شرحه، فقد ذكر ذلك في الفقرة الخامسة عشر من شرحه قائلاً: "إنّ أحد أصدقائه الأفاضل طلب منه شرح ألفاظ نهج البلاغة"، وفي الفقرة السّادسة عشر ما نصّه: "قبل ذلك، طلب منّي الإمام السّعيد جمال المحقّقين أبو القاسم عليّ بن حسن الحونقيّ النّيسابوريّ شرح هذا الكتاب، لكن الزّمان عاقني عن هذا العمل". وقال في الفقرة السّابعة عشر منه: "وبعده -أي بعد وفاة الحونقيّ- طلب منّي أحد أفاضل عصرنا أن أشرح نهج البلاغة، وحثّني على ذلك فهممتُ بإتمامه".

ـ ذكر المؤلّف أنّه لم يُسبق بغيره إلى شرح نهج البلاغة، معللاً ذلك بقوله: "مَن كان قديراً في علم الأُصول، لم يبلغ في علم اللغة وأمثاله غايةً، ومَن كان ضليعاً بهما لم يخبر علم الطبّ والحكمة والأخلاق، ومَن كان متمكّناً من هذه العلوم والآداب كلّها فليس له في التّاريخ وأيّام العرب بأْعُ يُذكر، ومَن بلغ الغاية فيها جميعها، فعقيدته

في انتساب هذا الكتاب إلى أمير المؤمنين عليه السلام لم تكن على وجه التّمام، ومَن تهيّأت له هذه بأسرها لم يبلغ كُنه الكنز المكنون لهذا الكتاب، فتوفيق الله كنز مكنون وهبه من شاء"[٣].

بعد أن ذكر البيهقيّ عدد من الفقرات الّتي تشكّل مقدّماته، نقل شعر في فضيلة نهج البلاغة، ثمّ عرّج على بعض الموضوعات في الفصاحة والبلاغة، وبعد ذلك تحدّث عن صحّة استناد النهج، ووجه تسميته وتوضيحها، وانتهى إلى شرحه. أما أسلوبه في الشرح فقد جعل شرحه على شكل فقرات يبلغ مجموعها (٢٢٢١) فقرةً، وناقش في كل فقرة مسألة خاصّة، ويغلب على شرحه الطابع اللغوي والأدبي، ومزجه بالمباحث الكلاميّة والحكميّة نوع ما.

- طبعه: كان كتاب (المعارج) قبل طبعه المقرون بالتحرير والمقدّمة سنة ١٤٠٩هـ نسخة مخطوطة في مكتبات محدودة، ثمّ أصدرته مكتبة آية الله المرعشيّ النّجفيّ سنة ١٤٠٩هـ في (٤٦٨) صفحة مع مقدّمة تشتمل على (٧١) صفحة بجهود السّيّد محمّد تقي دانش بژوه، ومن أهم ما تضمّنته ملاحظات مهمّة حول نهج البلاغة وشروحه وفهرس للموضوعات والأعلام وفهرس للمفردات المشروحة في الكتاب المذكور.

٢. حدائق الحقائق (شرح قطب الدّين الكَيْدُريّ)

المؤلف:

قطب الدين الكَيْدُري، كيدر حيّ من أحياء منطقة بيهق (سبزوار)، وفي مدينة نيسابور حيّ بهذا الاسم أيض .

الاسم الكامل للكيدريّ: محمّد بن حسين بن حسن البيهقيّ النّيسابوريّ، ولُقّب بقُطب الدين تاج الإسلام أيض .

كان من مشايخ العلم والحديث، وهو أيض أديب، متكلّم، شاعر، وكان من علماء الإماميّة في القرن السّادس، ونصّ القمّيّ في الكنى والألقاب على أنّه عاصر القطب الرّاونديّ، وتَلمّذ لابن حمزة الطّوسيّ[٤].

نظرات خاطفة حول الشرح:

- تأليفه: أتمّه مؤلّفه في أواخر شهر شعبان سنة (٥٧٦هـ)، واسمّاه بحدائق الحقائق في تفسير دقائق أفصح الخلائق، وهو شرح مختصر لنهج البلاغة.

- ذكر في مقدّمته سبب تأليفه، فقال: "اقترح عليّ أحد العلماء أن أشرح نهج البلاغة مستهدياً فيه بكتابَي معارج -أي معارج نهج البلاغة للبيهقي- ومنهاج -أي منهاج البراعة لقطب الدين الراوندي- مُبدياً لؤلؤهما المكنون، وكلّ ما رأيته مفيداً فيهما، مستهدفاً تتمّةً لهما وموضّحاً ما خفي على مؤلّفيهما، وأتيتُ فيه بنوادر في اللغة والأمثال، ودقائق النّحو والبلاغة، ونبذة من التّاريخ والوقائع، والكلمات الغامضة للمتكلّمين المتقدّمين والمتأخّرين، ويسيرٍ من أُصول الفقه، والأخبار، وآداب الشّريعة، وعلم الأخلاق ومقامات الأولياء، وشيء من الطبّ والهيئة والحساب، حتّى استوعبت كلّ ما جاء في معارج، لا على وجه التّقليد، بل على وجه ما تطلّبه اليقين"[٥]. ثم استعرض بعض مباحث في البلاغة معللاً ذلك بقوله: "لمّا كان نهج البلاغة في ذروة البلاغة والفصاحة ... فقد رأيتُ لزاماً علي أن أتحدّث في بداية شرحي بكلام وجيز عن أنواع البلاغة وأقسامها، وكذلك أحكامها"[٦].

تميز شرحه بأنّه يُورد النصّ الكامل لكلّ خطبة، وكتاب، وحكمة، ثم يبدأ بالشّرح فقرةً فقرةً ويمزج معنى الجملة بمعاني المفردات، ولا يفصل بينهما، على عكس غيره من بعض الشّارحين، وفي شرح معظم الفقرات، يأتي بالنّصّ الّذي يتبنّاه الرّاونديّ، وكذلك البيهقيّ، ثمّ يعرض رأيه، وقد يخرج عن هذا الأسلوب حينما يذكر عدد من الخطب أو الحكم أو الكتب متواليةً، ثمّ يتناول معاني مفرداتها، ويمكن القول أنّ حدائق الحقائق هو تتمّة وجمع بين شرح

الوبريّ، والرّاونديّ، والبيهقيّ.

- طبعه: كان هذا الكتاب في عداد المخطوطات المحدودة حتّى فترةٍ متأخّرة، ثمّ طبع في جزئين سنة ١٤١٦هـ بتعاون مؤسّسة نهج البلاغة، ونشر عطارد وتصحيح عزيز الله العطارديّ وتحقيقه. وتمّ إنجاز طبعه اعتماد على ثلاث مخطوطات، مخطوطة جامعة طهران المكتوبة سنة (٦٤٥هـ)، ومخطوطة مكتبة آية الله المرعشيّ النّجفيّ، ومخطوطة مكتبة السّيّد محمّد عليّ الرّوضاتي الاصفهانيّ، وهي مكتوبة سنة ١٤٠٩هـ. ويضاف إلى جهود المحقّق في الضّبط الصّحيح للنّصّ، أنّه أردفه بهوامش ثمينة، وكتب له مقدّمةً حول الشّريف الرّضيّ، ونهج البلاغة، وسنده، والعلاّمة الكيدريّ. وصدر الكتاب سنة ١٤١٦هـ في ألف نسخة.

٣. منهاج البراعة (شرح القطب الرّاونديّ)

المؤلف:

سعيد بن هبة الله قطب الدّين أبو الحسن الرّاونديّ، أحد فقهاء الشّيعة ورجالها المشهورين البارزين. كان ثاقب النظر في علم الكلام، والأدب، والحديث، إلى جانب الفقه. ونصّ علماء الرّجال على أنّه عينٌ ثقةٌ[٧]. ولد في مدينة راوَنْد في كاشان. نبغ من أسرة علميّة، فقد كان آباؤه وأبناؤه من العلماء[٨].

توفي في الرّابع عشر من شوّال سنة (٥٧٣هـ) ودفن في حرم السيدة المعصومة بنت الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في قم المقدسة كما نقل صاحب أعيان الشيعة[٩].

نظرات خاطفة حول الشرح:

- تأليفه: أتمّه القطب الرّاونديّ في أواخر شعبان سنة (٥٥٦هـ). وهو من أقدم الشّروح لنهج البلاغة، وذهب ابن أبي الحديد إلى أنّه الشّرح الوحيد

الّذي سبق شرحه[١٠]. يعد هذا الشرح من الشروح الأدبية. وأكثر ما يلفت النّظر فيه توضيحاته اللغويّة والأدبيّة. تناول الشارح بعد مقدّمتة الموجزة خطبة الشّريف الرّضيّ، وذكر سلسلة سنده إليه بقوله: أخبرنا السّيد الصّمصام ذو الفقار بن محمّد بن معبد الحسنيّ، قال: أخبرنا الشّيخ أبو عبدالله محمّد بن علي الحلوانيّ، قال الرّضيّ: أخبرنا الشّيخ أبو جعفر محمّد بن عليّ بن محسن الحلبيّ، قال: أخبرنا الشّيخ أبو جعفر الطّوسيّ، قال السّيّد الرّضيّ رضي الله عنه وأرضاه ... تركّز معظم اهتمامه على شرح المفردات والجمل، فكان يذكر الخطبة، ثمّ يعقبها بكلمة «بيانه» أو كلمة «الشّرح»، وبعد ذلك يتناول المفردات واحدة بعد الأخرى، ويكشف أصل المعنى ومحتوى الكلام، وإذا كان فيه تشبيه أو استعارة يذكرهما، ويأتي بنظائر من القرآن الكريم أحيانا. ـ يوضّح سلسلة السّند في ذيل بعض الخطب، وأمّا في قسم الحكم أو الكلمات القصار فإنّه يذكر مجموعة من الحكم ثمّ يشرح مفرداتها، وفي الخاتمة يذكر أسناد نهج البلاغة معن طرق العامّة بعد إشارته إلى طرق الخاصة ضمن طيات الشرح. وقد قامت مكتبة آية الله المرعشيّ النّجفيّ بإصداره في ثلاثة أجزاء من القطع الوزيريّ.

٤. شرح ابن أبي الحديد

المؤلف:

اسمه عزّ الدّين أبو حامد عبدالحميد بن هبة الله بن محمّد بن محمّد بن حسين بن أبي الحديد المدائنيّ. ولد بالمدائن في اليوم الأوّل من ذي الحجّة سنة ٥٨٦هـ وتوفي في سنة ٦٥٥هـ. وكان عالم شهير ذا رأي في ميدان التّاريخ، والأدب، والفقه، والكلام.

جدّ في طلب العلوم المتداولة في عصره منذ نعومة أظفاره، ثمّ رحل إلى بغداد إبّان شبابه. تعلّم الفقه والكلام واشترك في الأوساط الأدبيّة. ونقل صاحب

كتاب نسمة السحر أنّه كان في بداية أمره شيعيّ غاليٍ ، ثمّ مال إلى الاعتزال، ولمّا كان متأثّر بآراء الجاحظ -وتطرّق إليها في كتابه- فقد صار معتزليّ جاحظيّ . وكان شافعيّ الفقه والأصول، معتزليّ الكلام إذ يُنسب إلى مدرسة بغداد في الاعتزال ويرى رأيها في تفضيل علي على الخلفاء الثّلاثة، لكنّه لا يعدّ الأفضليّة شرط للإمامة، كما قال في بداية كتابه: «الحمد لله الّذي قدّم المفضول على الفاضل»[11].

نظرات خاطفة:

بدأ المؤلّف تصنيف هذا الكتاب في الأوّل من رجب سنة (٦٤٤هـ)، وفرغ منه في آخر صفر سنة (٦٤٩هـ)، فدام أربع سنين وثمانية أشهر. -يعدّ هذا الشرح من أضخم الشّروح وأشملها، أو في الأقلّ هو أضخم الشّروح الّتي صُنفت منذ البداية إلى الآن. وبلغ من الشهرة والصيت مبلغ أنّه إذا أُطلق عنوان >شرح نهج البلاغة< في معظم المصادر الإسلاميّة، فإنّما يراد به شرح ابن أبي الحديد.

ـ يركز الشارح على إيراد نصّ الخطبة في البداية، وما يورده من نص يعدّ من المراجع في معرفة نُسخ نهج البلاغة، وقد يضمّ يسير تفاوتٍ مع النّسخ المتداولة اليوم، ويقسم الخطب والكتب الطويلة أقسام ، ثمّ يشرح كلّ قسم بعد ذكره، بحيث يشرح معاني المفردات، ويفتح ما استغلق إعرابيّ أو صرفيّ ، ويستبين النّقاط البلاغيّة والبيانيّة، وقد يستشهد هنا بآية قرآنيّة، أو حديث نبويّ، أو شعر، ويذكر ما ماثل نظم اللفظ ونثره.

ـ يعقّب شرحه في كثير من الحالات بنصّ أو نصوص تاريخيّة. وتشكّل المعلومات التّاريخيّة أهمّ قسم وأبرزه في شرحه، ولولاها لما ظلّ إلّا النصف منه، وإليها يعود القدر الكبير من قيمة الشّرح؛ فهو يقوم بشرح الواقعة الّتي قيلت فيها الخطبة، أو كانت بعدها، أو أشارت إليها، أو يخوض في مبحث

تاريخيّ مفصّل بذريعةٍ ما.

ـ يتناول أحيانا مبحث كلاميّ بعد شرح مفردات الخطبة، ويكشف في مباحثه الكلاميّة عن رؤية معتزلة بغداد والآراء الكلاميّة للجاحظ، وربما يعرض الآراء المخالفة للرؤية الشّيعيّة، وهذه الصّفة بذاتها تُلغي احتمال تشيّعه.

ـ تتّسم بعض مباحثه بطابع أخلاقيّ وحكميّ ووعظيّ، وهو ما يتجلّى في الكلمات القصار أو في الحكم أكثر من غيرها.

ـ شرع في بداية شرحه بمقدّمة جديرة بالاهتمام، وهي تشتمل على ما يأتي:

أ. كلام في قول المعتزلة في الإمامة.

ب. نسب أمير المؤمنين عليه السلام وشيء من فضائله وسيرته، شارح في هذا القسم تفرّده عليه السلام في العلوم، والأخلاق، والحكم.

ج. ترجمة للشّريف الرّضيّ.

٥. مصباح السّالكين (شرح ابن ميثم البحرانيّ)

المؤلف:

كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني وهو عالم، محدّث، فقيه، متكلّم. مُولد في البحرين سنة (٦٣٦هـ وتوفي في عام ٦٧٩هـ ودفن في مقبرة الماحوز في البحرين)، وروى ابن ميثم عن كبار العلماء منهم المحقق الحلي صاحب كتاب الشرائع والمعتبر وكمال الدين علي بن سليمان البحراني صاحب كتاب الاشارات وغيرهما. وكان معاصر للسّيّد رضيّ الدين عليّ بن طاووس، والخواجه نصير الدّين الطّوسيّ الّذي قيل: إنّه تعلّم منه الفقه، وتعلّم ابن ميثم منه الكلام. وكان نصيبه العلميّ الأوفر يتمثّل في الفلسفة والكلام، وتتجلّى هذه الصّفة في شرحه للنّهج أيض [١٢].

نظرات خاطفة حول الشرح:

- صرّح المؤلف في مقدّمته أنّه صنّفه بطلب الوزير الأعظم عطا ملك الجوينيّ.

- ذكر في بدايته ثلاث مقدّمات، ولعلّه حاكى البيهقيّ، والكيدُريّ بهذا العمل. وهذه المقدّمات الثّلاث الّتي طُرحت كلّ واحدة منها تحت عنوان قاعدة هي:

القاعدة الأولى: في مباحث الألفاظ، تحدّث فيها عن تساوي اللفظ ومعاني المحسّنات الكلاميّة، والحقيقة والمجاز، وأقسام التّشبيه، والحقيقة وأنواع النّظم.

القاعدة الثّانية: في الخطابة، حيث ذكر فيها الخطابة المنطقيّة لأرسطو، وتناول فيها أركان الخطابة، وفوائدها، وأصولها وأسسها، وأنواعها، وأخير محسّناتها.

القاعدة الثّالثة: في جمع عليّ عليه السلام كافّة الفضائل الإنسانيّة، وتحدّث فيها عن الفضائل الخاصّة للإمام عليه السلام وكراماته، وأنّه أمير الخطباء والمتكلّمين، ثمّ طفق يشرح النّهج بعد المقدّمات المذكورة.

طريقته في الشرح أنّه ينقل أصل الخطبة كلّها إذا كانت قصيرة، أمّا إذا كانت طويلة فإنّه يذكرها على أقسام مستقلّة، ويبدأ شرحه بكلمة أقول.

ـ يتطرّق في بداية شرحه إلى توضيح المفردات وبيانها، ويستشهد في إبانة معناها بآياتٍ قرآنيّة، أو شعر، أو رواية، إلى جانب ذلك يتناول الأبعاد البلاغيّة أيض .

ـ يتعرض في طيات بيانه لكلّ فقرة من النص إلى تبيان المفاهيم والحقائق الفلسفيّة والكلاميّة، والعرفانيّة أحيان ، وقد يستعرض مباحث واسعة في هذا المجال أيض .

ـ يُكثر من التّقسيم في مباحثه، وقد يُفرط أحيان ، ويُبدي رغبةً في التّقسيم والتّبويب، وفي هذا الإطار عندما يقسّم الخطبة إلى أقسام، فإنّه يضع عنوان الفصل لكلّ قسم -كما فعل في الخطبة الأولى من نهج البلاغة مثلاً، فقد قسمها

خمسة فصول- ويضع اسم لبعض الأقسام أيض ، ولم يختلف أسلوبه في الشرح سواء في الخطب أم في الحكم.

- طُبع هذا الكتاب طبعات حجريّة في طهران سنة (١٢٧١هـ)، و (١٢٧٦هـ)، و (١٣٠٤هـ)، وفي مؤسّسة النّصر على نسخة مصر سنة (١٣٧٨هـ)، وطبع في موسّسة النّصر بشكل حسن سنة (١٣٧٨هـ) وهو في خمسة أجزاء، كما طُبع بالأوفسيت أخير اعتماد على الطّبعة المذكورة، وذلك في (دفتر نشر كتاب) [مكتب إصدار الكتب ونشرها] بدون تاريخ، وطُبع أيض في بيروت سنة (١٣٧٥هـ)، وفي القاهرة سنة (١٣٧٨هـ/١٩٥٩م) وسنة (١٣٨٣هـ/١٩٦٤م) في عشرين جزء ، كما طبع حديث بشكل أنيق و حلّة جديدة. وتمّت ترجمة هذا الشّرح إلى الفارسيّة في مجمع البحوث الإسلاميّة بمدينة مشهد المقدّسة.

٦. ج الصّباغة (شرح العلاّمة الشوشتري)

المؤلف:

ولد الشّيخ محمّد تقي الشّوشتريّ (التسْتريّ) في النّجف الأشرف سنة (١٣٢٠هـ)، والده هو المرحوم الشّيخ محمّد كاظم التستري، ومن أبرز أساتذة السّيّد حسين النّوريّ، والسّيّد محمّد علي الإمام، والسّيّد علي أصغر الحكيم، والسّيّد محمّد تقي شيخ الإسلام والسّيّد مهدي آل طيّب، وأبيه، وحصل على الاجتهاد، وفي عام (١٣٥٥هـ) غادر الشّيخ شوشتر ومعه أُسرته وقصد كربلاء، وهناك واصل دراساته العليا، وفيها تعرّف على العالم الكبير المتألّق الفقيد الشّيخ آغا بزرگ الطّهرانيّ وأخذ منه إجازة نقل الحديث، ثم عاد إلى تستر، وهو إمامي المذهب[١٣].

نظرات خاطفة حول الشرح:

- يعد شرحه شرحاً موضوعياً لنهج البلاغة، صدر في أربعة عشر مجلّد وقد جعله المؤلف ثلاثة أقسام، هي: الخطب، والكتب، والكلمات، وحدّد في أسلوبه هذا ستّين موضوعاً عامّاً، سمّى كلّ واحد منها فصلاً، جمع فيه عدد من العناوين العقائدية والأخلاقية والتأريخية، يضاف إلى أنّ ترتيب هذه العناوين وتقديم بعضها على الآخر أو تأخيره لا يتبعان نظاماً خاصّاً أو دليلاً أشار إليه العلاّمة، ويمكن أن نجد جزئيّات العناوين المذكورة في فهرس الموضوعات الموجود في كلّ جزء.

- نهج المؤلّف أسلوباً خاصّاً فهو كثيراً ما يبدي ملاحظاته وانتقاداته لسائر المؤلّفين والشّارحين.

- يشتمل هذا الشرح على التاريخ والأدب، والأخبار القويّة، والآثار الّتي تكون حجّة بقدر الحاجة، واقتصر في شرح الفقرات من الإعراب واللغة والتفسير على المشكلات الّتي تحتاج إلى ذلك، كما أنّه ذكر اللغة عند كلّ فقرة وكلمة، وتجنّب مباحث علم البيان؛ لأنّه صنّف في ذلك الفن عدة كتب.

- الجدير بالذكر أنّ العلاّمة التّشوشتريّ شرح خطبة الشّريف الرّضي في بداية كتابه بعد مقدّمة موجزة، ثمّ طفق يشرح وهو في شرحه -كما أشار في مقدّمة الكتاب- يصحّح أخطاء النّسخ الأُخرى، ويلفت الأنظار إليها ويشير إلى نظائر كلّ كلمة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، ويستشهد بآيات القرآن، وأحاديث النّبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام، وإذا رأى رواية نهج البلاغة في مصدر آخر فإنّه ينقل نصّها أيضاً، منبهاً على التّفاوت بينها وبين ما جاء في نصّ الشّريف الرّضي.

- طبعه: كانت الطّبعة الأولى لهذا الكتاب بين سنتي (١٣٩٠هـ) و (١٤٠٠هـ) بجهود إصدارات صدر ومطعبة خيّام. ومنذ سنة (١٤٠٩هـ) بدأت مؤسّسة نهج البلاغة بإعادة طبعه مع التّحقيق وأُنجزت هذه الطّبعة بتحقيق أحمد باكتجي، وهي تمتاز بالدقّة وبالهوامش، ومسرد المصادر.

٧. تنبيه الغافلين وتذكرة العارفين (شرح المولى فتح الله الكاشانيّ)

المؤلف:

الفاضل الكريم، والعالم الجليل، والفقيه المتكلّم، والمفسّر النّابه المولى فتح الله بن المولى شكر الله الكاشانيّ، شيعي المذهب ومن تلاميذ المفسّر المشهور عليّ بن حسن الزواري، الّذي روى عن الشّيخ عليّ الكركيّ بواسطته، وفاته كانت بكشمير سنة (٩٩٨هـ)[١٤].

نظرات خاطفة حول الشرح:

ـ شرح باللغة الفارسيّة.

ـ ترجمة عبارات النّهج دقيقة وواضحة تماما ، إذ نجد في مقابل كلّ كلمة أو جملة قصيرة من النصّ ترجمتها، فهو كثير الفائدة لمن أراد ان يتعرّف على المعاني الحرفيّة الدقيقة لكلمات نهج البلاغة وعباراته.

ـ حاول المؤلّف كشف ما أعضل، وتبيان ما أشكل، مع تفسيره أيضا ، كما نقل ما يناسب المقام من الحكايات.

-أسلوبه في الشرح: يبدأ الشّارح بنقل جملة أو جزء من نصوص النّهج، ثمّ ينقلها إلى الفارسيّة بدقّة، بعد ذلك يوضح بقدر الضّرورة ما كان لازما توضيحه، وتوضيحاته ذات طابع أدبيّ غالبا ، وقد تتّخذ طابعا تاريخيّا أو روائيّا أحيانا ، ثم إنّه قد أشار في مقدّمته أيضا إلى أنّه قد أخذ معظم التّوضيحات المذكورة وشرحها من شرح ابن ميثم البحرانيّ، إمّا عن طريقه أو عن طريق شارحين آخرين، والحقّ هو أن يعتبر شرحه تلخيصا وترجمةً لشرح ابن ميثم، إذ إنّ كثيرا منه قد أخذ من الشّرح المذكور.

٨. شرح العلاّمة الجعفريّ

المؤلف:

ولد العلاّمة في أسرة مشهورة بالصّدق والصّفاء والاستقامة بتبريز سنة (١٣٤٥هـ)، وهو إمامي المذهب، وبعد انتهاء دراسته التّمهيديّة حضر عند فيلسوف الشّرق الكبير المرحوم الميرزا مهدي الآشتيانيّ وسكن في طهران مستفيد من أساتذتها في شتّى العلوم الإسلاميّة.

ثم جاء إلى حوزة قمّ ولبث فيها سنةً واحدة ثمّ توجّه إلى العراق، وواصل دراسته الدّينيّة في الحوزة العلميّة في النّجف الأشرف، وانهمك في الدراسة والتّدريس والتّحقيق زهاء اثنتي عشرة سنةً.

وكان أساتذته: السّيّد محمّد كاظم الشّيرازيّ، والسّيّد محمود الشّاهروديّ، وآية الله الحكيم، وآية الله السّيّد جمال الگلبايكانيّ، والسّيّد عبدالهادي الشّيرازيّ ثم عاد العلاّمة الجعفريّ إلى إيران وحضر درس آية الله البروجرديّ في قم، وتألّق نجمه في البحوث والدّراسات في ميادين العلوم الإسلاميّة المتنوّعة من فقه، وفلسفة، وعرفان، وفكر وثقافة على مرّ السّنين المتطاولة وبعد عمر زاخر بالعمل والعطاء قضى نحبه سنة (١٤١٩هـ) وهو في الرّابعة والسّبعين.

نظرات خاطفة حول الشرح:

ـ ينقل المؤلّف في البداية النصّ الكامل للخطبة أو الكتاب، أو الحكمة، ثمّ يترجمه إلى اللغة الفارسيّة، ثمّ يشرحه شرح عامّ .

- جعل في الجزء الأوّل من شرحه المشتمل على مقدّمة الشّرح نصّ الشّيخ محمّد عبده أساس لعمله، أمّا الأجزاء الأخرى فقد جعل فيها نصّ صبحي الصّالح هو الأساس.

ـ التّرجمة الّتي عرضها المؤلّف لنصوص نهج البلاغة ترجمة سلسة، وإنْ كانت لا تستطيع أن تصل إلى مستوى بلاغة النّصّ العربيّ، كما صرّح المؤلّف

نفسه بهذه الحقيقة في مقدّمة قصيرة على الجزء الأوّل قائلاً: "كلّ ترجمة مهما كانت دقيقة لا تستطيع أن تنقل المعنى من لغة إلى أُخرى بنحوٍ خالٍ من التّغيير والتّصرّف في ذلك المعنى".

ـ يغلب على الشرح التوجّه الفلسفيّ العرفانيّ، فقد أشار إلى الآراء الكلاميّة والفلسفيّة ورؤى علماء الشّرق والغرب، وتناول المقولات والقضايا ذات العلاقة بالموضوع.

ـ في تفسيره العامّ لكلّ خطبة، قام بتحديد الأقسام المعنويّة المختلفة الموجودة فيها من خلال عناوين جذّابة وفصل فيما بينها.

ـ إلى جانب شرحه للمضمون، ناقش سند الحديث أيض ، كما فعل في شرح الخطبة الشقشقيّة، إذ ذكر أسنادها في بدايتها مفصّلاً.

ـ الجزء الأوّل من الكتاب مقدّمة تدور حول شخصيّة الإمام عليّ عليه السلام ورسالته الإنسانيّة ضرورة هذا البحث في بداية شرح نهج البلاغة، و رتبها بعرضٍ واف حول شخصيّة الإمام عليه السلام من منظارٍ ربّانيّ أوّلاً، ومنظارٍ نبويّ ثاني ، ومنظارٍ علويّ ثالث ، وهو خليق بالاهتمام والإقبال.

- يعد هذا الكتاب من المصنّفات العلميّة البارزة للعلاّمة الجعفريّ وهو أوسع شرح فارسيّ للنّهج، طُبع الجزء الأوّل منه سنة (١٣٩٧هـ)، وأتمّ مؤلّفه منه ستّة وعشرين جزءً حتّى آخر عمره، أمّا الجزء السّابع والعشرون فقد طبعه تلاميذه اعتماد على مدوّنات أستاذهم وطُبعت منه أجزاء أُخرى خلال السّنين الجارية، وما زال العمل على تصنيفه ونشره قائم متواصلاً.

٨. في ظلال ج البلاغة (شرح محمّد جواد مَغْنيّة)

المؤلف:

ولد الشيخ محمّد جواد بن مهدي بن محمّد بن عليّ بن حسن بن حسين بن محمود بن محمّد بن عليّ آل مَغْنيّة العامليّ في طيردبا من توابع

مدينة صور في لبنان سنة ١٩٠٤م، وهو إمامي المذهب، توجّه إلى النّجف الأشرف سنة (١٩٢٥م)، وأخذ المكاسب من آية الله العظمى الخوئي ثمّ حضر دروس المرحلة العليا المصطلح عليها في الحوزة بالخارج. وكان يمضي وقته في المكتبات منهمكا في المطالعة أيّام عطلة الحوزة وبعد عودته إلى لبنان وبالتحديد قريته طيردبا -قريبة من فلسطين- فزاول فيها التبليغ، ثم توجّه إلى بيروت بعد تولّي منصب القضاء للفقه الجعفريّ، ومن معطياته العلميّة تفسير الكاشف، وفقه الإمام جعفر الصادق عليه السلام، والفقه على المذاهب الخمسة، وفي ظلال نهج البلاغة، وفي ظلال الصّحيفة السّجّاديّة، وفي سنة(١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م) توفي في بيروت، ودُفن في النّجف الأشرف.

نظرات خاطفة حول الشرح:

ـ يعد هذا الشّرح ذو لغة بسيطة، وأسلوب جيد يقول مؤلّفه بشأنه في مقدّمته: "الفرق بين كتاب وآخر في علم من العلوم هو الفرق بين مؤلّف وآخر، لأنّ أسلوب الإنسان هو شخصيّة الإنسان، فإذا كتب اثنان في موضوع واحد، أو شرحا متناً واحداً، تناوله كلّ منهما من رؤية شخصيّتة، ونظر إليه من زاوية ميوله ورغبته".

وكغيره من الشرّاح ينقل في البداية قسما من الخطبة أو الكتاب إذا كانا طويلين، وينقل الخطب والكتب القصيرة كاملةً، وكذلك الكلمات القصار، ويجعل لكلّ قسم عنوانا ، ثمّ يذكر عدد فقراته أو جمله أيضا . وفي كلّ قسمٍ من هذه الأقسام ضبط كامل للحركات الإعرابيّة، وعلامات كتابة جديدة.

يبدأ بشرح مفردات النص بعد نقله وربما استشهد بآية من القرآن أو الشعر على ذلك، ثم يتناول جملة من المسائل الصرفية والنحوية، ثم يستعرض جمل النص المنقول فيبدأ بشرحه، وقد يفرد بحوثا مستقلة تخص بعض العناوين التي يعرضها.

ومما يميز هذا الشرح تذييله جملة من المطالب المناسب طرحها للمنبر

فكان يعنون ذلك بـ للمنبر؛ يقول المؤلّف في عمله الّذي تفرّد به هذا: "وقد تنبّهتُ، وأنا أشرح بعض الخطب، أنّ الّذين حبسوا أنفسهم على المنابر يتطلّعون كثيراً إلى نهج البلاغة وخطبه؛ لما فيها من ثمرات وسحر ونكهة، فحاولت أن أمدّهم ولو باليسير، عسى أن تنمو به خطبهم وتثمر، ومن أجل ذلك إذا أوحت لي كلمة أو جملة من أقوال الإمام بمعنى يترك أثراً في نفس السّامع -حسب تقديري- عنونته بكلمة للمنبر كي يهتدي إليه بسهولةٍ من يهمّه الأمر إذا راجع الفهرست أو قلب الصّفحات".

- طُبع لأوّل مرّة في أربعة أجزاء سنة (١٩٧٢م). وتولّت طبعه دار العلم للملايين في بيروت على نفقتها الخاصّة.

٩. منهاج البراعة (شرح الميرزا الخوئيّ)

المؤلف:

ولد الميرزا حبيب الله بن السّيّد محمّد أمين الرّعايا بن السّيّد هاشم بن السّيّد عبدالحسين في مدينة خُوْي سنة (١٢٦٨هـ) أو (١٢٦١هـ) وبعد سنوات توجّه إلى النجف الأشرف وهو ابن خمس وعشرين سنة مع ابن عمّه السّيّد محمّد حسين الهاشميّ الموسويّ، فمكث يطلب العلم فيها ردح من الزّمن، و كان من تلاميذ الميرزا حبيب الله الرّشتيّ، والميرزا الشّيرازيّ وبعد سنين أمضاها بالنّجف الأشرف عاد إلى مدينة خُوي وألّف فيها بعض مصنّفاته وكانت وفاته بطهران في شهر صفر سنة (١٣٢٤هـ)، فدُفن في مرقد السّيّد عبدالعظيم الحسنيّ في مدينة الرّيّ.

نظرات خاطفة حول الشرح:

- هو شرح مفصّل للنّهج، في سبعة أجزاء وبلغ بشرحه حتّى الخطبة (٢١٨) مع شرح لقسم منها، طُبع هذا الشّرح على الحجر لأوّل مرّة وطبع أكثر من مرة وآخر طبعة له هي طبعة المكتبة الإسلاميّة في طهران.

ولمّا لم يمهله الأجل فيتمّ شرحه، قام سماحة آية الله الشيخ حسن زاده

الآملي بهذه المهمّة بعد سنين، فأنجز خمسة أجزاء منه اعتبار من الجزء الخامس عشر إلى الجزء التّاسع عشر ثمّ قام الباحث المعاصر محمّد باقر الكمريّ بإتمامه عبر الجزء العشرين والحادي والعشرين.

- يقول آية الله الشيخ حسن زاده الآملي في مقدمته الوجيزة على هذا القسم: "ولكن لمّا بلغ رحمه الله إلى الخطبة المائتين والتّاسعة والعشرين انقطع مهله وانقضى أجله وقضى نحبه وجفّ قلمه، فبقي هذا الأثر القويم أبتر فعزمتُ متوكّلاً على الله المتعال ومستعيناً به لإتمامه على النّهج المذكور؛ لكي يكون تكملةً له وتماماً، فكتابنا هذا تكملة منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، وبلغ به حتّى الكتاب الثّلاثين، ثمّ تركه سنة (١٣٨٩هـ)، فواصله الكمريّ وأكمله بجزئين سمّاهما تكملة منهاج البراعة، بادئاً بالكتاب الحادي والثلاثين وخاتماً بالحكمة السادسة والخمسين بعد الأربعمائة أي آخر نهج البلاغة، وقد تمّ هذا القسم من الشّرح على نفس المنوال الّذي بدأ به الشارح".

- يبدأ المؤلّف كتابه بمقدّمة في الشّروح السّابقة لنهج البلاغة، ثم يبين سبب تأليفه هذا الشرح، قائلاً: "فحيث لم يكن له شرح يليق به، عزمتُ... على تهذيب شرح يذلّل صِعابه للطّالبين، ويرفع حجابه للرّاغبين"، فجعل الشارح لكلّ خطبة رقم خاصّ ؛ ليسهل على القرّاء الرّجوع إلى ما وضعه إذا كانت في موضع آخر من الكتاب جملة أخرى مناسبة أو موافقة في المعنى أو شرح لإجمال خطبة مضت، أو كانت هناك ضرورة للإشارة إلى خطبة أو كتاب أو حكمة سابقة، وقسّم الخطب أقساماً ، وجعل كلّ قسم تحت عنوان فصل، وملاك عمله في هذا التّقسيم وحدة المعنى والمقصود، وأنجز شرح كلّ قسم على حدة.

ـ ميّز في شرح كلّ فصل بين اللغة، والمعنى، والإعراب، والشّرح، والتّرجمة، وذكر تحت عنوان اللغة المادّة اللغويّة، وحثيما كان ضروريّ ذكر صيغة اللفظة أيضاً ، وأشار في قسم الإعراب إلى نقاط نحويّة ولطائف أدبيّة وبلاغيّة، واستند أو استشهد في قسم المعنى بالآيات، والرّوايات، والأخبار والآثار الّتي تبدو

مناسبة.

ـ الشّرح الّذي أعدّه للنّهج مزيج بالمتن، وفي الطّبعة الوزيريّة لهذا الكتاب وُضعت الكلمة أو الكلمات المأخوذة من نصّ النّهج بين قوسين.

ـ كلّ كلام أشار فيه الإمام عليه السلام إلى ملحمة أو واقعة أو حادثة، أورد الشّارح بيانها مراعيا الإيجاز، وذكر السّند، كما أنّه قد التزم بتتميم الخطب الناقصة مما يقف عنده من الكتب المعتبرة ككتاب الكافي ومن لا يحضره الفقيه والتوحيد للصدوق والإرشاد للمفيد والبحار ووسائل الشيعة وغيرها.

ـ نقل المؤلّف في آخر كلّ فقرة من الشّرح ترجمتها الفارسيّة تحت عنوان فصل، وهذه الترجمة حرفيّة.

١٠. نفحات الولاية (شرح الشيخ ناصر مكارم الشيرازي)

المؤلف:

كانت ولادته المباركة في سنة ١٣٤٥هـ بمدينة شيراز في أسرة محافظة دينية عرفت بالفضيلة وكرم الأخلاق وعظيم السجايا، ونشأ حفظه الله تعالى وهو تحيطه أجواء الإيمان والتقوى فكان ذا نفس هادئة هانئة متوازنة وتبدّت عليه ملامح الفطنة والنباهة منذ صغر سنّه، أنهى دراسته الابتدائيّة والثانويّة في سن مبكر حيث لم يبلغ الرابعة عشر من عمره، ثم التحق بالحوزة العلمية في مدينته شيراز فدخل مدرسة (آقا بابا خان شيراز) وكان عمره وقتها أربعة عشر عام ، ولشدة نبوغه ونباهته وجده في التحصيل أنهى مقدّمات الدرس في اللغة العربية وآدابها والمنطق والفقه والأصول وتمكّن من الفراغ من مرحلة السطح المتوسط والعالي كل ذلك في غضون أربع سنوات تحصيلية (وفي العادة يستغرق الطالب في مثل هذه المراحل الثلاث -المقدمات والسطوح بقسميها- قرابة العشر سنوات في المتوسط) ومن خلال تصديه للدروس توضحت معالم شخصيته وملامح نبوغه وخصوص بما كان يطرح من نقد وملاحظات على

بعض النصوص الدراسية، وفي سن الثامنة عشر كتب حاشيته على كتاب كفاية الأصول للأستاذ الأعظم أستاذ الفقهاء المحقّق الخراساني رضوان الله تعالى عليه و هذا يعد مؤثر على نبوغه و نباهته المبكرة و تقدمه العلمي.

نظرات خاطفة حول الشرح:

- ألف هذا الشرح من قبل آية الله الشيخ ناصر مكارم الشيرازي بمساعدة مجموعة من الفضلاء: محمد جعفر الإمامي - محمد رضا الأشتياني- محمد جواد ارسطا - إبراهيم البهادري - سعيد داودي- أحمد القدسي.

- اقتفى هذا الشرح آثار القرآن حتى طبع بصفاته وسماته.

- كتب بأسلوب عصر جديد وكأن خطب الأمير عليه السلام ومواعظه وتوجيهاته تقرع سمع المعاصر وتجعله يعيش أجواء مسجد الكوفة.

- الاستعانة في بعض المواضيع بما أورده المفسرون والشارحون القدماء والمعاصرون إلى جانب اعتماد الأفكار والأطروحات المعاصرة.

- طبعه: مدرسة الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام - دار جواد الأئمة عليه السلام الطبعة: الأولى ١٤٢٦هـ وكان في عشرة أجزاء.

***

هذا استعراض لبعض شروح النهج الشريف، وهناك العشرات من الشروح الأخرى لم تذكر قد تصدّى إلى تأليفها عدد من علماء المسلمين من مختلف الطوائف، وهي تزيد على المائة والعشرين شرح منها المطبوع ومنها من ينتظر الطبع.

الهوامش

(١) معارج نهج البلاغة، مقدمة محمد تتقي دانش بزوه ص٦٢.

(٢) نفس المصدر. وذكر ذلك دانشْ بَژوه في مقدّمته على (المعارج)، فقال: عدّه ابن شهر آشوب في معالم العلماء، والمناقب من شيوخه. وذهب الميرزا النوريّ في «مستدرك الوسائل» والسيّد محسن الاميـن العامليّ في أعيان الشيعة، وآغا بزرك في أعلامه إلى أنّه كان شيعيّ ، أمّا الخوانساريّ في روضات الجنات

فقد عدّه من علماء بيهق المشهورة آنذاك بالتشيع. ويرى بهمنيار أنه سنّي بشهادة كتبه، وكذلك يعتقد محمد كرد علي في مقدّمة تتمّة صوان الحكمة. أما كاتب مقدّمة المعارج فانّه بعد إيراده هذه الآراء يدعم الرّأي القائل بتسنّنه، ولا يراه بعيد عن الحقيقة، واستشهد بما ذكره البيهقيّ نفسه، حيث يقول في مقدّمته على المعارج بعد الصّلوات على محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله: «وعلى أصحابه الصدّيق، والفاروق، وذي النورين، والمرتضى تحيّات لا تزجى على شُرفها سجوف».

وأما كونه من مشايخ ابن شهر آشوب الشّيعيّ، أو أنه ذكر الصّلاة على آل محمّد صلّى الله عليه وعليهم في كتابه جوامع أحكام النّجوم بقوله: «وعلى آله الأخيار» لا يتضاربان مع الحقيقة التّاريخيّة، إذ لم يستغربْ آنذاك تتلمذ السّنّيّ على يد الشّيعيّ، أو تعلّم الشّيعيّ عند السّنّيّ، كما لم تكن الصّلاة على أهل بيت النّبيّ صلّى الله عليه وآله مخالفة للمذهب عند علماء السّنّة.

(٣) نفس المصدر، ص٤.
(٤) الكنى والألقاب، ج ٤، ص ٦٤.
(٥) حدائق الحقائق، تحقيق عزيز الله العطاردي، ج١، ص٦٩.
(٦) نفس المصدر.
(٧) معجم رجال الحديث، ج٧، ص٩٣.
(٨) الكنى والألقاب للقمي, ج٣, ص٥٨.
(٩) ميراث حديث الشيعة، ج١١، ص ٤٣٩.
(١٠) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج١، ص٥.
(١١) المصدر نفسه، ج١، ص١٣.
(١٢) تراجم علماء البحرين من لؤلؤة البحرين، ص ٢٥٩، هامش رقم٤٦.
(١٣) موسوعة أحاديث أهل البيت(ع)، ج١٢، ص٤١٦.
(١٤) رياض العلماء، ج٤، ص٣١٨.

صلاة ليلة الرغائب

الشيخ فاضل عبد الجليل الزاكي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد فقد لوحظ في السنوات الأخيرة اهتمام الكثير من المؤمنين أيدهم الله بالصلاة المعروفة بصلاة ليلة الرغائب، فيقومون بالإعداد والترويج لها قبل شهر رجب بفترة، ويُدعى بعض أهل العلم لأدائها في المسجد ليؤديها المؤمنون معه بالمتابعة، ونتيجة لذلك كثرت أسئلة المؤمنين عن هذه الصلاة وفضلها، وقد تكررت الإجابة منا شفاه على هذه المسألة كما قام بعض إخواننا من أهل العلم بالإجابة أيض ، ولكن مع ذلك فالأسئلة لا زالت تترى في كل عام ولعل السبب عدم اطلاع الكثيرين على الإجابات الصادرة، فلذا اقترح بعض الإخوان أن نحرر الكلام في هذه المسألة بما يرفع عنها اللبس والإبهام.

صلاة ليلة الرغائب في مصادر العامة

الكثير من مصادر العامة أشارت لهذه الصلاة، وسنذكر بعض من أقدم تلك المصادر التي عثرنا عليها:

الأول: ما أورده الغزالي(المتوفى سنة ٥٠٥هـ) في كتابه المعروف (إحياء علوم الدين) حيث قال: "أما صلاة رجب فقد روي بإسناد عن رسول الله ' أنه قال: "ما من أحد يصوم أول خميس من رجب ثم يصلّي فيما بين العشاء والعتمة اثنتي عشرة ركعة، يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة و{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} ثلاث مرات و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} اثنتي عشرة مرّة، فإذا فرغ من صلاته صلّى عليّ سبعين مرة يقول: اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آله، ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرة: سبوح قدوس رب الملائكة والروح، ثم يرفع رأسه ويقول سبعين مرة: رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم، ثم يسجد سجدة أخرى ويقول فيها مثل ما قال في السجدة الأولى، ثم يسأل حاجته في سجوده فإنها تقضى، قال رسول الله ' لا يصلي أحد هذه الصلاة إلا غفر الله تعالى له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وورق الأشجار، ويشفع يوم القيامة في سبعمائة من أهل بيته ممن قد استوجب النار. فهذه صلاة مستحبة، وإنما أوردناها في هذا القسم لأنها تتكرر بتكرر السنين وإن كانت رتبتها لا تبلغ رتبة التراويح وصلاة العيد؛ لأن هذه الصلاة نقلها الآحاد، ولكني رأيتُ أهل القدس بأجمعهم يواظبون عليها ولا يسمحون بتركها فأحببت إيرادها"[1].

الثاني: ما نقله الشيخ عبد القادر الجيلاني(المتوفى سنة ٥٦١هـ) حيث قال: "أخبرنا الشيخ أبو البركات هبة الله السقطي، أنا القاضي أبو الفضل جعفر بن يحيى بن كمال المكي، أنا أبو عبد الله الحسين بن عبد الكريم بن محمد بن محمد الجزري بمكة في المسجد الحرام، أنا أبو الحسن علي بن عبد الله بن جهضم الهمداني، انا أبو الحسن علي بن محمد بن سعيد السعدي البصري، أخبرنا أبي قال: أنا خلف بن عبد الله الصنعاني، عن حميد الطويل، عن أنس قال: قال رسول الله ' : <رجب شهر الله وشعبان شهري ورمضان شهر أمتي. قيل: ما معنى قولك شهر الله؟ قال: لأنه مخصوص بالمغفرة، وفيه تحقن الدماء، وفيه تاب الله على أنبيائه، وفيه أنقذ أوليائه من يد أعدائه، من صامه واستوجب على الله ثلاثة أشياء، مغفرة لجميع ما سلف من ذنوبه، وعصمة فيما بقي من عمره، وأما الثالث يأمن من العطش يوم

العرض الأكبر. فقام شيخ ضعيف فقال: يا رسول الله ’ إني أعجز عن صيامه كله. فقال: صم أول يوم منه وأوسط يوم منه وآخر يوم منه فإنك تعطى ثواب من صام كله فإن الحسنة بعشرة أمثالها ولكن لا تغفلوا عن أول ليلة جمعة في رجب فإنها ليلة تسميها الملائكة ليلة الرغائب وذلك أنه إذا مضى ثلث الليل لا يبقى ملك من جميع السموات والأرضين إلا ويجتمعون في الكعبة وحواليها، فيطلع الله عليهم اطلاعه فيقول: ملائكتي سلوني ما شئتم. فيقولون: ربنا حاجتنا أن تغفر لصوام رجب. فيقول الله: قد فعلت ذلك. ثم قال رسول الله ’ : فما من أحد يصوم أول خميس من رجب ثم يصلّي ما بين المغرب والعشاء يعني ليلة الجمعة اثنتي عشر ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة و{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} ثلاث مرات و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} اثنتي عشرة مرة ويفصل بين كل ركعتين بتسليمة، فإذا فرغ من صلاته صلى علي سبعين مرة يقول: اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم. ثم يسجد سجدة يقول في سجوده: سبوح قدوس رب الملائكة والروح. سبعين مرة، ثم يرفع رأسه فيقول: رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم، فإنك أنت العزيز الأعظم سبعين مرة، ثم يسجد الثانية فيقول مثل ما قال في الأولى يسأل الله حاجته في سجوده فإنها تقضى، والذي نفسي بيده ما من عبد ولا أمة صلى هذه الصلاة إلا غفر الله له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وعدد قطر الأمطار وورق الأشجار وشفع يوم القيامة في سبعمائة من أهل بيته، فإذا كان أول ليلة في قبره جاء ثواب هذه الصلاة بوجه طلق ولسان زلق فيقول له: يا حبيبي أبشر فقد نجوت من كل شدة. فيقول: من أنت فوالله ما رأيتُ رجلا أحسن وجهاً من وجهك، ولا سمعتُ كلاماً أحلى من كلامك ولا شممتُ رائحة أطيب من رائحتك. فيقول له: يا حبيبي أنا ثواب تلك الصلاة التي صليتها في ليلة كذا من شهر كذا من سنة كذا جئتُ الليلة لأقضي حاجتك وآنس وحدتك وأدفع عنك وحشتك، فإذا نفخ في الصور أظللتك في عرصة القيامة على رأسك فأبشر فلن تعدم الخير من مولاك أبدا"[٢].

الثالث: ما نقله ابن عساكر (المتوفى سنة ٥٧١هـ) في كتابه (معجم الشيوخ)

حيث قال: "أخبرنا بدل بن الحسين بن علي أبو الحسن الحلواني الفقيه بقراءتي عليه بحلوان، قال: أبنا عبد الملك بن أحمد بن أبي المحاسن الحلواني، أخبرني الأديب أبو الفوارس بن بنجير القرماساني، قال: أبنا قاضي القضاة أبو منصور عبد الجبار بن أحمد، أخبرني الإمام أبو بكر محمد بن نصر الهمذاني، أبنا الشيخ الفقيه أبو منصور بن عبد الملك بن عبد الغفار، قال أبنا والدي أبو القاسم عبد الملك، أبنا أبو الحسن علي بن عبد الله فيما أذن لي بالرواية عنه، أبنا أبو الحسن علي بن محمد بن سعيد البصير، حدثني أبي، ثنا خلف بن عبد الله الصغاني، عن حميد الطويل عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: >رجب شهر الله تعالى وشعبان شهري ورمضان شهر أمتي. قيل يا رسول الله ما معنى قولك شهر الله قال: لأنه مخصوص بالمغفرة فيه وتحقن فيه الدماء وفيه تاب الله على أنبيائه صلوات الله عليهم وفيه أنقذ أولياءه من بلاء عذابه... وذكر الحديث بطوله في صلاة الرغائب<"[٣].

الرابع: ما أورده ابن الجوزي(المتوفى سنة ٥٩٧هـ) في كتابه (الموضوعات) حيث قال: "صلاة الرغائب: أنبأنا علي بن عبيد الله بن الزاغوني، أنبأنا أبو زيد عبد الله بن عبد الملك الأصفهاني، أنبأنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن مندة، (حيلولة) وأنبأنا محمد بن ناصر الحافظ، أنبأنا أبو القاسم بن مندة، أنبأنا أبو الحصين علي بن عبد الله ابن جهيم الصوفي، حدثنا علي بن محمد بن سعيد البصري، حدثنا أبي حدثنا خلف ابن عبد الله وهو الصغاني، عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: >رجب شهر الله وشعبان شهري ورمضان شهر أمتي... ثم قال رسول الله ﷺ: وما من أحد يصوم يوم الخميس أول خميس في رجب، ثم يصلى فيما بين العشاء والعتمة، يعنى ليلة الجمعة، اثنتي عشرة ركعة، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة، وإنا أنزلناه في ليلة القدر ثلاث مرات، وقل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة، يفصل بين كل ركعتين بتسليمة، فإذا فرغ من صلاته صلى علي سبعين مرة، ثم يقول: اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آله، ثم يسجد فيقول في سجوده: سبوح قدوس رب الملائكة والروح سبعين مرة، ثم يرفع رأسه فيقول: رب اغفر لي وارحم

وتجاوز عما تعلم إنك أنت العزيز الأعظم سبعين مرة، ثم يسجد الثانية فيقول مثل ما قال في السجدة الأولى، ثم يسأل الله تعالى حاجته، فإنها تقضى<"[٤].

الخامس: ما أورده أبو القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة المتوفى سنة ٦٦٥هـ في كتابه(الباعث على انكار البدع) حيث قال: "ما أخبرنا به غير واحد عن الحافظ أبي القاسم سماعًا منه، قال: أنا أبو الفتح نصر بن محمد الفقيه، حدثنا الفقيه أبو الفتح نصر بن إبراهيم الزاهد، أنا أبو سعد أحمد بن مظفر الهمداني، حدثنا أبو منصور محمد بن أحمد الأصبهاني، أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الهمداني بمكة حرسها الله تعالى، حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن سعيد البصري، حدثني أبي، حدثنا خلف بن عبد الله الصنعاني، عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ فذكر الحديث في فضل صوم رجب، ثم قال: >لا تغفلوا عن ليلة أول جمعة فيه فإنها ليلة تسميها الملائكة الرغائب، ما من احد يصوم أول خميس في رجب، ثم يصلي فيها بين العشاء والعتمة اثني عشر ركعة... -فذكر صفة الصلاة- ثم قال إلا غفر الله له ذنوبه<"[٥].

تنبيه مهم:

ورد في كتاب (مفيد العلوم ومبيد الهموم) المطبوع بمصر سنة ١٩٠٦م والمطبوع مرة ثانية ببيروت سنة ٢٠٠٦م، وهو منسوب لأبي بكر محمد بن العباس الخوارزمي (المتوفى سنة ٣٨٣هـ) ما نصه: "صلاة الرغائب في أول ليلة الجمعة من شهر رجب ما بين المغرب الى العشاء يصلي اثني عشر ركعة بست تسليمات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وسورة القدر {إنا أَنزَلْنَاهُ} ثلاث مرات و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} اثنتي عشرة مرة فإذا فرغ من الصلاة يصلي على النبي ﷺ سبعين مرة يقول اللهم صل على النبي الأمي محمد وآله ثم يسجد ويقول سبعين مرة سبوح قدوس رب الملائكة والروح ثم يرفع رأسه من السجود ويسأل الله حاجته وسميت صلاة الرغائب، لأن الملائكة ترغب في هذا الطول لشرفها. قال النبي ﷺ: >والذي بعثني بالحق ما من عبد ولا أمة يصلي هذه الصلاة الا غفر الله له ذنوبه ولو كانت بعدد نجوم السماء

ورمل الأرض وزبد البحر وشفعه الله تعالى في سبعين من قبيلته ممن استوجبوا النار وإذا كانت الليلة الأولى التي يوضع فيها الميت في قبره يأتيه ثواب هذه الصلاة ويقول أبشر فإنك قد نجوت من هموم الدنيا وأنا مؤنسك ونور في قبرك وفي القيامة تكون في ظلي، ومن صلى هذه الصلاة خصه الله بثلاثة أشياء، يغفر الله له ذنوبه ويعصمه من المعاصي ويقضي حاجته<"[٦].

ولكن يشكك البعض في نسبة الكتاب له، وقد ظهر لنا جليّ بعد تصفح الكتاب عدم صحة نسبته للخوارزمي لعدة قرائن في متن الكتاب[٧]، وقد صرح حاجي خليفة(المتوفى سنة ١٠٦٧هـ) في كشف الظنون أن هذا الكتاب لبعض المغاربة المتأخرين[٨]، وطبع في بيروت بتحقيق (محمد عبد القادر عطا) وكُتب عليه أنه من تأليف زكريا بن محمد بن محمود القزويني المتوفى سنة (٦٨٢هـ) وهو الأقرب لعدة قرائن[٩]، وبهذا يظهر أنه متأخر، وروايته مرسلة، فلم نعتبره من المصادر الأصلية لصلاة الرغائب في كتب العامة.

ملاحظات حول مصادر العامة:

١- تربط الكثير من المصادر بين صلاة الرغائب التي أشرنا لها وبين صلاة ليلة النصف من شعبان التي تُصلّى مائة ركعة بكيفية خاصة، حيث تربط بينهما سواء في الحكم أم في فترة الرواج.

٢- تؤكد الكثير من المصادر أن هذه الصلاة انتشرت في أوساط السنة في القرنين الخامس والسادس الهجريين، حيث عمّت العديد من المدن والأقطار، وأن مبدأ انتشار هذه الصلاة على نطاق واسع كان في سنة ٤٨٠هـ في بيت المقدس، وفي ذلك يقول محمد بن الوليد الطرطوشي (المتوفى سنة ٥٣٠هـ) في كتابه الحوادث والبدع: "أخبرني أبو محمد المقدسي قال: لم يكن عندنا في بيت المقدس قط (صلاة الرغائب) هذه التي تُصلّى في رجب وشعبان، وأول ما حدثت عندنا في أول سنة ثمان وأربعين وأربعمائة، قدم علينا في بيت المقدس رجل من (نابلس)

يعرف بابن أبي الحمراء، وكان حسن التلاوة، فقام، فصلّى في المسجد الأقصى ليلة النصف من شعبان، فأحرم خلفه رجل، ثم انضاف إليهما ثالث ورابع، فما ختمها إلا وهم في جماعة كثيرة، ثم جاء في العام القابل، فصلّى معه خلق كثير، وشاعت في المسجد، وانتشرت الصلاة في المسجد الأقصى وبيوت الناس ومنازلهم، ثم استقرت كأنها سُنّة إلى يومنا هذا. فقلتُ له: فأنا رأيتُك تصليها في جماعة؟ قال: نعم وأستغفر الله منها. قال: وأما صلاة رجب فلم تحدث عندنا في بيت المقدس إلا بعد سنة ثمانين وأربعمائة. وما كنّا رأيناها ولا سمعنا بها قبل ذلك"[١٠]، وقد بلغ اهتمام الناس في بيت المقدس بصلاة الرغائب حدّ كبير خلال تلك الفترة، كما يؤكد ذلك الإمام الغزالي بقوله: "ولكني رأيتُ أهل القدس بأجمعهم يواظبون عليها ولا يسمحون بتركها فأحببتُ إيرادها"[١١].

٣- تباينت مواقف علماء العامة حول هذه الصلاة، على أربعة آراء أساسية:

الأول: من يرى استحبابها، حيث أورد بعض قدماء المحدثين روايتها في مؤلفاتهم من دون تعليق عليها مما يوحي قبولهم بها كالإمام الغزالي[١٢] والشيخ عبد القادر الجيلاني[١٣]، بل صرّح بعض المتأخرين من الصوفية[١٤] وغيرهم[١٥] باعتقاده ثبوتها.

الثاني: من لا يرى الاعتماد على الحديث المروي حول هذه الصلاة إلا أنه يرى مشروعية الإتيان بهذه الصلاة امتثالاً للعمومات الواردة حول الإكثار من الصلاة وأن الصلاة خير موضوع، ومن أبرزهم تقي الدين ابن الصلاح[١٦] ألف رسالة في مشروعيتها وقال فيها: "هذه الصلاة شاعت بين الناس بعد المائة الرابعة ولم تكن تعرف. وقد قيل: إن منشأها من بيت المقدس صانها الله- تبارك وتعالى- والحديث الوارد بها بعينها وخصوصها ضعيف، ساقط الإسناد عن أهل الحديث، ثم منهم من يقول: هو موضوع، وذلك نظنه، ومنهم من يقتصر على وصفه بالضعف، ولا يستفاد له صحة من ذكر رزين بن معاوية إياه في كتابه في تجريد الصحاح، ولا من ذكر صاحب كتاب الإحياء له فيه، واعتماده عليه، لكثرة ما فيهما من الحديث

الضعيف، وإيراد رزين مثله في مثل كتابه من العجب. ثم إنه لا يلزم من ضعف الحديث، بطلان صلاة الرغائب والمنع منها، لأنها داخلة تحت مطلق الأمر الوارد في الكتاب والسنة بمطلق الصلاة، فهي إذًا مستحبة بعمومات نصوص الشريعة الكثيرة، الناطقة باستحباب مطلق الصلاة"[١٧].

الثالث: من يرى حرمة الإتيان بها في جماعة، ولكن لا يرى بأس أن يؤديها الرجل وحده سرًا[١٨] ومنهم من اختار كراهة الجماعة فيها[١٩].

الرابع: وهم جمهور علمائهم الذين يؤكدون على بدعية هذه الصلاة وحرمة الإتيان بها[٢٠].

٤- يلاحظ الباحث أن المصادر السنية القديمة لم تشر للرواية، وإنما وردت في مصادرهم المتأخرة، وقد أعقب ذلك تعليقات كثيرة أطلقت هنا وهناك، ولعل أقدم ما بأيدينا من المصادر التي نقدت الرواية هو معجم الشيوخ لابن عساكر (المتوفى سنة ٥٧١هـ) حيث أورد سند الرواية وشيئ من أولها، ثم قال عنها: "هذا حديث غريب جدًا وفي إسناده غير واحد من المجهولين"[٢١]، ويأتي من بعده كتاب الموضوعات لابن الجوزي (المتوفى سنة ٥٩٧هـ) حيث ضعف الرواية وحكم عليها بالوضع قائلاً: "هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ، وقد اتهموا به ابن جهضم ونسبوه إلى الكذب"[٢٢]، ثم نقل عن شيخه عبدالوهاب الحافظ[٢٣] (المتوفى سنة ٥٣٨هـ) قوله: "رجاله مجهولون، وقد فتشت عليهم جميع الكتب فما وجدتهم"[٢٤]، ثم أعقبه ابن الاثير (المتوفى سنة ٦٠٦هـ) حيث حكم بضعف الحديث[٢٥]، ونقل ياقوت الحموي (المتوفى سنة ٦٢٦هـ) عن الحافظ محمد بن ناصر السلامي[٢٦] (المتوفى سنة ٥٥٠هـ) أنه قال عن صلاة الرغائب: "فإنها أحدثت في زمني وعصري، وقد مضت برهة، ولا أرى أحدًا يصليها، وإنما وردت من الشام، وتداولها الناس حتى أجروها مجرى ما ورد من الصلوات المأثورة"[٢٧] ثم تتالت المصادر المضعفة له.

رجال السند في مصادر العامة:

وبملاحظة الأسانيد التي وصلتنا لهذه الرواية من المصادر السنية، نجد أنها أربعة أسانيد كما أسلفنا بيانها، ورغم أنها مختلفة في بدايتها، إلا أنها تعود لتلتقي بعد ذلك في علي بن عبد الله بن جهضم الهمداني، وتشترك في من بعده من الرواة إلى أنس بن مالك، فهذا المقدار لم تختلف فيه الأسانيد إلا اختلاف يسير يرجع للتصحيف في الأسماء أو للاختصار في ذكرها بحذف أو إضافة الكنى والألقاب، ولهذا فالمهم ملاحظة هذا القدر المشترك من السند، فكل من جاء بعد علي بن جهضم الهمداني فقد أخذ عنه، وبملاحظة رجال السند بحسب المصادر السنية نجد أنهم كالتالي:

الراوي الأول: أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن بن جهضم بن سعيد الهمداني الصوفي (المتوفى سنة ٤١٤هـ) والمدفون بمكة المكرمة، مؤلف كتاب (بهجة الأسرار)[٢٨]، وهو من كبار الصوفية، اختلف فيه، فنُقل عن شيرويه[٢٩] قوله فيه: "كان ثقة صدوقاً عالماً زاهداً حسن المعاملة حسن المعرفة"[٣٠]، وقال أبو موسى المديني[٣١] بعد إيراده لحديث صلاة الرغائب: "حديث غريب لا أعلم أني كتبته إلا من رواية ابن جهضم ورجاله غير معروفين إلى حميد"[٣٢]، وذكر ابن الجوزي أنه متهم بوضع هذه الرواية، فقال: "هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ، وقد اتهموا به ابن جهضم ونسبوه إلى الكذب"[٣٣].

ونقل الذهبي عن ابي الفضل بن خيرون[٣٤] أنه قال في ابن جهضم: "تكلم فيه. قال: وقيل: إنّه يكذب"[٣٥].

ولكن مع ذلك ربما شكك البعض[٣٦] في كون ابن جهضم واضع الرواية، وسبب التشكيك أن النووي قال: "الصلاة المعروفة بصلاة الرغائب وهي اثنتي عشرة ركعة تصلى بين المغرب والعشاء ليلة أول جمعة في رجب وصلاة ليلة نصف شعبان مائة ركعة وهاتان الصلاتان بدعتان ومنكران قبيحتان ولا يغتر بذكرهما في كتاب (قوت القلوب) و(إحياء علوم الدين) ولا بالحديث المذكور فيهما فإن كل ذلك

باطل"[٣٧] وكتاب (قوت القلوب في معاملة المحبوب) من تأليف محمد بن علي بن عطية الحارثي المعروف بأبي طالب المكي المتوفى سنة ٣٨٦هـ، وهو قد توفي قبل ابن جهضم بنحو ثمانية عشر سنة، فلا يمكن أن ينقل عنه عادة، فيثبت بذلك أن الرواية أسبق من ابن جهضم، فليس هو واضعها.

ولكن يرد عليه بأن النووي هنا أشار لصلاة الرغائب وصلاة ليلة النصف من شعبان، وظاهر كلامه أن كلتا الصلاتين قد ذُكرتا في كتاب (قوت القلوب) وكتاب (إحياء علوم الدين)، وهو صحيح بالنسبة للكتاب الثاني دون الأول، حيث أن كتاب (إحياء علوم الدين) أشار للصلاتين معً ، وأما كتاب (قوت القلوب) فلم يشر لصلاة الرغائب أصلاً، وإنّما ذكر خصوص صلاة ليلة النصف من شعبان فقط[٣٨].

على أنه لا مانع من رواية المتعاصرين عن بعضهم، ويمكن القول أن أبا طالب المكي وابن جهضم متعاصران والفرق في الوفاة بثمانية عشر سنة ليس فارق مهما، وقد سكنا مكة في أواخر حياتهما، فما المانع أن يكون أبا طالب المكي قد أخذها من ابن جهضم.

الراوي الثاني: أبو الحسن علي بن محمد بن سعيد البصري: هذا الراوي والراويان من بعده مجهولون كما صرح نقاد الحديث من العامة، وقد تقدم نقلُ ابن الجوزي عن شيخه عبد الوهاب الحافظ (المتوفى سنة٥٣٨هـ) قوله عن رجال السند: "رجاله مجهولون، وقد فتشت عليهم جميع الكتب فما وجدتهم"[٣٩]، وعلق عليه الذهبي بقوله: "بل لَعَلَّهم لم يُخلقوا"[٤٠]، وتقدم أيضًا كلامُ ابن عساكر (المتوفى سنة ٥٧١هـ): "هذا حديث غريب جدّاً وفي إسناده غير واحد من المجهولين"[٤١]، وكلام أبو موسى المديني (المتوفى ٥٨١هـ): "حديث غريب لا أعلم أني كتبته إلا من رواية ابن جهضم ورجاله غير معروفين إلى حميد"[٤٢]، وقد كررتُ البحث كي أتأكد بنفسي فلم أجد من ذكر عليٍ هذا أو أشار لاسمه.

الراوي الثالث: والده، أي محمد بن سعيد البصري: رغم أن نقاد الحديث

من العامة حكموا بمجهولية باقي الرواة كما تقدم نقل عبائرهم، إلا أني بحثت عن هذا الشخص لأتثبت بنفسي، فلم أعثر على ذكر له في المصادر[٤٣].

الراوي الرابع: خلف بن عبد الله الصنعاني: وفي بعض المصادر (الصغاني) والظاهر أنه تصحيف، وحاله كسابقيه حيث لا وجود له في الرواة.

الراوي الخامس: حميد الطويل: بصري تابعي، يكنى أبا عبيدة مات سنة ثلاث وأربعين ومائة، وقد أكثر الرواية عن أنس بن مالك، وقيل أنه لم يسمع منه سوى ٢٤ حديث وقيل بل ١٨ حديث والباقي دلسها، قال عنه ابن حبان: "يروي عن أنس بن مالك روى عنه الناس، وكان يدلّس، سمع من أنس بن مالك ثمانية عشر حديثاً، وسمع الباقي من ثابت، فدلس عنه"[٤٤].

الراوي السادس: أنس بن مالك: هو أنس ْبن مالك ْبن النضر ْبن ضمضم ْبن زيد ْبن حرام الخزرجي الأنصاري، خدم رسول الله ' في صغره، وعاش بعده عمر مديد ، ولد في حوالي السنة العاشرة قبل الهجرة، واختلف في وفاته فقيل سنة٩٠هـ وقيل سنة ٩٣هـ وقيل غير ذلك، وقد أكثر الرواية عن رسول الله ' ، وقيل: أن أمير المؤمنين عليه السلام دعاه ليشهد على حادثة الغدير فشهد[٤٥]، وقيل: بل امتنع، فدعا عليه[٤٦]، أراد الحجاج إذلاله فوسم على يده (عتيق الحجاج)[٤٧].

صلاة ليلة الرغائب في مصادرنا:

إذا رجعنا إلى مصادرنا الروائية نجد أن جميع النقولات الواردة حول صلاة ليلة الرغائب ترجع إلى مصدرين أساسيين أو ثلاثة، والمصادر الأخرى إنما تنقل عنها:

الأول: ما ذكره السيد رضي الدين علي بن طاووس الحسني(المتوفى سنة ٦٦٤هـ) في كتاب (إقبال الأعمال) الذي كتبه سنة ٦٥٥هـ، حيث قال: "وجدنا ذلك في كتب العبادات مرويا عن النبي صلى الله عليه وآله، ونقلته أنا من بعض كتب أصحابنا رحمهم الله

فقال في جملة الحديث عن النبيﷺ في ذكر فضل شهر رجب ما هذ لفظه: >ولكن لا تغفلوا عن أول ليلة جمعة منه، فإنها ليلة تسميها الملائكة ليلة الرغائب، وذلك أنه إذا مضى ثلث الليل لم يبق ملك في السماوات والأرض إلا يجتمعون في الكعبة وحواليها، ويطلع الله عليهم إطلاعة فيقول لهم: يا ملائكتي سلوني ما شئتم، فيقولون: ربنا حاجتنا إليك أن تغفر لصوام رجب، فيقول الله تبارك وتعالى: قد فعلتُ ذلك.

ثم قال رسول الله ' : ما من أحد صام يوم الخميس أول خميس من رجب ثم يصلّي بين العشاء والعتمة اثنتي عشرة ركعة، يفصل بين كل ركعتين بتسليمة، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة و{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} ثلاث مرات، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} اثنتي عشرة مرة فإذا فرغ من صلاته صلّى عليّ سبعين مرة، يقول: اللهم صلّ على محمد النبي الأمي وعلى آله. ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرة: سبوح قدوس رب الملائكة والروح، ثم يرفع رأسه ويقول: رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت العلي الأعظم. ثم يسجد سجدة أخرى فيقول فيها مثل ما قال في السجدة الأولى، ثم يسأل الله حاجته في سجوده، فإنها تقضى إن شاء الله تعالى.

ثم قال رسول الله ' : والذي نفسي بيده لا يصلي عبد أو أمة هذه الصلاة إلا غفر الله له جميع ذنوبه، ولو كانت ذنوبه مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وعدد ورق الأشجار، ويشفع يوم القيامة في سبعمائة من أهل بيته ممن قد استوجب النّار، فإذا كان أول ليلة نزوله إلى قبره بعث الله إليه ثواب هذه الصلاة في أحسن صورة بوجه طلق ولسان ذلق، فيقول: يا حبيبي أبشر فقد نجوت من كل شدة، فيقول: من أنت فما رأيتُ أحسن وجهاً منك ولا شممتُ رائحة أطيب من رائحتك؟ فيقول: يا حبيبي أنا ثواب تلك الصلاة التي صليتها ليلة كذا في بلدة كذا في شهر كذا في سنة كذا، جئتُ الليلة لأقضي حقك وآنس وحدتك وأرفع عنك وحشتك، فإذا نفخ في الصور ظللتُ في عرصة القيامة على رأسك، وإنك لن تعدم

الخير من مولاك أبداً<"[٤٨].

الثاني: ما ذكره العلامة الحلي (المتوفى سنة ٧٢٦هـ) في إجازته الكبيرة لبني زهرة الحلبيين والتي كتبها في سنة ٧٢٣هـ، حيث قال: "ومن ذلك ذكر صلاة الرغائب روى صفتها الحسن بن الدربي، عن الحاج الصالح مسعود بن محمد بن أبي الفضل الرازي المجاور بمشهد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام كان قرأها عليه في محرم سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة، قال: أخبرني الشيخ زين الدين ضياء الإسلام أبو الحسن علي بن عبد الجليل العياضي الرازي ببلد الرّي في أول شهر رجب من سنة أربع وأربعين وخمسمائة، قال: أخبرني شرف الدين المنتجب بن الحسن بن علي الحسني، قال: أخبرني سديد الدين أبو الحسن علي بن الحسن الجاسبي، قال: أخبرنا المفيد عبد الرحمن بن أحمد النيسابوري الخزاعي بالري قال: حدثنا أبو عبد الله الحسين بن علي، عن الحاج سموسم، قال: حدثنا أبو الفتح بن رجاء بن عبد الواحد الأصفهاني، قال: حدثنا أبو القاسم عبد العزيز بن راشد بندار الشيرازي، قال: حدثنا أبو الحسن الهمداني، قال: حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن سعيد البصري، قال: حدثني أبي، قال: حدثني خلف بن عبد الله الصنعاني، قال: حدثني حميد الطوسي، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **<رجب شهر الله، وشعبان شهري، ورمضان شهر أمتي، قيل: يا رسول الله ما معنى قولك: رجب شهر الله؟ قال: لأنه مخصوص بالمغفرة، فيه تحقن الدماء، وفيه تاب الله على أوليائه، وفيه أنقذهم من يد أعدائه. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من صامه كلّه استوجب على الله ثلاثة أشياء مغفرة لجميع ما سلف من ذنوبه، وعصمة فيما بقي من عمره، وأماناً من العطش يوم الفزع الأكبر.**

فقام شيخ ضعيف وقال: يا رسول الله إني عاجز عن صيامه كلّه. فقال رسول الله: صم أول يوم منه فإن الحسنة بعشر أمثالها، وأوسط يوم منه وآخر يوم منه فإنك تعطى ثواب من صامه كله، ولكن لا تغفلوا عن ليلة أول جمعة منه، فإنها ليلة تسميها الملائكة ليلة الرغائب، وذلك إذا مضى ثلث الليل لا يبقى ملك في السماوات والأرض إلا ويجتمعون في الكعبة وحواليها، ويطلع الله عليهم اطلاعة فيقول لهم:

يا ملائكتي سلوني ما شئتم. فيقولون: ربنا حاجاتنا إليك أن تغفر لصوّام رجب. فيقول الله عزوجل قد فعلت ذلك.

ثم قال رسول الله ﷺ ما من أحد يصوم الخميس أول خميس من رجب، ثم يصلّي ما بين العشاء والعتمة اثني عشر ركعة، يفصل بين كل ركعتين بتسليمة، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة واحدة، و{إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} ثلاث مرات، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ} اثني عشر مرة، فإذا فرغ من صلاته صلّى عليّ سبعين مرة، يقول: اللهم صل على محمد وعلى آله، ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرة: سبوح قدوس رب الملائكة والروح، ثم يرفع رأسه فيقول سبعين مرّة: رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت العلى الأعظم، ثم يسجد سجدة أخرى فيقول فيها ما قال في الأولى ثم يسأل الله تعالى حاجته في سجوده، فإنها تقضى.

قال رسول الله ﷺ: ‹والذي نفسي بيده لا يصلي عبد أو أمة هذه الصلاة إلا غفر الله له جميع ذنوبه ولو كانت ذنوبه مثل زبد البحر، وعدد الرمل، ووزن الجبال وعدد ورق الأشجار، ويشفع يوم القيامة في سبع مائة من أهل بيته ممن قد استوجب النار، فإذا كان أول ليلة في قبره بعث إليه ثواب هذه الصلاة في أحسن صورة فتجيئه بوجه طلق ولسان ذلق، فيقول: يا حبيبي أبشر فقد نجوتَ من كل شدة فيقول من أنت؟ فوالله ما رأيتُ وجهاً أحسن من وجهك، ولا سمعتُ كلاماً أحلى من كلامك، ولا شممت رائحة أطيب من رائحتك. فيقول: يا حبيبي أنا ثواب تلك الصلاة التي صليتَها في ليلة كذا من شهر كذا من سنة كذا، جئتُك الليلة لأقضي حقك وأونس وحدتك وأدفع عنك وحشتك، فإذا نفخ في الصور ظللتُ في عرصة القيامة على رأسك فأبشر فلن تعدم الخير أبداً›"[٤٩].

الثالث: الشيخ تقي الدين إبراهيم العاملي الكفعمي (المتوفى سنة ٩٠٥هـ) حيث قال في كتابه (جنة الأمان الواقية وجنة الإيمان الباقية) المعروف بـ(المصباح) ما لفظه: "تتمة صلاة الرغائب المروية عن النبي ﷺ اثنتي عشرة ركعة وصفة عملها أن يصوم أول خميس من رجب، ثم يصليها بين العشائين ليلة الجمعة،

يقرأ في كل ركعة الحمد والقدر ثلاثاً والتوحيد اثنتي عشرة، ثم سلم وصل على محمد وآله سبعين مرة، ثم اسجد وقل سبوح قدوس رب الملائكة والروح سبعين مرة، ثم ارفع رأسك وقل: رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت العلي العظيم. سبعين مرة ثم اسجد أخرى وقل فيها ما قلته في الأولى، ثم يسئل الله تعالى حاجته في سجوده تقضى إن شاء الله تعالى"[٥٠].

رجال السند في مصادر الإمامية:

من بين المصادر المشار إليها لم يرد سند لرواية صلاة الرغائب سوى السند الذي أورده العلامة الحلي في إجازته الكبيرة لبني زهرة، ورغم أن العلامة ذكر سند الرواية وابتدأه بالحسن بن الدربي[٥١]، إلا أن العلامة لم يعاصره وإنما يروي عنه بواسطة شيخه السيد رضي الدين علي بن طاووس كما صرح بذلك قبل عدة صفحات[٥٢]، ويظهر من ذلك أن السيد ابن طاووس يروي صلاة الرغائب عن الحسن الدربي أيض .

كما أن مراجعة سريعة للإجازة الكبيرة تظهر بجلاء أن العلامة يروي جملة من كتب العامة بواسطة الحسن بن الدربي، فمن ذلك كتاب صحيح مسلم، وكتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ومسند أبي يعلي الموصلي، وسنن أبي داود، وحلية الأولياء لأبي نعيم[٥٣].

وبالتأمل في السند الذي ذكره العلامة الحلي يمكن تقسيمه لأربعة أقسام:

القسم الأول: وهم السبعة الأوائل في السند:

١- السيد رضي الدين علي بن موسى بن طاووس.

٢- الحسن بن علي بن الدربي.

٣- الحاج الصالح مسعود بن محمد بن أبي الفضل الرازي.

٤- الشيخ زين الدين ضياء الإسلام أبو الحسن علي بن عبد الجليل البياضي الرازي.

٥- شرف الدين المنتجب بن الحسن بن علي الحسني.

٦- سديد الدين أبو الحسن علي بن الحسن الجاسبي.

٧- المفيد عبد الرحمن بن أحمد النيسابوري الخزاعي بالري.

وهؤلاء كلهم من علماء الطائفة المعروفين والمذكورين في كتب التراجم، وإن تفاوتت مراتب شهرتهم.

القسم الثاني: وهم الثلاثة الذين بعدهم:

١- أبو عبد الله الحسين بن علي

٢- الحاج سموسم.

٣- أبو الفتح بن رجاء بن عبد الواحد الأصفهاني.

وهؤلاء لم أجد لهم ذكر في كتب التراجم، ولكن يبدو أن ثالثهم من العوائل العلمية السنية في أصفهان.

القسم الثالث: ويحتوي على الراوي التالي لهم أعني به: أبو القاسم عبد العزيز بن راشد بندار الشيرازي، والظاهر أن اسم (راشد) هنا زيادة، والصحيح أن اسمه: أبو القاسم عبد العزيز بن بندار بن عليّ بن الحسن الشيرازي (المتوفى سنة ٤٥١هـ)[٥٤] وقد ذكر الذهبي أنه ممن روى حديث صلاة الرغائب عن ابن جهضم[٥٥].

القسم الرابع: ويحتوي على بقية رجال السند، وهم:

١- أبو الحسن الهمداني، والمقصود به هنا أبو الحسن علي بن عبد الله بن جهضم الهمداني.

٢- أبو الحسن علي بن محمد بن سعيد البصري.

٣- أبيه، أي محمد بن سعيد البصري.

٤- خلف بن عبد الله الصنعاني.

٥- حميد الطوسي، وهو تصحيف والصحيح (حميد الطويل).

٦- أنس بن مالك.

ومن الواضح أنهم نفس الرجال الذين ذكرناهم سابقا في سند الرواية في المصادر السنية، وهو ما يؤكد أن مصدر الرواية سواء في مصادر السنة أو الشيعة هو علي بن جهضم الذي اتهموه بوضع الرواية كما تقدم.

ملاحظات حول مصادر الرواية في كتب الإمامية:

١- هذه الرواية لم ترد في شيء من كتبنا القديمة كالكتب الأربعة، مع أنهم أوردوا فيها العديد من الصلوات المستحبة، وكذا بقية كتب الشيخين الصدوق والطوسي، مع أن من المناسب جدّا بل من المهم أن تُذكر هذه الصلاة في مثل كتاب (مصباح المتهجد) للشيخ الطوسي المخصص لذكر الأدعية والصلوات، والأغرب أن الشيخ الصدوق لم يذكرها في كتابه (فضائل شهر رجب)[٥٦] وهو مخصص للروايات الواردة في فضل شهر رجب، مع أنه أورد فيه العديد من الروايات الضعيفة وبعضها عن العامة، وهو ما يؤكد عدم وجودها في زمانه، حيث أنها أحدثت بعده؛ إذ لو اطلع عليها لما أعرض عنها في مثل هذا الكتاب، خصوصا وأن الثواب الوارد فيها يجعلها من بين أهم أعمال شهر رجب.

والخلاصة أن هذه الرواية لا وجود لها في ما وجدناه من كتب الإمامية قبل السيد ابن طاووس المتوفى سنة ٦٦٥هـ، وقبل تلميذه العلامة الحلي (المتوفى سنة ٧٢٦هـ)، نعم أشار ابن طاووس إلى أنه نقلها عن بعض كتب أصحابنا، حيث قال: "وجدنا ذلك في كتب العبادات مرويًا عن النبي صلى الله عليه وآله، ونقلته أنا من بعض كتب أصحابنا فقال في جملة الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله في ذكر فضل شهر رجب ما هذا لفظه: >ولكن لا تغفلوا...<" ولا يخفى أن قوله "ونقلته أنا من بعض كتب أصحابنا" يوحي بما ذكرناه من أن الرواية مصدرها الأصلي عامي وإن كان هو -أي ابن طاووس- قد نقلها من مصدر شيعي، ولعله نقله من كتاب لشيخه الحسن الدربي.

والملفت أن ابن طاووس يذكر أسانيده ومصادر نقله في كتاب الإقبال

كثير كما يظهر ذلك في الموارد التي تتبعناها، ولكنه هنا لم يذكر اسم المصدر الذي نقل عنه الرواية.

٢- واتضح مما تقدم أن مصادر العامة التي أوردناها كلها قبل هذا التاريخ، ونقاد حديثهم تكلموا عن الرواية قبل ورودها في مصادرنا بزمن، وسند الرواية الموجود في مصادرنا هو نفس السند الموجود في مصادر العامة مع إضافة أسماء من تأخر زمانه عن ابن جهضم، وهو ما يؤكد أنها تسربت لمصادرنا عن طريق العامة.

٣- ثم لو فرض أن الرواية كانت موجودة وبمرأىً ومسمع من أصحاب الأئمة فلا بد أن يعطوها اهتماما يناسب ما ورد حولها من ثواب كما هو الحال في مثل صلاة جعفر الطيار، حيث وردت الكثير من الروايات التي يسألون الأئمة فيها عن لزوم السور الخاصة، أو عن حكم من نسي التسبيح في موضع معين، أو جواز التفريق بين ركعاتها، مما يدل على اهتمام واضح بصلاة جعفر، والحال أننا لا نجد من ذلك عينا ولا أثر بالنسبة لصلاة الرغائب.

النتيجة:

ونحن بالالتفات لكل ما تقدم، وبعد ملاحظة متن الرواية وما ورد فيها من فضل عظيم، والذي على فرض صدوره ينبغي أن يشتهر كالشمس، وأن تتظافر به الروايات، فكيف يختص بنقله خبر آحاد من العامة وفي سنده ما فيه، وبالنظر إلى أن أحد من الأئمة لم يذكره لأصحابه لينقلوه في كتبهم ومصادرهم على أهميته، من كل ذلك يحصل لنا اطمئنان تام بأنها رواية موضوعة لا مجال للاعتماد عليها في العبادات.

ثم لا يخفى أن المصادر المتأخرة(٥٧) التي أشارت لصلاة الرغائب إنما اعتمدت على المصادر الثلاثة التي أشرنا لها، خصوص إيراد السيد ابن طاووس للرواية في كتاب الإقبال، فليست مصادر مستقلة في قبال المصادر الثلاثة، وحيث لم يلتفتوا للأمور التي بيناها فقد أخذوا بالرواية إما من باب التسامح في

أدلة السنن، أو من باب رجاء المطلوبية.

صلاة الرغائب وحديث (من بلغه):

ورد في صحيحة هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: >من سمع شيئاً من الثواب على شيء فصنعه كان له وإن لم يكن على ما بلغه<[٥٨]، ومثله رواية محمد بن مروان عن الباقر عليه السلام قال: >من بلغه ثواب من الله على عمل فعمل ذلك العمل التماس ذلك الثواب أوتيه، وإن لم يكن الحديث كما بلغه<[٥٩]، ومثله أيضا رواية المحاسن للبرقي[٦٠] عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: >من بلغه عن النبي صلى الله عليه وآله شيء من الثواب فعمله كان أجر ذلك له، وإن كان رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقله<[٦١] ومثلها روايات أخرى في الباب.

وورد مثله في كتب العامة عن جابر بن عبد الله عن رسول الله ' أنه قال: >من بلغه عن الله شيء فيه فضيلة فأخذ به إيماناً بالله ورجاء ثوابه أعطاه الله ذلك وإن لم يكن كذلك<[٦٢]، ومثله ما رووه عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ' : >من بلغه عن الله رغبة، فطلب ثوابها، أعطاه الله أجرها، وإن لم تكن الرغبة على ما بلغه، قُلتُه أو لم أقله فأنا قُلتُه<[٦٣].

وتعرف هذه الروايات في كلمات علمائنا بروايات من بلغ، وقد اختلف الأعلام في مفاد هذه الروايات، وقد ذُكرت عدة وجوه محتملة في مفادها، منها:

الوجه الأول: مفادها إثبات الحجية للخبر المثبت للثواب على عمل ما وإن كان الخبر ضعيف في نفسه.

الوجه الثاني: مفادها أن بلوغ الثواب على عمل علة تامة لاستحبابه شرع بالعنوان الأولي.

الوجه الثالث: مفادها أن بلوغ الثواب على عمل علة لاستحبابه شرع ، ولكن بالعنوان الثانوي، فالاستحباب هنا بعنوان أنه شيء بالغ فيه الثواب وبرجاء دركه.

الوجه الرابع: مفادها إرشاد لحسن الانقياد وحث عليه، وإثبات لترتب الثواب

البالغ، فهي لا تثبت سوى ترتب الثواب على العمل الذي بلغ عليه الثواب عند الإتيان به رجاء إدراك الواقع، من دون أن يثبت استحباب في المقام.

الوجه الخامس: مفادها أن ما ثبت استحبابه أو وجوبه بطريق معتبر ثم جاء خبر ضعيف دال على إثبات ثواب خاص له، ثبت الثواب الخاص لمن أتى به رجاء درك ذلك الثواب.

والمحكي عن المتقدمين[٦٤] وصريح جملة من المتأخرين هو الوجه الأول، وهو ما يستفاد من تعبيرهم عن مؤدى النصوص بـ(التسامح في أدلة السنن)، إذ ظاهر هذا التعبير ثبوت الحجية لما ليس بحجة في نفسه، وقد ناقشه الشيخ الأعظم ومن تأخر عنه، ولعل أكثر المعاصرين على الرابع، وبعضهم على الثالث.

ويبدو أن هذه المسألة موجودة عند العامة أيضاً وإن لم تكن اتفاقية عندهم، قال النووي المتوفى سنة ٦٧٦هـ معلقاً على حديث ورد في استحباب تلقين الميت: "والحديث الوارد فيه ضعيف، لكن أحاديث الفضائل يتسامح فيها عند أهل العلم من المحدثين وغيرهم"[٦٥]، وقال ابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢هـ في مقدمة كتابه في (فضل شهر رجب) ما لفظه: "اشتهر أن أهل العلم يتسامحون في إيراد الأحاديث في الفضائل وإن كان فيها ضعف ما لم تكن موضوعة"[٦٦]، ومثله عن غيرهما[٦٧].

أما بالنسبة لصلاة الرغائب ومفاد أحاديث (من بلغ) فلا يخفى أنه بناء على الوجه الخامس من الوجوه المتقدمة لا يبقى مجال للأخذ بحديث صلاة الرغائب؛ إذ إنه لم يثبت استحبابها بطريق معتبر، وأما على الوجوه الأربعة الأخرى فمع الاطمئنان بكونها رواية موضوعة -على ما تقدم- لا يبقى موضوع للوصول المشار إليه في نصوص من بلغ؛ إذ إن موردها لا يشمل الاطمئنان بالوضع، نعم من لم يحصل له اطمئنان بوضعها جاز له العمل بها بمناط الاستحباب الذاتي، أو الاستحباب الطارئ لكونه عملاً بلغ عليه الثواب، أو برجاء المطلوبية على التفصيل المتقدم في الوجوه الأربعة، ولا ينافيه حينئذ

كون الرواية ضعيفة السند؛ إذ هو نحو وصول.

شمول أحاديث من بلغ لما في كتب العامة:

نعم يبقى ثمة إشكال قد يطرح حتى عند من لا يطمئن بكون الرواية موضوعة، إذ إننا بيّنا فيما سبق أن الرواية لا أصل لها في كتبنا الحديثية، وأنها وصلتنا وتسربت لكتبنا من طرق العامة ومصادرهم، وحينئذ قد يقال بأن أحاديث من بلغ تختص بما رواه أصحابنا في كتبهم، ولا تشمل ما نقله المخالفون في كتبهم ثم انتقل إلى كتبنا ومصادرنا، فإنه لا يصح التمسك بحديث من بلغ للعمل بمضمون تلك الأخبار، ولهذا قال العلامة المجلسي: "ثم اعلم أن بعض الأصحاب يرجعون في المندوبات إلى أخبار المخالفين ورواياتهم ويذكرونها في كتبهم، وهو لا يخلو من إشكال لورود النهي في كثير من الأخبار عن الرجوع إليهم والعمل بأخبارهم، لا سيما إذا كان ما ورد في أخبارهم هيئة مخترعة وعبادة مبتدعة لم يعهد مثلها في الأخبار المعتبرة"[٦٨]، والمنقول عن المحقق الشيخ سليمان الماحوزي البحراني تأييده في ذلك[٦٩]، ويبدو أنه اختيار المحدث البحراني في درره وحدائقه[٧٠].

ولكن ظاهر أكثر الأعلام عدم التفريق بين ما وصل من طرقنا وما وصل من طرق العامة، تمسكا بإطلاق النصوص الواردة، وهو ما يستفاد من كلام الشهيد الثاني حول صلاة الأعرابي حيث قال: "ولم يثبت لها طريق في أخبارنا، إلا أن أحاديث السنن يتسامح فيها"[٧١]، وهو اختيار السيد محمد المجاهد على ما في أصوله[٧٢] والشيخ الأعظم في رسالته[٧٣].

تنبيهات:

الأول: لو غضضنا النظر عن الإشكالات المتقدمة وبنينا على شمول حديث من بلغ لهذه الرواية، يبقى ثمة إشكال آخر ذكره السيد الخوئي عند تعرضه

لصلاة الغفيلة، وهو بعينه جارٍ هنا وحاصله: هل يمكننا الخروج بهذه الرواية عمّا دلّ على النهي عن التطوع في وقت الفريضة، وعما دل على أنهم إنما كانوا يصلون بعد المغرب أربع ركعات؟ أم لا بد من حملها على التأكيد واتحادها مع نوافل المغرب؟

وقد أجاب بما حاصله أنه لو أتى بالنافلة الخاصة قبل الأربع ركعات التي هي نوافل المغرب.

ثم إنا لو تنازلنا عن ذلك وبنينا على أن الرواية الواردة في استحباب الغفيلة -بعنوانها- وبتلك الكيفية والخصوصية معتبرة بحسب السند فهل يمكننا الاستدلال بها على استحباب ركعتين أخريين زائدتين على أربع ركعات النوافل بين صلاتي المغرب والعشاء؟ وهل يمكننا الخروج بها عما دل على النهي عن التطوع في وقت الفريضة وعما دل على أنهم إنما كانوا يصلون بعد المغرب أربع ركعات؟ أو لا بد من حملها على التأكيد واتحادهما مع الأربع النوافل كما صنعناه في الأخبار الآمرة بركعتين ولو خفيفتين بين صلاتي المغرب والعشاء؟ الصحيح أن يفصّل بين ما إذا أتى بصلاة الغفيلة قبل الأربع، وما إذا أتى بها بعدها. لأنه إذا أتى بها قبل نافلة المغرب ولو بتلك الكيفية الخاصة حصل بها امتثال أمر النافلة، لأن الأربع المستحبة بعد صلاة المغرب مطلقة، وصلاة الغفيلة ركعتان مقيدتان بالكيفية المتعينة، ومن الظاهر أن المطلق يتحقق في ضمن المقيد، بمعنى أن مقتضى إطلاق المتعلق في نافلة المغرب وعدم تقيده بكيفية خاصة هو احتساب الركعتين -أعني صلاةالغفيلة- بكيفياتها من النافلة.

وبعد امتثال الأمر بالغفيلة يسقط الأمر بالنافلة أيض إذا فالإتيان بها -في الحقيقة- امتثال لكل من الأمر بالغفيلة، والأمر بالنافلة، وهذا بخلاف ما إذا أتى بها بعد النافلة لأنه بعد الإتيان بها وسقوط أمرها بالامتثال يبقى الأمر بالغفيلة أعني الركعتين بالكيفية الخاصة بحاله، لوضوح أن الأمر المتعلق بالمقيد لا يسقط بالإتيان بفرد من أفراد المطلق غير المشتمل على القيد. بل مقتضى

إطلاقه مطلوبيتها ولو بعد الإتيان بنافلة المغرب فلا موجب لسقوطها بل هو يستدعي الإتيان بركعتين أخريين بالكيفية الخاصة ومعه يبلغ عدد الركعات المستحبة بعد المغرب إلى ست هذا. ولكن الإتيان بها حينئذ خلاف الاحتياط، لأنه من التطوع في وقت الفريضة والنهي عنه وإن حملناه على الكراهة، إلا أن الأمر بالغفيلة لما لم يثبت بدليل لم يسعنا الخروج فيها عن النهي أبد . نعم لو كانت الرواية تامة بحسب السند لجعلناها مخصصة للنهي عن التطوع في وقت الفريضة، والتزمنا باستحباب الغفيلة بالتخصيص ولكنها ضعيفة كما مر، إذن الأولى أن يؤتى بها متقدمة على النافلة ومدرجة فيها بأن يؤتى بنافلة المغرب بصورة الغفيلة وخصوصياتها ليكون المجموع أربع ركعات ويمتثل بها كل من الأمر.

الثاني: في تحديد الوقت المذكور لصلاة الرغائب عند من يرى احتمالية الصدور، وهناك تحديدان لوقتها:

التحديد الأول: على ما قدمنا نقله من رواية هذه الصلاة عن السيد ابن طاووس والعلامة، وقد جاء تحديد وقت الصلاة في نصهما هكذا: >ثم يصلّي **ما بين العشاء والعتمة اثني عشر ركعة**<[٧٤]، وهو الموافق لأكثر مصادر العامة[٧٥].

التحديد الثاني: وهو ما تقدم نقله عن الشيخ الكفعمي، حيث حدد وقتها بقوله: "ثم يصليها بين العشائين ليلة الجمعة"[٧٦]، وعبارته قريبة مما نقلناه من عبائر بعض العامة حيث قالوا: "ما بين المغرب والعشاء" كما في عبارة الجيلاني[٧٧]، والنووي[٧٨].

وتحرير المسألة يتوقف على بيان معنى العتمة، قال في الصحاح: "العتمة: وقت صلاة العشاء، قال الخليل: العتمة هو الثلث الأول من الليل بعد غيبوبة الشفق. وقد عتم الليل يعتم. وعتمته: ظلامه"[٧٩]، والعتمة في الأصل وقت اشتداد الظلمة في أول الليل[٨٠]، أي وقت صلاة العشاء الممتد إلى ثلث الليل أو إلى نصفه، وأطلقت في كثير من روايات الفريقين على نفس صلاة العشاء فيقال لها صلاة

العتمة، وإنما أطلق عليها ذلك باعتبار وقتها، ولكن ورد عند العامة النهي عن تسمية العشاء بصلاة العتمة.

ثم إنه بناء على التحديد الأول لوقتها (ما بين العشاء والعتمة) ينبغي أن يكون المقصود بالعشاء هنا أول الوقت بعد أداء فريضة العشاء، ويكون المقصود بالعتمة آخر وقتها أي ثلث الليل أو نصفه، وذلك لازم التغاير بين المبدأ والمنتهى وتحقق البينية.

إلا أن يقال بأن (العشاء) هنا مجاز أريد به صلاة المغرب، في حين قُصد بـ(العتمة) صلاة العشاء، فيكون المعنى أنها تُصلى بين المغرب والعشاء، ليشترك مع التحديد الثاني في المعنى، ولكن لا يخفى ما فيه من تكلف، ولهذا علّق على ذلك أبو القاسم المقدسي المعروف بأبي شامة بقوله: "وواضع هذا الحديث استعمل فيه أيضاً من الألفاظ ما كان يدل على وضعه ظاهراً وهو قوله (يصلي بين العشاء والعتمة) أراد بين العشاء والمغرب، فهذا بعيد من لفظ النبي، فإنه قد صح عنه أنه نهى أن يقال للمغرب العشاء ونهى أن يقال للعشاء العتمة، وهذا وجه حسن والله أعلم"[٨١].

الثالث: فيما يتعلق بكيفية هذه الصلاة فإن المستفاد من النصوص المتقدمة في بيان الكيفية هو لزوم أن يقرأ فيها سور خاصة، فيقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة واحدة، و{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} ثلاث مرات، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} اثني عشر مرة، وكذا الإتيان بالسجدتين والأذكار الخاصة فيهما، ولكن العلامة الشيخ حسين آل عصفور أوردها في السداد منصص على كفاية قراءة أي سورة ومن دون إشارة للسجدتين والأوراد الخاصة حيث قال: "وهي اثنتا عشرة ركعة بين المغرب والعشاء بأي سورة كان فإذا فرغ من صلاته صلى على محمد صلى الله عليه وآله وسلّم سبعين مرّة"[٨٢]، وبحسب تتبعنا الطويل في المصادر لا نحتمل أنه عثر في المسألة على رواية لم نعثر عليها، والأقرب أنه رأى أن خصوصية قراءة السور والسجدتين والأذكار ما هي إلا قيود كمالية لهذه الصلاة من باب

تعدد المطلوب، فهي من قبيل المستحب في المستحب، وهو وجيه لو فرض ورود دليل مطلق على استحبابها، ثم ورد دليل آخر على تقييد كيفيتها بهذه السور الخاصة، فنتمسك بإطلاق الدليل الأول ونحمل الثاني على الأفضلية والتفاوت في مراتب الفضل، ولكن حيث علمنا انحصار دليل هذه الصلاة بالرواية المتقدمة، وانعدام الدليل المطلق فلا محيص من القول بأنّ قراءة هذه السور دخيل في تحقق ماهية هذه النافلة الخاصة وليست شرط كمال لها.

الثالث: التعقيبات الخاصة الواردة عقيب هذه الصلاة جزء من مجموع العمل الذي بلغ عليه الثواب، ولكن بين الروايات اختلاف في بيان هذه التعقيبات، والأشهر في نصها ما تقدم نقله عن ابن طاووس والجيلاني: "فإذا فرغ من صلاته صلّى عليّ سبعين مرة، يقول: اللهم صلّ على محمد النبي الأمي وعلى آله. ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرة: سبوح قدوس رب الملائكة والروح، ثم يرفع رأسه ويقول: رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت العلي الأعظم. ثم يسجد سجدة أخرى فيقول فيها مثل ما قال في السجدة الأولى، ثم يسأل الله حاجته في سجوده".

ورغم أن أكثر المصادر تذكر هذا النص ولكن ثمة اختلافين يلحظهما الباحث:

١- الاختلاف في بيان كيفية الصلاة على محمد وآله عقيب الصلاة، إذ فيها شيء من الاختلاف بين المصادر، ففي إجازة العلامة الحلي "صلّى عليّ سبعين مرة، يقول: اللهم صل على محمد وعلى آله"، ولفظه يختلف حيث حذف لفظ "النبي الأمي".

وفي مصباح الكفعمي: "وصل على محمد واله سبعين مرة" من دون بيان الكيفية التي تشير إليها بقية المصادر.

وفي نسخة ابن الجوزي: "فإذا فرغ من صلاته صلّى علي سبعين مرة، ثم يقول: اللهم صلّ على محمد النبي الأمي وعلى آله"، والظاهر زيادة كلمة (ثم)، بقرينة بقية النقولات.

٢- الاختلاف في لفظ الدعاء الذي يقال بين السجدتين، فالمشهور هو ما أوردناه نقلاً عن ابن طاووس، ولكن في مصباح الكفعمي: "...إنك أنت العلي العظيم"، وفي إحياء علوم الدين: "...إنك أنت الأعز الأكرم".

وحيث إن الرواية واحدة بسند واحد ولواقعة واحدة، فلا مجال لإحراز الامتثال وموافقة الواقع المطلوب إلا بالجمع بين الكيفيات المختلفة وإن استلزم تكرار العمل؛ إذ إننا نحرز أن هذا الاختلاف إنما حصل نتيجة التصحيف في النسخ أو قلة الضبط عند بعض الرواة، فلا مجال لاحتمال التخيير من قبل الشارع هنا حتى تجري البراءة عن التعيين.

وربما يقال بأن القطع بوحدة الواقعة لا ينفي احتمال التخيير وجداناً؛ إذ من المحتمل أن يكون النبي صلى الله عليه وآله في مقام بيان الكيفية المؤكدة والكاملة في الاستحباب على نحو تعدد المطلوب، أي أن ما بينه هو الفرد الأفضل من أفراد المستحب، فمع هذا الاحتمال يكون احتمال التخيير وجدانياً وهو يقتضي جريان البراءة عن الشرطية.

ولكن يورد بما أفاده السيد الخوئي من أنه وإن كان الغالب في القيود الواردة في المستحبات أنها من باب المستحب في المستحب على وجه تعدد المطلوب لا التقييد، إلا أن ذلك خاص بما إذا ورد دليل مطلق على أصل العمل، ثم ورد دليل آخر عليه مقيد بالسورة المعينة أو الذكر الخاص، فيحمل ذلك على اختلاف مراتب الفضل وتعدد المطلوب، وأما إذا لم يكن في البين إلا دليل واحد مقيد، فمقتضى القاعدة الاقتصار على العبادة المقيدة بتلك السورة أو الذكر، وكون الغالب في هذا الباب أنه من تعدد المطلوب وإن كان مسلم ولكنه لا يجدي إلا الظن الذي لا اعتبار به، فلا جزم بالأمر بالفاقد. نعم لا بأس بالاتيان به رجاءً[٨٣].

نعم لزوم التكرار في مقام الامتثال لأجل تحصيل الثواب الوارد مختص بما إذا لم يحصل للمكلف اطمئنان بتعين نص محدد لاحتفافه بقرائن خاصة

كاشتهاره أو شذوذ ما قابله من لفظ، وهو غير بعيد في المقام بالنسبة لنسخة السيد ابن طاووس حيث توافقها أغلب النسخ.

الخامس: ذكر بعض الإخوة الأفاضل خلال مباحثة سابقة معه أنه حتى مع سقوط صلاة الرغائب عن الاعتبار نتيجة الإشكالات المتقدمة إلا أن ذلك مقتصر على هذه الصلاة ولا يشمل ما ورد في فضل تلك الليلة -يعني ليلة أول جمعة من رجب- وبقية أعمالها المستحبة.

إلا أن مراجعة الروايات المنقولة في المصادر -سيما مصباح الكفعمي ومفاتيح الجنان- تؤكد أن ما ورد في فضل تلك الليلة سواء بعنوان ليلة الرغائب أو بعنوان أول ليلة جمعة من رجب ينحصر مرجعه في هذه الرواية التي تقدم الحديث عنها ونقدها، ولم نعثر على أي رواية أخرى تتحدث عن فضل خاص لتلك الليلة، نعم لا شك أن كونها ليلة الجمعة بلحاظ ما ورد في الجمعة من فضل، وكونها من ليالي شهر رجب الذي استفاضت بفضله النصوص يعطيها مزيد من الأهمية، إلا أنه لا تبقى خصوصية لكونها الجمعة الأولى أم غيرها من جمعات شهر رجب.

السادس: ويبقى ثمة إشكال آخر ذكره بعض الإخوة الأفاضل وهو أنه وبالنظر للإشكالات الكثيرة التي تثار حول هذه الصلاة ومصدرها حتى لو بقي لدى المكلف احتمال بصدور نص الرواية وأراد الاتيان بها برجاء المطلوبية إلا أن ما شاع مؤخر في بعض المساجد من اجتماع المؤمنين لهذه الصلاة والدعوة والتحشيد لها بكيفية شعائرية مما ينبغي التوقف أمامه، إذ إنه يوحي للعوام بثبوتها وأهميتها وكأنها إحدى الشعائر الأساسية، بل ويرجحونها على المستحبات الثابتة عن رسول الله ' بالنصوص الصحيحة والكثيرة كصلاة التسبيح المعروفة بـ (صلاة جعفر)، حيث لا نجد من أكثر الناس اهتمام بها قياس باهتمامهم بهذه الصلاة التي ليس لها مصدر سوى كتب العامة.

وما ذكره وجيه جد ؛ إذ إن الاهتمام بهذه الصلاة وبهذا الأسلوب وبالالتفات

لما تقدم من كونها من روايات العامة، وضعفها بل وضعها شبه متسالم عليه بينهم، قد يوحي للآخرين بأن مذهب أهل البيت يفتقر للعبادات المعتبرة، مع أن في ما وصلنا عن طريق أهل بيت العصمة من أنواع النوافل الشيء الكثير، وعليه فالأولى توجيه المؤمنين لزيادة الاهتمام بالنوافل الثابتة التي أكد عليها الرسول ' والأئمة ^ وذكرها الفقهاء في رسائلهم العملية كصلاة جعفر وصلاة فاطمة، وبإمكان أهل العلم إيجاد الفاعلية لهذه الصلوات لدى المجتمع من خلال تعريفهم بها وسرد النصوص المتظافرة الواردة فيها.

تنويه:

ربما يتوهم البعض بأن هذه الصلاة حتى لو كانت روايتها ضعيفة أو ثبت كونها موضوعة إلا أن تعلق الناس بها في هذا الزمن وارتباطهم النفسي بها يجعل من اللازم غض النظر عن هذا الإشكال، حيث أن هذه الصلاة تمثل مدخلاً وتهيئة نفسية مناسبة للأشهر العبادية الثلاثة (رجب وشعبان ورمضان) والتهيؤ النفسي لهذه الأشهر له فوائده التي لا يمكن إنكارها، والمفروض أنه لا تترتب على إقامتها أي مفسدة تذكر، فما الداعي لإثارة هذا الإشكال والزوبعة؟

والجواب: أن تهيئة النفس للعبادة في هذه الأشهر لا يتوقف على هذه الصلاة، فهناك من الصلوات الواردة عن أهل بيت العصمة الكثير مما يخلو من هذه الإشكالات، ومنها صلاة التسبيح المشهورة بـ(صلاة جعفر) التي ورد في فضلها الشيء الكثير وبروايات صحيحة لا يعتريها شيء من تلك الإشكالات المتقدمة، فحتى لو تنزلنا وقلنا بعدم ثبوت كون صلاة الرغائب موضوعة -وأن أقصى ما ثبت هو كونها رواية عامية ضعيفة السند، وعليه فتكون مشمولة لحديث "من بلغ"- إلا أن الأجدى بلا شك أن نربط الناس بالروايات الثابتة عن أهل البيت ^ ، والحال أنك لا تجد من أكثر المتحمسين لصلاة الرغائب معشار هذا الحماس لصلاة جعفر وأمثالها مما ورد عن طريق أهل البيت بالأسانيد الموثقة والصحيحة، وهو ما يقتضي أن يتوقف عنده المؤمن كثير .

ولعل من أسباب هذا الحماس الذي يبديه البعض لصلاة الرغائب كونها صلاة متعينة بزمان، بخلاف صلاة جعفر التي لم يخصص لها زمان خاص معين، ولذا أرى من المناسب أن نحث المؤمنين على تحديد أوقات خاصة في السنة لصلاة جعفر -لا بعنوان الورود والخصوصية- حتى تعطى حقها وتأخذ مداها المناسب في المجتمع.

تذييل:

وإتماماً للفائدة ولتذكير نفسي والمؤمنين أستعرض هنا رواية معتبرة صحيحة السند أوردها الشيخ الكليني في فضل صلاة التسبيح المعروفة بـ(صلاة جعفر):

روى الشيخ الكليني عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن يحيى الحلبي، عن هارون بن خارجة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ' لجعفر: >يا جعفر ألا أمنحك؟ ألا أعطيك؟ ألا أحبوك؟ فقال له جعفر: بلى يا رسول الله. قال: فظن الناس أنه يعطيه ذهباً أو فضة، فتشرف الناس لذلك، فقال له: إني أعطيك شيئاً إن أنت صنعته في كل يوم كان خيراً لك من الدنيا وما فيها وإن صنعته بين يومين غفر لك ما بينهما أو كل جمعة أو كل شهر أو كل سنة غفر لك ما بينهما، تصلي أربع ركعات تبتدئ فتقرء وتقول إذا فرغت: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) تقول ذلك خمس عشرة مرة بعد القراءة، فإذا ركعت قلته عشر مرات، فإذا رفعت رأسك من الركوع قلته عشر مرات، فإذا سجدت قلته عشر مرات، فإذا رفعت رأسك من السجود فقل بين السجدتين عشر مرات، فإذا سجدت الثانية فقل عشر مرات، فإذا رفعت رأسك من السجدة الثانية قلت عشر مرات وأنت قاعد قبل أن تقوم، فذلك خمس وسبعون تسبيحة، في كل ركعة ثلاثمائة تسبيحة، في أربع ركعات ألف ومائتا تسبيحة وتهليلة وتكبيرة وتحميدة، إن شئت صليتها بالنهار وإن شئت صليتها بالليل<.

قال الكليني: "وفي رواية إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبي الحسن عليه السلام: >تقرأ في

الأولى إذا زلزلت، وفي الثانية والعاديات، وفي الثالثة إذا جاء نصر الله، وفى الرابعة بقل هو الله أحد.

قلت: فما ثوابها؟ قال: لو كان عليه مثل رمل عالج ذنوباً غفر الله له، ثم نظر إلي فقال: إنما ذلك لك ولأصحابك<"[٨٤].

***

الهوامش

(١) إحياء علوم الدين ١: ٢٠٣.

(٢) الغنية لطالبي طريق الحق ١: ٢٣٨.

(٣) معجم الشيوخ ١: ١٨٦، تسلسل ٢١٠.

(٤) الموضوعات ٢: ١٢٤.

(٥) الباعث على انكار البدع والحوادث: ٤٢.

(٦) مفيد العلوم ومبيد الهموم(طبعة بيروت): ١٧١، وفي الطبعة المصرية القديمة ص ١١٦.

(٧) وهي قرائن كثيرة، منها:

١- لم أجد من ذكر في ترجمته أن له كتابا بهذا الاسم، ولو كان لذكروه كما ذكروا كتاب (الرسائل).

٢- أنه في ذكره لنوادر العلماء لم يستعرض سوى نوادر كلمات أئمة المذاهب الأربعة، وقد استعرض أيضًا جملة من مسائل الأحكام في تضاعيف كتابه ولم يعرض فيها لرأي أحد من خارج المذاهب الأربعة، مع أن حصر المذاهب في خصوص الأربعة لم يحصل إلا بعد قرابة القرنين، وقبلها كانت المذاهب الأخرى منتشرة مشتهرة.

٣- ومنها أنه عند حديثه عن عجائب التاريخ (ص ٥٤٢) قال: >أعجوبة أخرى عبر ألب أرسلان جيحون في أربعمائة ألف فارس فقتل هو وحده وعاد الباقون< مع أن عبور الب ارسلان لنهر جيحون ومقتله كان سنة ٤٦٥هـ أي بعد وفاة الخوارزمي بما يزيد على الثمانين عامًا، فكيف كتب هذه العبارة.

٤- أن المطالع في كتابه يجزم بتسننه، مع أن المستفاد مما كتبه ياقوت الحموي في (معجم الادباء ٦: ٢٥٤٣) وذكره الصفدي والذهبي أيضًا في ترجمته أنه كان يتشيع، وله في ذلك شعر معروف، يقول فيه:

بآمل مولدي وبني جرير ... فأخوالي ويحكي المرء خاله

فها أنا رافضي عن تراث ... وغيري رافضي عن كلاله

فهذه القرائن وغيرها مما يطول المقام بذكرها، أوجبت لنا الاطمئنان التام والجزم

بعـدم صحـة نسـبة الكتـاب لأبـي بكـر العبـاس بـن محمـد الخوارزمـي، والأقـرب أنـه لزكريـا بـن محمـد بـن محمـود القزوينـي.

(٨) كشف الظنون ٢: ١٧٧٧.

ورجـح (محمـد عبـد القـادر عطـا) أن يكـون صاحـب كشـف الظنـون اسـتقى نسـبة الكتـاب لأحـد المغاربـة بسـبب مـا كُتـب فـي آخـر إحـدى النسـخ (كتبـه محمـد المغربـي الـدلال)

(٩) منها:

١- التشـابه الواضـح بيـن أسـلوب هـذا الكتـاب وأسـلوب كتـاب عجائـب المخلوقـات للقزوينـي.

٢- أن الدميري المتوفى سنة ٨٠٨هـ في كتابه (حياة الحيوان ٢: ١١٢) أشار لكتاب عجائب المخلوقات وكتاب مفيد العلوم ومبيد الهموم ونسبهما للقزويني.

(١٠) الحوادث والبدع: ١٣٢ – ١٣٣.

(١١) إحياء علوم الدين ١: ٢٠٣.

(١٢) إحياء علوم الدين ١: ٢٠٣.

(١٣) الغنية لطالبي طريق الحق ١: ٢٣٨.

(١٤) كأبـي الفـداء إسـماعيل حقـي الاسـتانبولي المتوفـى سـنة ١١٢٧هــ، حيـث قـال: >يقول الفقيـر دخـل فـي أدبـار السـجود والنوافـل مثـل صـلاة الرغائـب وصـلاة البـراءة وصـلاة القـدر، فـإنّ صـلاة الرغائـب تُصلّـى بعـد المغـرب فـي ليلـة الجمعـة الأولـى مـن شـهر الله رجـب، والثانيـة بعـد العشـاء فـي ليلـة النصـف مـن شـعبان، والثالثـة بعـد العشـاء أيضـ فـي ليلـة القـدر، وتلـك الصلـوات مـن مستحسـنات المشـايخ المحققيـن، لأنهـا نوافـل أي زوائـد علـى الفرائـض والسـنن، وهـذا علـى تقديـر أن لا يكـون لهـا أصـل صحيـح فـي الشـرع، وقـد تكلـم المشـايخ عليهـا والأكثـر علـى أنـه × صلاهـا؛ فلهـا أصـل صحيـح، لكـن ظهورهـا حـادث ولا يقـدح هـذا الحـدوث فـي أصالتهـا، علـى أن عمـل المشـايخ يكفـي سـند فإنهـم ذووا الجناحيـن، وقـد أفـردتُ لهـذا البـاب جـزء واحـد شـافي< انظـر تفسـير (روح المعانـي ٩: ١٤٢).

(١٥) كالمولـى شـمس الديـن محمـد بـن حمـزة الفنـاري المتوفـى سـنة ٨٣٤هــ صاحـب كتـاب (مرشـد المصلـي)، الـذي قـال فيـه باسـتحباب صـلاة الرغائـب، انظـر كشـف الظنـون ٢: ١٦٥٥.

(١٦) هـو تقـي الديـن عثمـان بـن عبـد الرحمـن بـن عثمـان الكـردي الشـافعي، ولـد سـنة ٥٧٧هــ وتتلمـذ علـى والـده الملقـب بـ(الصـلاح) وألـف العديـد مـن الكتـب، توفـي سـنة ٦٤٣هــ، لـه رسـالة فـي مشـروعية صـلاة الرغائـب كتبهـا رد علـى رسـالة معاصـره العـز بـن عبـد السـلام التـي حـرم فيهـا صـلاة الرغائـب.

(١٧) مساجلة علمية بين الإمامين ١٥ – ١٦.

(١٨) منهم: أبو عبد الله العبدري الفاسي الشهير بابن الحاج(المتوفى سنة ٧٣٧هـ) في كتابه (المدخل: ٣١٠).

(١٩) منهم زين الدين بن إبراهيم المعروف بابن نجيم المصري المتوفى سنة ٩٧٠هـ في كتابه الأشباه والنظائر: ١٤١، حيث قال: >يكره الاقتداء في صلاة الرغائب وصلاة البراءة وليلة القدر، إلا إذا قال نذرت ركعة كذا بهذا الإمام بالجماعة<.

(٢٠) وهم كثيرون جدًا نذكر منهم:

١- العز بن عبد السلام(المتوفى سنة ٦٦٠هـ) حيث الف كتاب(الترغيب عن صلاة الرغائب الموضوعة وبيان ما فيها من مخالفة السنن المشهورة).

٢- عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الملقب بأبي شامة(المتوفى سنة ٦٦٥هـ)، في كتابه(الباعث على إنكار البدع والحوادث: ٣٩).

٣- محيي الدين النووي المتوفى سنة ٦٧٦هـ، المجموع ٤: ٥٦.

٤- بدر الدين محمود بن أحمد العيني الحنفي المتوفى سنة ٨٥٥هـ، في كتابه (عمدة القارئ ٤: ٣٩)

٥- قطب الدين محمد بن محمد الخيضري الشافعي المتوفى سنة ٨٩٤ هـ، له كتاب (البرق اللموع لكشف الحديث الموضوع)، انظر كتاب كشف الظنون ١: ٢٣٩.

٦- جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، انظر كتابه الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع: ١٣٤.

٧- علي بن محمد بن خليل المعروف بابن غانم المقدسي نور الدين الحنفي، (المتوفى سنة ١٠٠٤هـ)، من تصانيفه (ردع الراغب عن صلاة الرغائب) انظر كشف الظنون ١: ٨٤٠، ولكن اسماعيل باشا البغدادي سماه (ردع الراغب عن الجمع في صلاة الرغائب) انظر هدية العارفين ١: ٧٥٠.

(٢١) معجم الشيوخ ١: ١٨٦، تسلسل ٢١٠.

(٢٢) الموضوعات ٢: ١٢٥.

(٢٣) هو الحافظ أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسن بن بندار الأنماطي الحنبلي البغدادي، كثير الرواية وهو من كبار شيوخ أبي الفرج بن الجوزي، ولد سنة ٤٦٢هـ وتوفي سنة ٥٣٨هـ.

(٢٤) نفس المصدر السابق.

(٢٥) مجد الدين ابن الأثير المتوفى سنة ٦٠٦هـ في كتابه جامع الاصول في أحاديث الرسول ٦: ١٥٤.

(٢٦) هو الإمام الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر

السلامي البغدادي، ولد سنة ٤٦٧هـ وكان كثير السماع والرواية للحديث، وهو من مشايخ ابن الجوزي، توفي سنة ٥٥٠هـ.

(٢٧) معجم الأدباء ٤: ١٥٠٥، ضمن ترجمة عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشاب.

(٢٨) لم أعثر على كتابه (بهجة الأسرار)، وقد خلط البعض بين كتابه هذا وكتاب (بهجة الأسرار ومعدن الأنوار في ترجمة الشيخ عبد القادر الجيلاني) لعلي بن يوسف اللخمي الشطنوفي المتوفى سنة ٧١٣ هـ، والحال أنهما مختلفان، من حيث اسم المؤلف وموضوع الكتاب، فبين وفاة مؤلفيهما نحو ثلاثة قرون، وغاية ما يجمعهما أن كليهما من الصوفية، واختلط الأمر على جملة من الناس في ذلك، فنسبوا الكتاب الثاني لابن جهضم، والحال أنه للشطنوفي، وقد فصل الكلام في ذلك محمد عبد الحي ابو الحسنات اللكنوي الهندي في كتابه الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة ١: ٦٦.

(٢٩) هو الحافظ أبو شجاع شيرويه بن شهردار بن فناخسرو الديلمي الهمداني، ولد سنة ٤٤٥هـ وسمع الحديث فأكثر، ورواه عنه الكثيرون، ألف كتاب (فردوس الأخبار بمأثور الخطاب) وكتاب (رياض الأنس لعقلاء الإنس)، توفي سنة ٥٠٩هـ .

(٣٠) نقله عنه الذهبي في (تاريخ الاسلام ٩: ٢٣٨) وابن حجر في (لسان الميزان ٥: ٥٥٤).

(٣١) هو الإمام الحافظ أبو موسى محمد بن عمر بن أحمد الإصفهاني المديني الشافعي، ولد سنة ٥٠١هـ وكان من أئمة الحديث عندهم، له مصنفات منها: الأخبار الطوال، وأنساب المحدثين، ووظائف الأيام، ومجموع المغيث في علمي القرآن والحديث، توفي بأصفهان في جمادى الاولى سنة ٥٨١هـ.

(٣٢) نقله ابن حجر في (لسان الميزان ٤: ٢٥٥) نقلا عن كتاب (وظائف الأيام) لابي موسى المديني، ولم أعثر على كتابه وظائف الأيام، وانظر أيض (ذيل ميزان الاعتدال ١: ١٦٢).

(٣٣) الموضوعات ٢: ١٢٥.

(٣٤) أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون البغداديّ الباقلاني، ولد سنة ٤٠٦هـ، لقي الكثير من شيوخ العامة وسمع عنهم، عارف بتواريخ الرواة، ويعدونه مرجعـ في الجرح والتعديل، توفى سنة ٤٨٨هـ.

(٣٥) تاريخ الإسلام ٩: ٢٣٨.

وقال ابن عساكر: >قرأتُ بخط أبي الفضل بن خيرون: وممن ذُكر أنه مات سنة أربع عشرة أبو الحسن علي بن عبد الله بن جهضم الهمذاني بمكة صاحب كتاب بهجة الأسرار، وقد تُكلم فيه<، أنظر (تاريخ دمشق ٤٣: ١٩).

(٣٦) انظر كتاب تخريج أحاديث إحياء علوم الدين ١: ٥١٧.

(٣٧) المجموع ٤: ٥٦.

(٣٨) قال في قوت القلوب: >ويستحب إحياء خمس عشرة ليلة في السنة، خمس

منهـا فـي شـهر رمضـان، وهـي: وتـر ليالـي العشـر الأخيـر منـه، وليلـة سـبع عشـرة مـن رمضـان، هـي صبيحـة يـوم الفرقـان يـوم التقـى الجمعـان فيـه كانـت وقعـة بـدر، وكان ابـن الزبيـر يذهـب إلـى أنهـا ليلـة القـدر، وأمـا التسـعة الأخـر فـأول ليلـة مـن شـهر المحـرم وليلـة عاشـوراء وأول ليلـة مـن شـهر رجـب وليلـة النصـف منـه وليلـة سـبع وعشـرين منـه وفيـه أسـري برسـول الله (ص) ليلـة المعـراج وليلـة عرفـة وليلـة العيديـن وليلـة النصـف مـن شـعبان وقـد كانـوا يصلـون فـي هـذه الليلـة مائـة ركعـة بألـف مـرة: قـل هـو الله أحـد عشـر فـي كل ركعـة ويسـمون هـذه الصـلاة صـلاة الخيـر ويتعرفـون بركتهـا ويجتمعـون فيهـا وربمـا صلوهـا جماعـة< انظـر (قـوت القلـوب ١: ١١٤).

(٣٩) الموضوعات ٢: ١٢٥.

(٤٠) تلخيص كتاب الموضوعات: ١٨٥.

(٤١) معجم الشيوخ ١: ١٨٦، تسلسل ٢١٠.

(٤٢) نقلـه ابـن حجـر فـي (لسـان الميـزان ٤: ٢٥٥) نقـلاً عـن كتـاب (وظائـف الأيـام) لأبـي موسـى المدينـي، ولـم أعثـر علـى كتابـه وظائـف الأيـام.

(٤٣) عثرت على عدة أشخاص تنطبق عليهم التسمية (محمد بن سعيد) وينسبون إلى البصرة، إلا أن طبقتهم لا تناسب طبقة الراوي هنا، باعتبار أن ابن جهضم يروي عنه بواسطة واحدة، فمن هؤلاء:

أ- محمد بن سعيد بن الوليد الخزاعي البصري الملقب مردويه، توفي سنة ٢٣٠هـ..

ب- محمد بن سعيد بن زياد الأثرم البصري، توفي سنة ٢٣١هـ، و(هو مضعف).

ج- أبـو الفضـل محمـد بـن سـعيد بـن السـكن بـن عبـد الرحمـن الكنـدى أبـو الفضـل البصري.

د- محمد بن سعيد بن يزيد بن إبراهيم التستري البصري، يعدونه في العاشرة، فيبعد جد أن يروي عنه ابن جهضم بواسطة واحدة، مضافاً إلى أنه لم يعرف له ولد اسمه علي، ولم يعهد تلقيبه بالبصري في الأسانيد.

(٤٤) الثقات لابن حبان ٤: ١٤٨.

(٤٥) روى الطبرانـي فـي (المعجـم الأوسـط ٢: ٣٦٩) بسـنده عـن عميـرة بـن سـعد قـال: شـهدت عليـ علـى المنبـر ناشـد أصحـاب رسـول الله (ص): مـن سـمع رسـول الله (ص) يـوم غديـر خـم يقـول مـا قـال فيشـهد؟ فقـام اثنـا عشـر رجـلاً، منهـم: أبـو سـعيد، وأبـو هريـرة، وأنـس بـن مالـك، فشـهدوا أنهـم سـمعوا رسـول الله (ص) يقـول: مـن كنـت مـولاه فعلـي مـولاه، اللهـم وال مـن والاه، وعـاد مـن عـاداه<.

(٤٦) رواه أبـو نعيـم الإصفهانـي فـي (حليـة الأوليـاء) عـن الطبرانـي بنفـس سـنده السـابق عـن عـن عميـرة بـن سـعد، قـال: >شـهدت عليـ علـى المنبر ناشـد أصحـاب رسـول الله (ص)

وفيهم: أبو سعيد، وأبو هريرة، وأنس بن مالك، وهم حول المنبر، وعلي على المنبر، وحول المنبر اثنا عشر رجلاً، هؤلاء منهم، فقال علي: نشدتكم بالله، هل سمعتم رسول الله (ص) يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه؟ فقاموا كلهم فقالوا: اللهم نعم. وقعد رجل. فقال: ما منعك أن تقوم؟ قال: يا أمير المؤمنين، كبرتُ ونسيتُ، فقال: اللهم إن كان كاذبـ فاضربه ببلاء حسن، قال: فما مات حتى رأينا بين عينيه نكتة بيضاء لا تواريها العمامة>، انظر (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٥: ٢٦).

وانظر أيضًا:

١- الأمالي للشيخ الصدوق: ١٨٤، التسلسل ١٩٠، المجلس السادس والعشرون.

٢- نهج البلاغة ٤: ٧٤، التسلسل ٣١١ من الحكم والمواعظ القصيرة.

٣- المعارف لابن قتيبة: ٥٨٠.

٤- ربيع الأبرار للزمخشري ٢: ٣٧٢، الباب التاسع والعشرون ذكر الله، والدعاء والاستغفار تسلسل ١٤٤.

٥- محاضرات الأدباء للراغب الإصفهاني ١: ٤٩٠.

٦- مفيد العلوم ومبيد الهموم للخوارزمي: ٤٨٠.

(٤٧) سير أعلام النبلاء ٣: ٤٠٤.

(٤٨) إقبال الأعمال ٣: ١٨٥.

(٤٩) الإجازة الكبيرة للعلامة، (بحار الأنوار ١٠٤: ١٢٣).

(٥٠) المصباح للكفعمي: ٥٢٦.

(٥١) هو الشيخ الإمام تاج الدين أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن الدربي، من أعلام القرنين السادس والسابع الهجري، روى عن محمد بن علي ابن شهرآشوب المازندراني وقوام الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله البحراني الشيباني وعربي بن مسافر، وروى عنه السيد رضي الدين علي بن طاووس والمحقق الحلي.

(٥٢) الإجازة الكبيرة للعلامة، (بحار الأنوار ١٠٤: ١٠٦)

(٥٣) الإجازة الكبيرة للعلامة، (بحار الأنوار ١٠٤: ١٠٧ و١٠٨ و١٠٩).

(٥٤) انظر ترجمته في: تاريخ الإسلام ٩: ٧٠٩.

وقد ذكر في ترجمته أنه توفي سنة ٤٤٨هـ، ولكن السمعاني ذكر في (الأنساب ٨: ٢٢٢) أنه توفي بعد ٤٤٨هـ، وقد نصص عبد العزيز الكتاني في كتابه (ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم: ٢٠٩) أنه توفي بمكة في شهور سنة إحدى وخمسين وأربعمائة.

(٥٥) تاريخ الإسلام ٩: ٢٣٨.

(٥٦) وهو مطبوع مع كتابيه الآخرين (فضائل شهر شعبان) و(فضائل شهر رمضان) ضمن مجلد

واحد اسمه (فضائل الشهور الثلاثة) بتحقيق العلامة الشيخ غلام رضا عرفانيان.

(٥٧) بعضهم أشار لها وبين كيفيتها والبعض الآخر أشار لها اجمالاً من دون بيان لكيفيتها، فمن هذه المصادر:

١- المقدس الاردبيلي المتوفى سنة ٩٩٣هـ في مجمع الفائدة والبرهان ٢: ٤٣.

٢- المحدث السبزواري المتوفى سنة ١٠٩٠هـ في ذخيرة المعاد ج١ القسم الثاني: ٢٠٤.

٣- العلامة الشيخ حسين آل عصفور المتوفى سنة ١٢١٦هـ في سداد العباد: ٢١٦.

٤- الشيخ زين الدين البحراني المتوفى سنة ١٤١٩هـ في كلمة التقوى ٢: ٩٦.

٥- الشيخ عباس القمي المتوفى سنة ١٣٥٩هـ في مفاتيح الجنان، (اعمال شهر رجب) العمل ٢١.

(٥٨) وسائل الشيعة ١: ٨١، الباب ١٨ من أبواب مقدمة العبادات، الحديث ٦

(٥٩) وسائل الشيعة ١: ٨٢، الباب ١٨ من أبواب مقدمة العبادات، الحديث ٧

(٦٠) عبر عنها جملة من الأعلام بالصحيحة، ولكن يمكن التأمل في ذلك باعتبار أن سند البرقي إلى هشام بن سالم وإن كان معتبر ، إلا أنه يمكن التوقف في صحة ما نقله صاحب الوسائل عن كتاب المحاسن للبرقي؛ لعدم إحراز تواتر نسخة المحاسن واشتهارها إلى زمن صاحب الوسائل، كما لا مجال للاعتماد على الطرق التي ذكرها في خاتمة الوسائل؛ لأنها ليست لأعيان النسخ كما أوضحنا ذلك في البحث الذي كتبناه سابقا تحت عنوان (طرق المتأخرين إلى الكتب- صاحب الوسائل نموذجا)، والذي نشر في العدد ٤٧ من مجلة فقه أهل البيت ^ .

ومما يؤكد أن طريق صاحب الوسائل ليس لعين النسخة، أن كتاب المحاسن يحتوي عدة كتب، والطريق الذي ذكره الحر العاملي شامل لجميع تلك الكتب على ما يستفاد من الفائدة الخامسة في الخاتمة، مع أنه صرح في الفائدة الرابعة من (وسائل الشيعة ٣٠: ١٥٥) بما لفظه: >والذي وصل إلينا من المحاسن: كتاب القراين، كتاب ثواب الأعمال، كتاب عقاب الأعمال، كتاب الصفوة والنور والرحمة، كتاب مصابيح الظلم، كتاب العلل، كتاب السفر، كتاب المأكل، كتاب الماء، كتاب المنافع، كتاب المرافق. وباقي كتب المحاسن لم تصل إلينا<.

(٦١) وسائل الشيعة ١: ٨١، الباب ١٨ من أبواب مقدمة العبادات، الحديث ٣.

(٦٢) تاريخ بغداد ٨: ٢٩٣.

(٦٣) شرح مذاهب أهل السنة ومعرفة شرائع الدين والتمسك بالسنن: ٥٨.

(٦٤) لم نعثر على من صرح به من المتقدمين، وأما المتأخرين فقد نُسب إلى الشهيد الأول المتوفى سنة ٧٨٦هـ القول بذلك في كتاب ذكرى الشيعة، ولكن الموجود في (ذكرى الشيعة ٢: ٣٤) نقل لكلام النووي في روضة الطالبين، فقال ما نصه:

>وقال صاحب الروضة: هذا التلقين استحبه جماعة من أصحابنا... والحديث الوارد فيه ضعيف، لكن أحاديث الفضائل يتسامح فيها عند أهل العلم<، ولم يظهر من الشهيد الأول تبني هذا القول، ولعل أول من تبنى هذا القول هو المحقق الكركي المتوفى سنة ٩٤٠هـ في (جامع المقاصد ١: ٤٤٠) حيث قال: >فكأنه لم يثبت عنده سندها، إلا أن روايات السنن مبنية على المسامحة، فيقبل فيها الخبر الضعيف، خصوصا إذا اشتهر مضمونه<، ثم تبعه الشهيد الثاني في (المسالك ١٠: ٣١، والمسالك ١١: ٣٣٠) ثم تبعهما الأعلام من بعدهما.

وربما نُسب لابن فهد الحلي دعوى الإجماع على التسامح في أدلة السنن، ولكنه في غير محله، فإنه في مقدمة كتابه (عدة الداعي: ١٠) كان في مقام الترغيب في العمل بما أورده في كتابه من آداب وأدعية، ولهذا أورد جملة من أحاديث من بلغ من طرق الشيعة ومن طرق العامة، من دون أن يبين ما يستفاد منها، ثم عقبها بالقول: >فصار هذا المعنى مجمعا عليه عند الفريقين<، وهذا لا يدل على تبنيه لأي معنى من المعاني.

(٦٥) روضة الطالبين ١: ٦٥٥.

(٦٦) تبيين العجب بما ورد في فضل رجب: ١١.

(٦٧) قال الحطاب رعيني في (مواهب الجليل ٢: ٥٧٤) ما لفظه: >وروي مرفوعا وموقوفا وكلاهما ضعيف لكن أحاديث الفضائل يتسامح فيها<.

(٦٨) بحار الأنوار ٢: ٢٥٧.

(٦٩) نقله عن المحدث البحراني في الدرر النجفية ٣: ١٧٢.

(٧٠) انظر كتابيه: (الدرر النجفية ٣: ١٧٢) و(الحدائق الناظرة ٤: ٢٠٣).

(٧١) مسالك الأفهام ١: ١٣٨.

(٧٢) مفاتيح الأصول: ٣٥٠.

(٧٣) انظر (رسالة التسامح في أدلة السنن) المطبوعة ضمن مجلد رسائل فقهية: ١٥٧.

(٧٤) انظر: ١- اقبال الاعمال ٣: ١٨٥.
٢- الإجازة الكبيرة للعلامة، (بحار الأنوار ١٠٤: ١٢٣).

(٧٥) انظر: ١- إحياء علوم الدين ١: ٢٠٣.
٢- الموضوعات لابن الجوزي ٢: ١٢٤.
٣- الباعث على انكار البدع والحوادث: ٤٢.

(٧٦) جنة الأمان، المعروف بالمصباح للكفعمي: ٥٢٦.

(٧٧) الغنية لطالبي طريق الحق ١: ٢٣٨.

(٧٨) المجموع ٤: ٥٦.

(٧٩) الصحاح للجوهري

(٨٠) وجاء في (بحار الانوار ٣٨: ٢٩٠) في قصة هجرة النبي ' للمدينة ما نصه: >جاء جبرئيل إلى النبي ' فقال له: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه، فلما كان العتمة اجتمعوا على بابه يرصدونه<.

(٨١) الباعث على انكار البدع والحوادث: ٤٣.

(٨٢) سداد العباد ورشاد العباد، ص١٣١.

(٨٣) شرح العروة الوثقى ١٤: ٣٢٤ المسألة الخامسة في أحكام القراءة من شرح العروة.

(٨٤) الكافي ٣: ٤٦٥.

نظرة حول سورة براءة

(القسم الثاني)

الشيخ عزيز حسن الخضران

تمهيد

تقدم في القسم الأول الحديث عن ظروف نزول سورة براءة، وتبليغها لمشركي مكة من قبل علي عليه السلام، وتحدثنا عن بعض الآيات المتعلقة بقتال المشركين، والبراءة منهم، وأن لا وجود لهم بعد هذه السورة، فطهرت الأرض الإسلامية منهم.

وبعد هذه المرحلة المهمة بدأ النبي صلى الله عليه وآله للتحضير لقتال الروم الذين كانوا يهددون البلاد الإسلامية، ولكن ابتلي صلى الله عليه وآله بالمنافقين من أصحابه، ومن الطلقاء الذي دخلوا الإسلام خوفا ونفاقا ، وقد ذكرت هذه السورة الكثير من المنافقين وخططهم ضد الإسلام.

وسنلاحظ بشكل واضح أن الحديث عن المنافقين يقابله دائما الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام، ولا تخلوا الآيات من بيان فضله ومنزلته، وقد ورد في كتب الفريقين متواتر أن علامة النفاق بغض علي عليه السلام، ونقل هذا عن مجموعة كبيرة من الصحابة منهم أبي ذر، وزيد بن أرقم، وعبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله الأنصاري، فعن عبد الله بن عمر: "والله، ما كنا نعرف المنافقين في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله إلا ببغضهم علياً عليه السلام"[1].

وعن أبي ذر رضي الله عنه "ما كنا نعرف المنافقين إلا بتكذيبهم الله ورسوله، والتخلّف عن الصلوات، والبغض لعلي بن أبي طالب. "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه"[٢].

وسنكتفي في الحديث بالتعرض لبعض الآيات، ولن نذكر كل ما ذكرته السورة من صفات المنافقين، لأن ذلك لا يناسب المقام.

حركة النفاق زمن النبي صلى الله عليه وآله

مسألة النفاق لم لتكن خفية زمن النبي صلى الله عليه وآله؛ بل كان يعرفها الناس لما نزل من آيات كسورة المنافقين، ولما صدر من مواقف بعض المنافقين، سواء من أسلموا بعد فتح مكة -حيث بقي بعضهم على شركه، كما أشير إليه في القسم الأول، وبعضهم أظهر الإسلام حيث لم يجد سبيلا إلا ذلك كأبي سفيان وابنه معاوية- أو من أسلم قبل ذلك، وهناك أيض من أهل المدينة مردوا على النفاق، وقد اتهم بعضهم بعض بالنفاق، كما في قصة الإفك حسب نقل العامة؛ حيث قال أسيد بن خضير لسعد بن عبادة: "إنك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الأوس والخزرج"[٣]، وفي قصة حاطب بن بلتعة الآتية، حيث قال عمر للنبي : "دعني اضرب عنقه فإنّه قد نافق"[٤].

ظهور النفاق بعد رحيله صلى الله عليه وآله

وهناك مجموعة ليست قليلة عرفت بالنفاق زمن النبي صلى الله عليه وآله، وكثير من المنافقين لم يعرفهم الناس زمن النبي صلى الله عليه وآله، بل أظهروه بعد رحيله صلى الله عليه وآله، وهذا ما تشير إليه الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام في خطبتها للقوم: >حتى إذا اختار الله لنبيه دار أوليائه ومحل أنبيائه، ظهرت حسكة (حسيكة) النفاق، واستهتك جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الآفلين، وهدرفنيق المبطلين يخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه صارخاً بكم، فوجدكم لدعائه مجيبين، ولعزمه متطاولين، واستنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم فألفاكم

غضاباً، فوسمتم غير إبلكم، ووردتم غير شربكم، هذا، والعهد قريب والكلم رحيب، والجرح لمّا يندمل [والرسول لمّا يقبر]. حذراً زعمتم خوف الفتنة، ألا في الفتنة سقطوا، وإن جهنم لمحيطة بالكافرين<(٥). وروي أن النبي صلى الله عليه وآله قال للزهراء عليها السلام: >فأنت أول من تلحقين بي مظلومة مغصوبة، وسوف تظهر بعدي حسيكة النفاق ويَسْمُلُ جلباب الدين<(٦).

والعجب أنّ القوم قلبوا المسألة، فحكموا بردّة كلّ من خالفهم، وأباحوا قتالهم، فرووا عن أنس بن مالك قال: "لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله ارتدّت العرب، فقال عمر: يا أبا بكر كيف تقاتل العرب، فقال أبو بكر: إنما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، والله لو منعوني عناق كانوا يعطون رسول الله صلى الله عليه وآله لقاتلتهم عليه، قال عمر: فلما رأيت رأي أبي بكر قد شرح علمت أنه الحق"(٧)؟!!!.

ورووا عن قتادة قال: "لما مات رسول الله صلى الله عليه وآله ارتدّت العرب إلا ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، ومسجد المدينة، ومسجد البحرين"(٨)، وارتداد الشخص بمجرد رحيل النبي صلى الله عليه وآله يعني أنه لم يكن مؤمن حق قبل ذلك، بل يدلّ على نفاقه، فالحكم بالارتداد هو حكم بالنفاق، مع العلم أننا نتكلم عن الذين عاشوا زمن النبي صلى الله عليه وآله، أي كانوا من الصحابة الأجلّاء!!

بل في مجمع الزوائد عن عائشة أنها قالت: "قبض رسول الله صلى الله عليه وآله فارتدّت العرب، واشرأب النفاق، فنزل بأبي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها، قالت: فما اختلوا في نقطة إلا طار أبي بحظها وساعها، ثمّ ذكرت عمر بن الخطاب فقالت: كان والله أجوذيا نسيج وحده قد أعد للأمور أقرانها"(٩).

وعلى كل حال روى البخاري عن ابن أبي مليكة قوله: "أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول إنّه على إيمان جبريل وميكائيل"(١٠).

وعن إبراهيم عن الأسود قال: "كنّا في حلقة عبد الله، فجاء حذيفة حتى قام

علينا، فسلم، ثمّ قال: لقد أنزل النفاق على قوم خير منكم، قال الأسود: سبحان الله، إنّ الله يقول: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ}، فتبسم عبد الله، وجلس حذيفة في ناحية المسجد، فقام عبد الله، فتفرّق أصحابه، فرماني بالحصى فأتيته، فقال حذيفة: عجبت من ضحكه، وقد عرف ما قلت، لقد أنزل النفاق على قوم كانوا خيراً منكم ثمّ تابوا فتاب الله عليهم"[11]. وكأن حذيفة يريد أن يقول: ولكنكم لم تتوبوا من النفاق.

بعض صفات المنافقين والمتخاذلين

تقدم في القسم الأول أن هذه السورة سمّيت بعدة أسماء؛ منها الفاضحة لفضحها المنافقين، وقد ورد فيها قوله تعالى: {يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ}[12].

ومن يقرأ هذه السورة المباركة يتبيّن له بوضوح البلاء الذي كان يعيشه رسول الله صلى الله عليه وآله، والأذية التي كان يتلقاها من المنافقين، ومن أصحابه المتخاذلين.

ونحن نختار بعض المقاطع من هذه السورة المباركة التي نزلت في مجموعة من الصحابة، أعم من ثبوت نفاقهم وعدمه، وأعمّ من توبتهم وعدمه، وبعض الآيات تصرّح بالنفاق، وبعضها تذكر صفاتهم. مع الالتفات إلى أن نزول آية في واقعة معينة، أو أشخاص معينين يدلّ على أهمية تلك الحادثة، سواء كانت خير أم شر.

ونذكر هنا مجموعة من العناوين يمكن استخلاصها من الآيات المباركات:

الأول: التفاخر

قوله تعالى: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[13].

اتفقت الروايات على أن المقصود ب{مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ...} هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وبعض الروايات أدخلت

معه جعفر الطيار وحمزة، وتعددت في المقصود بسقاية الحاج وعمارة المسجد، فذكرت بعضها العباس وشيبة أو عثمان بن أبي شيبة وبعضها طلحة بن شيبة، وفي بعضها معهم جعفر وحمزة(وهو بعيد جد ، والأكثر أنها في العباس وشيبة، وتعددت في سبب نزول الآية، إلا أنّها اتفقت أنّ السبب هو التفاخر بعمارة البيت الحرام وسقاية الحاج، فجاء أن العباس قال: أنا أفضل؛ لأن سقاية الحاج بيدي، وقال شيبة: أنا أفضل لأن حجابة البيت بيدي،... وقال علي: >أنا أفضل آمنت قبلكم ثم هاجرت وجاهدت<، فرضوا برسول الله صلى الله عليه وآله حكم ، فأنزل الله الآية.

وفي بعضها، إن علي عليه السلام قال للعباس: يا عم ألا تهاجر؟ ألا تلحق برسول الله صلى الله عليه وآله فقال: ألست في أعظم من الهجرة؟ أعمر المسجد الحرام وأسقي حاج بيت الله، فنزل: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ}.

وفي بعضها: بينا شيبة والعباس يتفاخران إذ مرّ بهما علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: >بماذا تتفاخران؟< فقال العباس: لقد أوتيت من الفضل ما لم يؤت أحد سقاية الحاج، وقال شيبة: أوتيت عمارة المسجد الحرام، فقال علي عليه السلام: >استحييت لكما، فقد أوتيت على صغري ما لم تؤتيا< فقالا: وما أوتيت يا علي؟ فقال: >ضربت خراطيمكما بالسيف حتى آمنتما بالله<، فقام العباس مغضب يجر ذيله حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: أما ترى إلى ما استقبلني به علي؟ فقال: >ادعوا لي علياً<، فدعي له فقال: >ما دعاك إلى ما استقبلت به عمَّك؟< فقال: >يا رسول الله؛ صدمته بالحقِّ فمن شاء فليغضب، ومن شاء فليرض<، فنزل جبرئيل وقال: >يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول: أتل عليهم: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ} الآيات، فقال العباس: إنّا قد رضينا، ثلاث مرات»[١٤].

وورد عن أبي ذر الغفاري أن علي عليه السلام احتج على أهل الشورى قائلاً: >إني أحبُّ أن تسمعوا مني ما أقول، فإن يكن حقاً فاقبلوه، وإن يكن باطلاً فأنكروه<. قالوا: قل. قال: >أنشدكم بالله -أو قال: أسألكم بالله- الذي يعلم سرائركم، ويعلم

صدقكم إن صدقتم، ويعلم كذبكم إن كذبتم،... فهل فيكم أحد نزلت فيه هذه الآية: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} إلى آخرها، {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ} إلى آخر ما اقتص الله (تعالى) من خبر المؤمنين غيري؟< قالوا: اللهم لا»[15]. والرواية طويلة جدا أخذنا منها موضع الحاجة.

الثاني: الفرار من الزحف

قوله تبارك وتعالى: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ}.

الآية المباركة تتحدث عن نفسيات المسلمين في الحرب ضد المشركين، ولا تخلوا من إشارات إلى عالم النفاق الذي استولى على بعضهم، وأنّ الهدف لديهم لم يكن حماية الدين، وأن اعتمادهم ليس على الله تعالى، خصوص ما يأتي من الروايات الواردة في تفسير الآية.

ويُفهم من بعض الروايات أن هذه المعركة وقعت بعد فتح مكة مباشرة، فقد روى القمي في تفسيره سبب نزول الآية خلاصتها:

"لما خرج رسول الله ﷺ إلى فتح مكة أظهر أنه يريد هوازن، وبلغ الخبر هوازن، فتهيؤوا وجمعوا الجموع والسلاح، وساقوا معهم أموالهم ونساءهم ونزلوا بأوطاس،... وبلغ رسول الله ﷺ ذلك فجمع القبائل، ورغبهم في الجهاد، ووعدهم النصر، وأن الله قد وعده أن يغنمه أموالهم ونساءهم وذراريهم؛ فرغب الناس وخرجوا على راياتهم، وعقد اللواء الأكبر ودفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وخرج في اثني عشر ألف رجل، عشرة آلاف ممن كانوا معه، فلمّا صلى رسول الله ﷺ الغداة انحدر في وادي حنين، وكانت بنو سليم على المقدمة فخرجت عليها كتائبُ هوازن من كل ناحية فانهزمت بنو سليم وانهزم من ورائهم ولم يبق أحد إلا انهزم، وبقي أمير المؤمنين عليه السلام يقاتلهم في نفر قليل، ومر المنهزمون برسول الله ﷺ لا يلوون على شيء، فأقبل رسول الله ﷺ ينادي: >يا معشر الأنصار إلى أين المفر؟ ألا أنا رسول الله<، فلم يلو أحد عليه، وكانت نسيبة بنت كعب المازنية تحثو التراب في وجوه المنهزمين وتقول: أين تفرون عن الله

وعن رسوله؟ ومرّ بها عمر، فقالت له: ويلك ما هذا الذي صنعت؟ فقال لها: هذا أمر الله، فلمّا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله الهزيمة ركض يحوم على بغلته قد شهر سيفه، فقال: يا عباس، اصعد هذا الطرب، وناد يا أصحاب البقرة! ويا أصحاب الشجرة! إلى أين تفرون هذا رسول الله صلى الله عليه وآله. ثم رفع رسول الله صلى الله عليه وآله يده فقال: >**اللهم لك الحمد، وإليك المشتكى، وأنت المستعان**<، فنزل جبرئيل عليه السلام عليه، فقال له: >**يا رسول الله؛ دعوت بما دعا به موسى حين فلق الله له البحر ونجاه من فرعون**<، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي سفيان بن الحارث: >**ناولني كفا من حصى**<، فناوله، فرماه في وجوه المشركين، ثم قال: >**شاهت الوجوه**< ثمّ رفع رأسه إلى السماء وقال: >**اللهم إن تهلك هذه العصابة لم تعبد، وإن شئت أن لا تعبد لا تعبد**<، فلما سمعت الأنصار نداء العباس عطفوا وكسروا جفون سيوفهم وهم يقولون: لبيك، ومرّوا برسول الله صلى الله عليه وآله، واستحيوا أن يرجعوا إليه ولحقوا بالراية، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للعباس: >**من هؤلاء يا أبا الفضل؟**، فقال: يا رسول الله هؤلاء الأنصار، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: >**الآن حمي الوطيس**<، ونزل النصر من السماء، وانهزمت هوازن"[١٦].

وهذه الرواية تشهد للعباس ثباته في المعركة.

وهنا تساؤلات عدة تستوقف القارئ لهذه المعركة:

١- إن ترغيب النبي صلى الله عليه وآله لهم للقتال بحصولهم على الغنائم، ووعدهم النصر، كان هو السبب الرئيس للمشاركة، وهذا أيض حصل في معركة تبوك التي وقعت بعد هذه المعركة، وسيأتي الحديث عنها، والمؤمن الصادق لا يحتاج إلى كل هذا الترغيب.

٢- في أوّل جولة خسر فيها المسلمون فروا من المعركة، مع أن الحرب كرّ وفر، ثم أين اليقين بوعد الله ورسوله بالنصر.

٣- لو افترضنا عدم العلم واليقين بالنصر، أليس الفرار من الزحف من الكبائر؟ {ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ}، {وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا}[١٧].

وعلى فرض كون ذلك ليس ذنبا ، أين الفداء لرسول الله ﷺ، حيث تركوه لا يلوون على شيء وهو يناديهم ويستنصرهم، وكان هذا الفرار عار عليهم، ونقل الشيخ المفيد أنّه "لم يبق منهم مع النبي ﷺ إلا عشرة أنفس: تسعة من بني هاشم خاصة، وعاشرهم أيمن بن أم أيمن، فقتل أيمن& وثبت تسعة النفر الهاشميون، وأنّ كافة الناس قد ولوا مدبرين"[١٨].

وقد روى البخاري عدة روايات تدل على تعجّب من لم يحضر المعركة من هذا الفرار، وأنه أصبح حديث الناس، فقد روى عن أبي إسحاق قال: "سمعت البراء -وجاءه رجل- فقال: يا أبا عمارة؛ أتوليتَ يوم حنين؟ فقال: أما أنا فأشهد على النبي ﷺ أنّه لم يول». وعنه أيضا : «قيل للبراء -وأنا اسمع- أوليتم مع النبي ﷺ يوم حنين؟ فقال: أما النبي ﷺ فلا»، وفي نقل ثالث «سأله رجل من قيس: أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ فقال: لكن رسول الله ﷺ لم يفر، كانت هوازن رماة، وإنّا لمّا حملنا عليهم انكشفوا، فأكببنا على الغنائم، فاستقبلنا بالسهام"[١٩].

٤- الآية تقول: {إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا}، وكان الإعجاب بالكثرة وعدم الاعتماد على الله سببا للهزيمة، كما ذكرته كتب التفاسير.

وأما القائل لهذه الكلمة، ففي تفسير العياشي: عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله الله تعالى {وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ} إلى {ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ} فقال: أبو فلان[٢٠].

واختلف في قائل هذه الكلمة، وفي أكثر التفاسير من الخاصة والعامة أن القائل أبو بكر[٢١]، قال الشيخ المفيد: "وأعجب أبا بكر الكثرةُ يومئذ فقال: لن نغلب اليوم من قلّة، فكان الأمر في ذلك بخلاف ما ظنّوه، وعانهم أبو بكر(أي أصابهم بالعين) بعجبه بهم. فلما التقوا مع المشركين لم يلبثوا حتى انهزموا بأجمعهم"[٢٢]. وقد استاء النبي ﷺ من هذه الكلمة كما عن الرازي والآلوسي وغيرهما[٢٣].

ولكن العجب العجاب -والذي يتكرر في مثل هذه الأمور؛ فيخرج بعضهم عن الموضوعية عندما يتعلّق الأمر بأحد أئمتهم- أن بعضهم نسب هذه الكلمة

إلى رسول الله ﷺ ؟!!! ففي تفسير الرازي: "قال رجل من المسلمين: لن نغلب اليوم من قلة، فهذه الكلمة ساءت رسول الله ﷺ وهي المراد من قوله: {إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ}، وقيل: إنّه قالها رسول الله ﷺ، وقيل قالها: أبو بكر، وإسناد هذه الكلمة إلى رسول الله ﷺ بعيد؛ لأنّه كان في أكثر الأحوال متوكلًا على الله منقطع القلب عن الدنيا وأسبابها"[٢٤]. ونحن نقول إنّ إسنادها إلى رسول الله كفر به ﷺ.

وحاول الآلوسي -بعد نقل استبعاد نسبتها إلى رسول الله ﷺ- أن يهوّن ويبرر لتلك الكلمة بما لا يغني ولا يسمن من جوع[٢٥].

٥- بعد أن ناداهم رسول الله ﷺ، وناداهم العباس رجع الأنصار فقط دون المهاجرين، "فلمَّا سمعت الأنصار نداء العباس عطفوا وكسروا جفون سيوفهم وهم يقولون لبيك"، وفي مجمع البيان: "فلما سمع المسلمون صوت العباس، تراجعوا وقالوا: لبيك لبيك، وتبادر الأنصار خاصة"[٢٦]!!؟ فأين أصحاب الهجرة؟!

٦- استغل المنافقون هذه الهزيمة فقد روى ابن هشام عن ابن إسحاق: "فلمّا انهزم الناس، ورأى من كان مع رسول الله ﷺ من جفاة أهل مكة الهزيمة، تكلّم رجال منهم بما في أنفسهم من الضغن، فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهى هزيمتهم دون البحر، وإن الأزلام لمعه في كنانته. وصرخ جبلة بن الحنبل (أو كلدة بن الحنبل) وهو مع أخيه صفوان بن أمية مشرك في المدة التي جعل له رسول الله ﷺ: ألا بطل السحر اليوم!"[٢٧].

وفي تفسير الثعلبي: "أنّ شيبة بن عثمان قال: استدبرت رسول الله ﷺ يوم حنين وأنا أريد أن أقتله بطلحة بن عثمان، وعثمان بن طلحة، وكانا قد قتلا يوم أحد، فأطلع الله تعالى رسوله على ما في نفسي فالتفت إلي وضرب في صدري وقال: أعيذك بالله يا شيبة، فارتعدت فرائصي فنظرت إليه وهو أحب إلي من سمعي ومن بصري فقلت: أشهد أنك رسول الله، وأن الله أطلعك على ما في نفسي"[٢٨].

الثالث: معركة تبوك والتثاقل عن الجهاد

معركة تبوك، معركة مهمة، وكثير من الآيات الشريفة الآتية تتحدّث عنها وعمّا رافقها من أحداث، وتسهب الآيات الشريفة في وصف نفسيات القوم بالنسبة للجهاد، وتعيّرهم على تقاعسهم وركونهم إلى الدنيا، وبلا شك هي تشير إلى أشخاص معينين وقت نزولها.

يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآَخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [٢٩].

تدلّ الآيتان على تثاقلهم عن الجهاد، وإيثارهم الدنيا على الآخرة، وتتوعدهم بالعذاب والعقاب الشديد، وهذا لا يكون إلا لكون فعلهم معصية عظيمة عند الله تعالى. وقيل إن المقصود هو فئة من المؤمنين وليس جميعهم[٣٠].

أهم المعارك وآخرها:

ذكر أنّ النبي صلى الله عليه وآله أمر الناس بالخروج إلى غزوة تبوك، وكان في أيام الصيف حين اشتدّ الحرّ، وطابت الثمار والظلال، فكانوا يتثاقلون عن الخروج[٣١].

قال العلامة المجلسي: "قال المفسرون: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من الطائف أمر بالجهاد لغزوة الروم، وذلك في زمان إدراك الثمرات، فأحبوا المقام في المسكن والمال، وشق عليهم الخروج إلى القتال، وكان صلى الله عليه وآله قل ما خرج في غزوة إلا كنى عنها وورى بغيرها إلا غزوة تبوك لبعد شقتها، وكثرة العدو ليتأهب الناس، فأخبرهم بالذي يريد، فلما علم الله سبحانه تثاقل النّاس أنزل الآية، وعاتبهم على التثاقل"[٣٢].

ويظهر من جو الآيات والروايات المتعرضة لبيان معركة تبوك أنها تعتبر معركة مهمة جد ، وبلحاظات عدة، أهمّها أمرين:

أولاً: خطر الروم على الإسلام، ولذلك جهز النبي صلى الله عليه وآله قبيل رحيله عن الدنيا جيش أسامة لغزو الروم، وأمر الجميع بالاشتراك في المعركة، ولمّا رآهم

متخاذلين ومتثاقلين، قال: >جهزوا جيش أسامة، لعن الله من تخلف عن جيش أسامة«[٣٣]. والظاهر أنها امتداد لمعركة تبوك حيث كانت مع الروم. وقد ذكر ابن كثير أن النبي صلى الله عليه وآله رجع من تبوك بسبب جهد الناس، وجدب البلاد، وضيق الحال[٣٤].

وثاني : أنّ هذه المعركة كانت امتحاناً للمؤمنين، وإفراز لمجموعة من المنافقين. وهي آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وآله[٣٥].

وذكر ابن الأثير أن سبب المعركة "أن النبي صلى الله عليه وآله بلغه أنّ هرقل ملك الروم ومن عنده من متنصرة العرب قد عزموا على قصده، فتجهّز هو والمسلمون وساروا إلى الروم، وكان الحر شديداً والبلاد مجدبة، والناس في عسرة، وكانت الثمار قد طابت فأحب الناس المقام في ثمارهم فتجهزوا على كره، فكان ذلك الجيش يسمى جيش العسرة"[٣٦]. وقال الواقدي: "كان الناس بتبوك ثلاثين ألفاً، وعشرة آلاف فارس"[٣٧].

خلافة علي عليه السلام على المدينة

ولكون المعركة في أرض الشام وهي بعيدة بالنسبة للمدينة، وغالبية المسلمين خرجوا ولم يبق إلا النساء والأطفال والمرضى، وخوفاً من المنافقين المتخلفين عن المشاركة في الخروج ومن المشركين، خلّف النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام على المدينة، وهو عليه السلام الذي يقول -مناشد الأنصار وقريش أيام عثمان-: >أنشدكم الله أتعلمون أنّي قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة تبوك: لم خلفتني مع الصبيان والنساء؟ فقال: إنّ المدينة لا تصلح إلا بي أو بك، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبي بعدي، قالوا: اللهم نعم«[٣٨].

وتخلّفُ علي عليه السلام عن المعركة كانت فرصة للمنافقين؛ فقد روي أنّه طعن رجال من المنافقين في تخلفه عن المعركة مع أنه بأمر النبي صلى الله عليه وآله وقالوا: "إنما خلّفه استثقالاً، فخرج علي عليه السلام فحمل سلاحه حتى أتى النبي صلى الله عليه وآله بالجرف، فقال: >يا رسول الله؛ ما تخلّفت عنك في غزاة قط قبل هذه، قد زعم ناس من المنافقين أنّك

خلفتني استثقالاً، قال: >كذبوا، ولكن خلفّتك لما ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي<"[٣٩].

الله سبحانه هو الناصر

تقول الآية التالية: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[٤٠].

تشبيه حال النبي صلى الله عليه وآله -مع وجود هذا العدد الكبير من المسلمين- بحاله عندما خرج من مكة وحيد يدلّ على التخاذل الذي كان عند أغلب الناس، وفي الآية إشارة إلى أن الله تعالى لا يخذل رسوله الكريم صلى الله عليه وآله، ولا تخلو الآية المباركة من تعيير المسلمين الذين يفترض أن يطيعوا رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا يخذلوه، ولا يتثاقلوا في استجابة دعوته.

والآية الكريمة عند التأمل البسيط وملاحظة السياق لا تدل على فضيلة لمن صاحب النبي صلى الله عليه وآله في الغار وهو أبو بكر، ولكن حاول بعضهم تجييرها لذلك، وهذا ليس خاص بالمفسرين المتأخرين عن ذلك العصر، بل نقل عن ابن الكواء المنافق أنه قال لأمير المؤمنين عليه السلام: "أين كنت حيث ذكر الله تعالى نبيّه وأبا بكر فقال: {ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: >ويلك يا ابن الكواء، كنت على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله<"[٤١].

وحاول البعض أن يقول بأن قوله تعالى: {فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ}، راجعة إلى أبي بكر، وهناك أجوبة كثيرة على هذا المدعى، أهمها أنّ الضمائر في سياق الآية كلها راجعة إلى النبي صلى الله عليه وآله[٤٢]. وقد أجاد مجموعة من مفسري علمائنا في الرد على ذلك[٤٣]. بل ربما تدل الآية على خلاف ما رامه القوم، نطوي الحديث عنه.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله

أقبل يقول لأبي بكر في الغار: أسكن فإنَّ الله معنا، وقد أخذته الرعدة وهو لا يسكن، فلمَّا رأى رسول الله ﷺ حاله قال له: تريد أن أريك أصحابي من الأنصار في مجالسهم يتحدّثون فأريك جعفراً وأصحابه في البحر يغوصون؟ قال: نعم، فمسح رسول الله ﷺ بيده على وجهه؛ فنظر إلى الأنصار يتحدّثون، ونظر إلى جعفر عليه السلام وأصحابه في البحر يغوصون»[٤٤].

الرابع: المشاركة في المعارك لأجل الغنائم

{لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}[٤٥].

وتشير هذه الآية المباركة إلى حقيقة أخرى مهمة عن المنافقين غير التخلف والتثاقل عن الجهاد، وهي أن مشاركتهم في بقية المعارك إنما لأجل العرض القريب من الغنائم، وما يطمع فيه من المال، ويكون سهلاً في الحصول عليه[٤٦]. وهذا يعني أنّ مشاركاتهم السابقة في معارك أخرى لم تكن لأجل الدين، مما يدل على أنه ليس كلّ من شارك النبي ﷺ في الجهاد دل على حسن نيته، ومعركة تبوك أظهرت الأمور على حقائقها.

وتدل الآية التي بعدها وهي قوله تعالى: {عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ}، على أن هناك مجموعة استأذنوا النبي ﷺ في القعود فأذن لهم، وعاتبه الله على ذلك، وبعض العامة قال بأنّ الآية تدلّ على وقوع الذنب منه ﷺ، وأجاب الشيخ الطوسي & على أن ذلك من ترك الأولى[٤٧]. وفسّر صاحب الميزان الأولوية بأن: "عدم الإذن أنسب لظهور فضيحتهم، وأنهم أحق بذلك لما بهم من سوء السريرة وفساد النية، لا لأنه كان أولى وأحرى في نفسه وأقرب وأمس بمصلحة الدين"[٤٨]. ثم أتى ببعض الشواهد على ذلك من الآيات التالية لهذه الآية.

وجاء في جواب الإمام الرضا عليه السلام على سؤال المأمون عن هذه الآية فقال عليه السلام:

<هذا مما نزل بإياك أعني واسمعي يا جاره، خاطب الله عزّ وجلّ بذلك نبيه وأراد به أمته،

وكذلك قوله تعالى: {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}، وقوله عز وجل: {وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً}<(٤٩). والنتيجة أن الآية تريد فضح المنافقين، لا معاتبة النبي صلى الله عليه وآله في الحقيقة.

الخامس: الاستئذان للقعود عن القتال علامة المنافقين

{لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ * وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ}(٥٠).

والاستئذان للقعود علامة واضحة من علامات المنافقين، غير التثاقل، فهناك من تثاقل ثم شارك، وهناك مجموعة جاءت للنبي صلى الله عليه وآله واستأذنوه للقعود. وفي المقابل إعداد العدّة علامة الإيمان الذي هو ضدّ النفاق، فالتثاقل، والتهاون، وعدم الاهتمام، أو الاستئذان بالقعود، كلها علامات للنفاق.

ويقول تعالى: {مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ}(٥١).

وورد أنها نزلت في الجد بن قيس عندما دعاه النبي صلى الله عليه وآله للجهاد، فقد نقل القمي في تفسيره وغيره خطبة النبي صلى الله عليه وآله في الحث على الجهاد، قال: "فرغب الناس في الجهاد لما سمعوا هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله، وقدمت القبائل من العرب ممن استنفرهم، وقعد عنه قوم من المنافقين، ولقي رسول الله الجد بن قيس فقال له: >يا أبا وهب! ألا تنفر معنا في هذه الغزاة؟ لعلك ان تستحفد من بنات الأصفر<، فقال: يا رسول الله؛ والله إنّ قومي ليعلمون أنه ليس فيهم أحد أشدّ عجبا بالنساء مني، وأخاف إن خرجت معك أن لا أصبر إذا رأيت بنات الأصفر، فلا تفتني وائذن لي أن أقيم، وقال لجماعة من قومه: لا تخرجوا في الحر، فقال ابنه: ترد على رسول الله صلى الله عليه وآله وتقول له ما تقول! ثم تقول لقومك: لا تنفروا في الحر، والله لينزلن في هذا قرآناً تقرأه الناس إلى

يوم القيامة، فأنزل الله على رسوله في ذلك {وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ} ثم قال الجد بن القيس: أيطمع محمد أن حرب الروم مثل حرب غيرهم، لا يرجع من هؤلاء أحد أبداً"(٥٢). وهناك آيات أخرى من نفس السورةتتحدث عن تخلفهم(٥٣).

وهذه الجرأة من هذا المنافق وغيره على هذا القول لرسول الله صلى الله عليه وآله يدل على الأرضية الخصبة للمنافقين، وانتشارهم بين عموم المسلمين.

وجاء في تفسير قوله تعالى: {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}(٥٤).

نزلت في ثلاثة وهم كعب بن مالك، ومرادة بن الربيع، وهلال بن أمية، حيث تخلفوا عن اللحاق بالنبي صلى الله عليه وآله بمعركة تبوك، ولم يكونوا من المنافقين، ولكنهم تباطؤوا حتى فاتهم الخروج، ولما رجع النبي صلى الله عليه وآله قاطعهم وأمر الناس بعدم الحديث معهم، فخرجوا إلى الصحراء طالبين التوبة، فتاب الله عليهم، ونزلت فيهم هذه الآية(٥٥).

وعن كعب بن مالك أنه قال: "وتخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وآله فجعلت أمشي في الأسواق وأطوف بالمدينة فيحزنني أني لا أرى أحداً تخلف إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق، وكان ليس أحد تخلف إلا رأى أن ذلك سيخفى له وكان الناس كثيراً لا يجمعهم ديوان وكان جميع من تخلّف عن النبي صلى الله عليه وآله بضعة وثمانين رجلاً"(٥٦).

السادس: أصحاب فتنة

{لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ}(٥٧).

المنافقون ديدنهم نشر الفتنة بين المؤمنين وإيقاع الخلاف بينهم والإشاعات التي تؤدي إلى ضعفهم، وبالتالي غلبة الكفار. و{لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا

لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ}[٥٨]، قيل بأن المقصود من قبل يعني "في يوم أحد حتى انصرف عبد الله بن أبي بأصحابه وخذل النبيﷺ، وكان هو وجماعة من المنافقين يبغون للإسلام الغوائل قبل هذا"[٥٩].

وقوله تعالى: {وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ} قيل في معناه قولان: الأول: فيكم القابلون منهم عند سماع قولهم. والثاني: أن لهم عيون منهم ينقلون أخباركم إلى المشركين[٦٠].

السابع: اتهام النبيﷺ في الصدقات

قالﷻ: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ * إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}[٦١].

سبب نزول هذه الآية كما في مجموعة من المصادر هو أنّه عندما حصل المسلمون على غنائم هوازن يوم حنين، وزعها النبيﷺ على الفقراء وترك الأغنياء، فاحتج بعضهم على ذلك، فقيل أنه اعترض أبو الخويصر حرقوص بن زهير (أصل الخوارج) وقال للنبيﷺ: اعدل يا رسول الله، فقال: >ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل؟< فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي فأضرب عنقه، فقال النبيﷺ: >دعه؛ فإنّ له أصحاباً يحتقر أحدُكم صلاتَه عند صلاتِهم، وصيامَه مع صيامِهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية«. ونقل أنه قتل في حرب النهروان[٦٢].

وفي تفسير القمي: "إنها نزلت لما جاءت الصدقات وجاء الأغنياء وظنوا أن رسول الله ﷺ يقسّمها بينهم، فلمّا وضعها في الفقراء تغامزوا رسول الله ﷺ ولمزوه، وقالوا: نحن الذين نقوم في الحرب ونغزو معه ونقوي أمره ثم يدفع الصدقات إلى

هؤلاء الذين لا يعينونه ولا يغنون عنه شيئا"[٦٣]. ونقل أيض أنها نزلت في أهل الجدة والغنى من المهاجرين والأنصار[٦٤]. وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: >هم أكثر من ثلثي الناس<[٦٥].

ونقل البخاري وغيره أنها نزلت في خصوص الأنصار، حيث قسم النبي صلى الله عليه وآله الأموال يوم حنين في المؤلفة قلوبهم، ولم يعط الأنصار شيئ ، فوجدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله -بعد أنْ ذكرهم بكونه سبب لهدايتهم وألفتهم من الفرقة: -**>ألا ترضون أنْ يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبي صلى الله عليه وآله إلى رحالكم...<**[٦٦].

وفي نقل آخر عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وآله "طفق يعطي رجالاً من قريش المائة من الإبل فقال بعض الأنصار من حديثي السن يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وآله يعطي قريش ويترك الأنصار وسيوفنا تقطر من دمائهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **>إنى أعطي رجالاً حديث عهدهم بكفر، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وترجعون إلى رحالكم برسول الله صلى الله عليه وآله، فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به<**، قالوا: بلى يا رسول الله، قد رضينا، فقال لهم: **>إنكم سترون بعدي أثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله صلى الله عليه وآله على الحوض<**، قال أنس: فلم نصبر"[٦٧].

وورد من طرقنا عن الإمام الباقر عليه السلام في المؤلفة قلوبهم قال: **>المؤلفة قلوبهم؛ أبو سفيان بن حرب بن أمية، وسهيل بن عمرو وهو من بني عامر بن لوي، وهمام بن عمرو وأخوه وصفوان بن أمية بن خلف القرشي ثم الجمحي والأقرع بن حابس التميمي، ثم أحد بن حازم وعيينة بن حصين الفزاري، ومالك بن عوف، وعلقمة بن علاثة، بلغنا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعطي الرجل منهم مأة من الإبل ورعاتها وأكثر من ذلك وأقل<**[٦٨].

الثامن: أذية النبي صلى الله عليه وآله

يقول تعالى: {وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ}(٦٩).

معنى الأذن هو أنّه كثير الاستماع، ورجل أذن يعني أنه يصدق بكل ما يسمع(٧٠).

ونقل الطوسي أنّها نزلت في نبتل بن الحارث من منافقي الأنصار، وكان ينقل حديث النبي صلى الله عليه وآله إلى المنافقين، فنزل جبرئيل يعلم النبي صلى الله عليه وآله بذلك، فقال صلى الله عليه وآله: >من اختار أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحارث<(٧١).

وفي تفسير القمي أنها نزلت في "عبد الله بن نفيل كان منافقا، وكان يقعد لرسول الله صلى الله عليه وآله فيسمع كلامه وينقله إلى المنافقين وينم عليه، فنزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: >يا محمد؛ إنّ رجلًا من المنافقين ينم عليك، وينقل حديثك إلى المنافقين، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: >من هو؟< فقال: >الرجل الأسود، الكثير شعر الرأس، ينظر بعينين كأنهما قدران، وينطق بلسان شيطان، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره، فحلف أنه لم يفعل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: >قد قبلت منك، فلا تقعد<، فرجع إلى أصحابه فقال: إنّ محمدا أذن، أخبره الله أني أنم عليه وأنقل أخباره فقبل، وأخبرته أني لم أفعل ذلك فقبل، فأنزل الله على نبيّه {وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ}"(٧٢).

ويدل كلا النقلين على أن بعض المنافقين كانوا جماعة معروفين، ولهم مجالسهم الخاصة، ونقل هذا المنافق لهم حديث النبي صلى الله عليه وآله يدل على أنهم لنفاقهم ولكونهم معروفين بالنفاق ما كانوا يحضرون مجلس النبي صلى الله عليه وآله وإنما يبعثون بعض المنافقين غير المعروفين لنقل أسرار المسلمين.

ونقل الفتال النسابوري في روضة الواعظين خطبة طويلة لرسول الله صلى الله عليه وآله يوم الغدير يبيّن فيها ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وسبب نزول آية التبليغ وهي

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ}(٧٣)، جاء فيها عنه صلى الله عليه وآله: <إنّ جبرئيل عليه السلام هبط إليَّ مراراً ثلاثاً، يأمرني عن السلام ربي، وهو السلام، أن أقوم في هذا المشهد، وأُعلم كلَّ أبيض وأحمر وأسود أنَّ علي بن أبي طالب أخي ووصي، وخليفتي، والإمام من بعدي، الذي محلُّه مني محلَّ هارون من موسى إلا أنَّه لا نبي بعدي، وليكم بعد الله ورسوله، وقد أنزل الله تبارك وتعالى عليَّ بذلك آية {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ}(٧٤)، وعلي بن أبي طالب الذي أقام الصلاة، وآتى الزكاة وهو راكع يريد الله عز وجل في كلّ حال، وسألت جبرئيل عليه السلام أنْ يستعفي لي من تبليغ ذلك إليكم، أيها الناس لعلمي بقلة المتقين، وكثرة المنافقين، وإدغال الآثمين، وختل المستهزئين الذين وصفهم الله في كتابه بأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ويحسبونه هيناً، وهو عند الله عظيم؛ لكثرة أذاهم غير مرَّة حتى سموني أذناً، وزعموا إنّه لكثرة ملازمته إياي وإقبالي عليه، حتى أنزل الله في ذلك {الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ} فقال: {قُلْ أُذُنُ} (الأذن من يصدق بكل ما يسمع) على الذي تزعمون، إنه {أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ} إلى آخر الآية، ولو شئت أنْ أسمي القائلين بأسمائهم لسميت، وأومأت إليهم بأعيانهم، ولو شئت أن أدلَّ عليهم لدللت، ولكني في أمرهم قد تكرّمت، وكلّ ذلك لا يرضى الله مني إلا أن أبلّغ ما أنزل إليَّ فقال: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ> في علي< وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} الآية<(٧٥).

وهذه الخطبة المباركة فيها من الأسرار الكثير، وتدل على أن القائل ليس واحد بل مجموعة كبيرة من المنافقين، وأن لهم تأثير كبير على الرأي العام بحيث يطلب النبي صلى الله عليه وآله من الله تعالى أن يستعفيه من أمر علي عليه السلام لكثرة المنافقين.

التاسع: استهزاء المنافقين ولعبهم بالدين

يقول تعالى: {يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ

اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ * وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ}(٧٦).

نزلت هذه الآيات في مجموعةٍ من المنافقين فيما يرتبط بغزوة تبوك، وأهم ما ورد عن هوية هذه المجموعة نقلان:

النقل الأول: ما في تفسير القمي وغيره، واللفظ للقمي أنهم: "قوم من المنافقين، كانوا يتحدثون فيما بينهم ويقولون: أيرى محمدٌ أنّ حرب الروم مثل حرب غيرهم، لا يرجع منهم أحدٌ أبد ، فقال بعضهم: ما أخلفه أن يخبر اللهُ محمد بما كنّا فيه وبما في قلوبنا، وينزل عليه بهذا قرآنا يقرأه الناس، وقالوا هذا على حد الاستهزاء، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعمار بن ياسر: <الحق القوم؛ فإنّهم قد احترقوا> فلحقهم عمار، فقال: ما قلتم، قالوا ما قلنا شيئ ، إنّما كنّا نقول شيئ على حد اللعب والمزاح فأنزل الله {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ...}"(٧٧).

العاشر: محاولة اغتيال النبي صلى الله عليه وآله

النقل الثاني: أنهم أصحاب العقبة الذين أرادوا أن يغتالوا رسول الله صلى الله عليه وآله عند رجوعه من تبوك في وادي يسمى (العقبة)، فأطلعه الله تعالى على ذلك، وأخبر صلى الله عليه وآله حذيفة بن اليمان بأسمائهم، فسمي حذيمة (كاتم أسرار الرسول صلى الله عليه وآله).

والحديث حول ما ورد في هذه المؤامرة ذو شجون وشجون، وقد ورد فيها الكثير من الأحاديث، وهؤلاء المنافقون قريبون من رسول الله صلى الله عليه وآله وليسوا من المنافقين المشهورين بالنفاق مثل جماعة عبد الله بن أبي سلول، لأن جماعة المنافقين المعروفين لم يرافقوا النبي صلى الله عليه وآله في غزوة تبوك، بل بقوا في المدينة المنورة. وسيأتي في بعض النقولات الرابط بين الجماعتين.

وعن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا

نَخُوضُ وَنَلْعَبُ}: >نزلت في التيمي والعدوي والعشرة معهما أنَّهم اجتمعوا اثنا عشر، فكمنوا لرسول الله صلى الله عليه وآله في العقبة وأتمروا بينهم ليقتلوه، فقال بعضهم لبعض: إنْ فطن نقول إنما كنّا نخوض ونلعب، وإن لم يفطن لنقتلنه، فأنزل الله هذه الآية<[٧٨].

وفي مجمع البيان: "قيل: نزلت في اثني عشر رجلًا، وقفوا على العقبة، ليفتكوا برسول الله صلى الله عليه وآله، عند رجوعه من تبوك، فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك، وأمره أن يرسل إليهم، ويضرب وجوه رواحلهم، وعمار كان يقود دابة رسول الله صلى الله عليه وآله، وحذيفة يسوقها، فقال لحذيفة: >اضرب وجوه رواحلهم<، فضربها حتى نحاهم. فلما نزل قال لحذيفة: >من عرفت من القوم؟< قال: لم أعرف منهم أحد . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: >إنّه فلان وفلان< حتى عدهم كلهم. فقال حذيفة: ألا تبعث إليهم فتقتلهم؟ فقال: >أكره أن تقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم<"[٧٩].

محاولة اغتيال أمير المؤمنين عليه السلام

وفي التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام ذكر الارتباط بين المنافقين المتخلفين في المدينة وبين المنافقين أصحاب العقبة ومحاولة قتل أمير المؤمنين عليه السلام، وقصة ذلك طويلة جد نختصرها في التالي:

لما خرج النبي صلى الله عليه وآله من المدينة خلف علي عليه السلام عليها فأكثر المنافقون الطعن فيه، فقالوا: مله وسئمه، فحزن علي عليه السلام مما قالوا فخرج لرسول الله صلى الله عليه وآله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: >ما أشخصك عن مركزك؟< قال: >بلغني عن الناس كذا وكذا<. فقال له: >أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي<، فانصرف علي عليه السلام راجع ، فتآمروا على قتله، فحفروا له في طريقه حفيرة طويلة، ثم غطّوها بحصر ونثروا فوقها التراب، وكان ذلك طريق علي عليه السلام الذي لا بد له من سلوكه، وتعاهدوا على أنه إذا وقع مع دابته في ذلك المكان كبسوه بالأحجار حتى يقتلوه. فلمّا بلغ علي عليه السلام قرب المكان أنطق الله الفرس وأخبر

أمير المؤمنين عليه السلام بذلك، فسار علي عليه السلام على الحفرة وقد جعلها الله يابسة كالأرض، وجاء المنافقون معه بعضهم كان أمامه، وبعضهم خلفه، وقال لهم علي عليه السلام: >اكشفوا عن هذا المكان< فكشفوا عنه فإذا هو خاوٍ، ولا يسير عليه أحد إلا وقع في الحفيرة، فأظهر القوم الفزع والتعجب مما رأوا. فقال علي عليه السلام للقوم: >أتدرون من عمل هذا؟< قالوا: لا ندري. قال عليه السلام: >لكن فرسي هذا يدري<، وأنطق الله الفرس وقال: فعل هذا يا أمير المؤمنين فلان وفلان وفلان إلى أن ذكر العشرة بمواطاة من أربعة وعشرين، هم مع رسول الله صلى الله عليه وآله في طريقه[٨٠].

فالمنافقون عدّة مجموعات:

١- مجموعة من أهل المدينة، وبعض هؤلاء مشهورون بالنفاق ومعروفون لدى الناس كعبد الله بن أبي سلول.

٢- والمجموعة الثانية هم الطلقاء الذي للتو دخلوا في الإسلام خوف ونفاق ، وهم جماعة أبي سفيان.

٣- وهناك جماعة ثالثة من قريش، وهم قريبون من رسول الله صلى الله عليه وآله، يقودهم أصحاب العقبة.

عدد أصحاب العقبة

في مجمع البيان: "وكان الذي هموا بقتله اثني عشر رجلا، أو خمسة عشر رجلًا، على الخلاف فيه عرفهم رسول الله صلى الله عليه وآله، وسمّاهم بأسمائهم، واحدًا واحدًا، عن الزجاج، والواقدي، والكلبي. والقصة مشروحة في كتاب الواقدي. وقال الباقر عليه السلام: >كانت ثمانية منهم من قريش، وأربعة من العرب<"[٨١].

وصرّح بأسماء بعضهم في أكثر من رواية منها ما رواه الصدوق في الخصال عن حذيفة قال: "الذين نفروا برسول الله ناقته في منصرفه من تبوك أربعة عشر: أبو الشرور، وأبو الدواهي، وأبو المعازف، وأبوه، وطلحة، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة، وأبو الأعور، والمغيرة، وسالم مولى أبي حذيفة، وخالد بن وليد، وعمرو بن العاص، وأبو

موسى الأشعري، وعبد الرحمن بن عوف، وهُم الذين أنزل الله عَزَّوَجَلَّ فيهم {وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا}"[٨٢].

وهذه المجموعة الأخيرة من المنافقين تحدّث عنها أصحاب التفاسير من العامة والخاصة، مع اختلاف في التفاصيل، واختلاف في الآيات النازلة في حقهم، فبعضهم -كما تقدم- ذكرهم في الآيات السابقة، وبعضهم[٨٣] ذكرهم في الآية الثالثة والسبعين من هذه السورة، وهو قوله تعالى: {يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ}.

وبعض الروايات تشير إلى أن هذه الآية(٧٣) نزلت في المنافقين يوم الغدير، بعد أنْ نصب النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ علي خليفة على المسلمين، وقال فيه النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: **>من كنت مولاه فعلي مولاه<.**

فبعضها تذكر أن السبب هو قول جماعة منهم: "والله إن كنّا وقيصر لكنّا في الخز والوشي والديباج والنساجات، وإنّا معه في الأخشنين، نأكل الخشن، ونلبس الخشن، حتى إذا دنى موتُه، وفنيت أيامه، وحضر أجله، أراد أن يولّيها علياً من بعده"[٨٤].

وبعضها تذكر أنه "لمّا نصب رسول الله علياً يوم غدير خم فقال: من كنت مولاه فعلى مولاه، فهمّ رجلان من قريش رؤسهما وقالا: والله لا نسلم له ما قال أبداً، فأخبر النبي عليه وآله السلام فسألهما عما قالا فكذبا وحلفا بالله ما قالا شيئاً، فنزل جبرئيل على رسول الله عليه وآله السلام {يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا} [الآية] **قال أبو عبد الله** عَلَيْهِ السَّلَامُ: **>لقد توليا وما تابا<**"[٨٥].

وبعضها تذكر كما عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**لما أقام رسول الله** صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ **أمير المؤمنين يوم غدير خم كان بحذائه سبعة نفر من المنافقين؛ وهم فلان وفلان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة، وسالم مولى أبي حذيفة، والمغيرة بن شعبة، قال الثاني: أما ترون عينه كأنما عينا مجنون -يعني النبي- الساعة يقوم**

ويقول: >قال لي ربي<، فلمّا قام قال: >أيها الناس من أولى بكم من أنفسكم؟< قالوا: الله ورسوله، قال: >اللهمَّ فاشهد<، ثم قال: >ألا من كنت مولاه فعلى مولاه<، وسلموا عليه بإمرة المؤمنين، فنزل جبرئيل، وأعلم رسول الله بمقالة القوم، فدعاهم وسألهم، فأنكروا وحلفوا فأنزل الله {يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا}<(٨٦).

الحادي عشر: البخل ونقض العهد

{وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ}(٨٧).

نزلت هذه الآية في ثعلبة بن حاطب الأنصاري، كان فقير فطلب من النبي صلى الله عليه وآله أن يدعو له بالغنى، فلما أغناه الله امتنع عن دفع الزكاة قال: «ما هذه إلا أخت الجزية!»، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: >يا ويح ثعلبة ! يا ويح ثعلبة !< وأنزل الله الآيات(٨٨). وقيل نزلت في بلتعة بن حاطب ومقنب بن قشير(٨٩).

الثاني عشر: لمز المؤمنين في الصدقات

{الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}(٩٠).

روى البخاري عن أبي مسعود قال: "لما نزلت آية الصدقة كنّا نحامل، فجاء رجل فتصدّق بشيء كثير، فقالوا: مراءٍ، وجاء رجل فتصدّق بصاع، فقالوا: إن الله لغني عن صاع، هذا فنزلت {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ}"(٩١).

وقيل نزلت في معتب ابن قشير وعبد الله بن نهيك، وقيل جماعة من المنافقين(٩٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام: >ذهب علي أمير المؤمنين فآجر نفسه على أن يستقي كلَّ دلو بتمرة يختارها، فجمع تمراً فأتى به النبي عليه وآله السلام وعبد الرحمن بن عوف على الباب، فلمزه أي وقع فيه، فأنزلت هذه الآية: {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ} إلى قوله: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ}<(٩٣).

الخاتمة:

بعد هذا الموجز من ذكر بعض المنافقين وصفاتهم -وقد تركنا الكثير من الآيات لطول المقام- يتبيّن لنا المجتمع الذي عاشه النبي صلى الله عليه وآله، ونفسيات الناس حوله، وكثرة المنافقين، وخذلان الأصحاب، فرغم ما بذله النبي صلى الله عليه وآله لهداية القوم إلا أن الكثير منهم خصوص الوجهاء وأصحاب الكلمة أصرّوا على الكفر والنفاق، وأمّا عامة الناس فكانوا متخاذلين لنصرة الدين.

وقراءة هذا المجتمع بدقة يفيدنا جد في معرفة ما جرى بعد رحيله صلى الله عليه وآله، وأنه لا استبعاد لأي أمر نقله التاريخ لنا من أفعالهم الشنيعة، وأنه لم يكن متوقع إلا انقالبهم على أعقابهم كما ذكر القرآن الكريم: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ}(٩٤).

ومما يؤيد ذلك هذه الرواية التي ينقلها العياشي في تفسيره فيما يرتبط بيوم الغدير عندما أمر الله رسوله الكريم صلى الله عليه وآله بتنصيب علي عليه السلام، وكان النبي صلى الله عليه وآله يعرف أصحابه وبغضهم لوصيه عليه السلام، فعن زيد بن أرقم: «إن جبرئيل الروح الأمين صلوات الله عليه نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام فدعا قوما أنا فيهم، فاستشارهم في ذلك ليقوم به في الموسم، فلم ندر ما نقول [له] ، وبكى صلى الله عليه وآله، فقال له جبرئيل: >ما لك يا محمد أجزعت من أمر الله؟< فقال: >كلا يا جبرئيل، ولكن قد علم ربي ما لقيت من قريش إذ لم يقرّوا لي بالرسالة حتى أمرني بجهادي، وأهبط إليّ جنوداً من السماء فنصروني، فكيف يقرّوا لي لعلي من بعدي< فانصرف عنه جبرئيل، ثم نزل عليه: {فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ}...»(٩٥).

فصلّى الله على محمد وعلي وآلهما، وثبّتنا الله على ولايتهما، إنّه على كلّ شيء قدير.

***

الهوامش

(١) قرب الإسناد، للحميري، ص٢٨.
(٢) المستدرك، للحاكم النيسابوري ، ج٣، ص١٢٩، وكنز العمال، ج١٣، ص١٠٦. وراجع المعجم الأوسط للطبراني، ج٢، ص٣٢٨، والاستذكار لابن عبد البر، ج٨، ص٤٤٦، وعيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص٧٢، وكفاية الأثر، للخزاز القمي، ص١٠٢، ومناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، لمحمد بن سليمان الكوفي، ج٢، ص٤٨٠،
(٣) البخاري، ج٣، ص١٥٣، وج٥، ص٥٨، وج٦، ص٧-٨، وصحيح مسلم، ج٨، ص١١٦.
(٤) البخاري، ج٤، ص٣٩.
(٥) بحار الأنوار، ج٣، ص٣٥-٣٦، وكشف الغمة، للأربي، ج٢، ص١١٢.
(٦) بحار الأنوار، ج٣٦، ص٢٨٨.
(٧) سنن النسائي، ج٦، ص٦-٧.
(٨) المصنف، لعبد الرزاق الصنعاني، ج١١، ص٥٢.
(٩) مجمع الزوائد، ج٩، ص٥٠.
(١٠) البخاري، ج١، ص١٧.
(١١) البخاري، ج٥، ص١٨٥.
(١٢) التوبة: ٦٤.
(١٣) سورة براءة: ١٩.
(١٤) راجع في كل ما مرّ، تفسير البرهان، ج٣، ٣٨٢-٣٨٥، وتفسير نور الثقلين، ج٢، ص١٩٣-١٩٤.
(١٥) أمالي الشيخ الطوسي، ص٥٤٥ و٥٥٠، ونقله عنه تفسير البرهان، ج٣، ص٣٨٣.
(١٦) تفسير القمي، ج١، ص١٨٥-١٨٨، وبحار الأنوار، ج٢١، ص١٨١.
(١٧) الأحزاب: ١٥.
(١٨) الإرشاد، للشيخ المفيد، ج١، ص١٤١.
(١٩) البخاري، ج٥، ص٩٩.
(٢٠) تفسير العياشي، ج٢، ص٨٤.
(٢١) التفسير الكبير للرازي، ج١٦، ص٢١، التفسير المحيط، لأبي حيان الأندلسي، ج٥، ص٢٥، تفسير الآلوسي، ج١٠، ص٧٤، وجوامع الجامع للطبرسي، ج٢، ص٥٦، والإرشاد، للشيخ المفيد، ج١، ص١٤١.

(٢٢) الإرشاد، للشيخ المفيد، ج١، ص١٤١.
(٢٣) التفسير المحيط، لأبي حيان الأندلسي، ج٥، ص٢٥.
(٢٤) التفسير الكبير للرازي، ج١٦، ص٢١.
(٢٥) قال في تفسيره، ج١٠، ص٧٤: «فلما التقوا قال سلمة بن سلامة أو أبو بكر رضي الله تعالى عنهما: لن نغلب اليوم من قلة إعجاب بكثرتهم، وقيل: إن قائل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ، واستبعد ذلك الإمام لانقطاعه صلى الله عليه وآله عن كل شيء سوى الله عز وجل. ويؤيد ذلك ما أخرجه البيهقي في الدلائل عن الربيع أن رجلاً قال يوم حنين: لن نغلب من قلة، فشقّ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله ، والظاهر أن هذه الكلمة إذا لم ينضم إليها أمر آخر لا تنافي التوكل على الله تعالى ولا تستلزم الاعتماد على الأسباب، وإنّما شقت على رسول الله صلى الله عليه وآله لّما انضم إليها من قرائن الأحوال مما يدل على الإعجاب، ولعل القائل أخذها من قوله عليه الصلاة والسلام: >خير الأصحاب أربعة، وخير السرايا أربعمائة، وخير الجيوش أربعة آلاف، ولا يغلب اثنا عشر ألفا من قلّة كلمتهم واحدة»، لكن صحبها ما صحبها من الإعجاب، ثم إن القوم اقتتلوا قتالاً شديد فأدرك المسلمون إعجابهم، والجمع قد يؤخذ بفعل بعضهم فولوا مدبرين، وكان أول من انهزم الطلقاء مكر منهم، وكان ذلك سبب لوقوع الخلل وهزيمة غيرهم».
(٢٦) مجمع البيان، ج٥، ص٣٣-٣٥.
(٢٧) السيرة النبوية لابن هشام، ج٤، ص٨٩٤.
(٢٨) تفسير الثعلبي، ج٥، ص٢٤.
(٢٩) الآية: ٣٩.
(٣٠) التبيان في تفسير القرآن للشيخ الطوسي، ج٥، ص٢١٩.
(٣١) تفسير السرمقندي، ج٢، ص٥٨. والتبيان، ج٥، ص٢١٩.
(٣٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص١٨٩، وراجع أسباب النزول للواحدي، ص١٦٦، والسيرة النبوية لابن هشام، ص٤، ص٩٤٤.
(٣٣) بحار الأنوار، ج٣٠، ص٤٣٣.
(٣٤) تفسير ابن كثير، ج٢، ص٤١٦.
(٣٥) بحار الأنوار، ج٢١، ص٢٤٨.
(٣٦) الكامل في التاريخ لابن الأثير، ج٢، ص٢٧٧.
(٣٧) التبيان، ج٥، ص٢٨٠.
(٣٨) كمال الدين للصدوق، ص٢٧٨.
(٣٩) ذخائر العقبى، لأحمد بن عبد الله الطبري، ص٦٣.
(٤٠) الآية: ٤٠.

(٤١) خصائص الأئمة للشريف الرضي، ص٥٨.
(٤٢) التبيان في تفسير القرآن، ج٥، ص٢٢٢.
(٤٣) راجع التبيان في تفسير القرآن، ج٥، ص٢٢٢، وتفسير الميزان، ج١٠، ص٢٧٩-٢٨٢، وص٢٩٤-٢٩٨ في البحث الروائي.
(٤٤) الكافي، ج٨، ص٢٦٢.
(٤٥) الآية: ٤٢.
(٤٦) التبيان، ج٥، ص٢٢٥، والميزان، ج١٠، ص٢٨٤.
(٤٧) التبيان للشيخ الطوسي، ج٥، ص٢٢٦-٢٢٧.
(٤٨) الميزان، ج١٠، ص٢٨٥.
(٤٩) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص١٨٠.
(٥٠) الآيات: ٤٤-٤٦.
(٥١) الآية: ٤٩.
(٥٢) تفسير القمي، ج١، ص٢٩١-٢٩٢، وراجع التبيان، ج٥، ص٢٣٢، والسيرة النبوية لابن هشام، ص٤، ص٩٤٤، الكامل في التاريخ لابن الأثير، ج٢، ص٢٧٧.
(٥٣) راجع الآيات من ٨١ إلى ٨٧.
(٥٤) الآية: ١١٨.
(٥٥) تفسير القمي، ج١، ص٢٩٦- ٢٧٩.
(٥٦) مسند أحمد، ج٦، ص٣٨٧.
(٥٧) الآية: ٤٧.
(٥٨) الآية: ٤٨.
(٥٩) التبيان، ج٥، ص٢٣٢.
(٦٠) التبيان، ج٥، ص٢٣١-٢٣٢.
(٦١) الآيات: ٥٨-٦٠.
(٦٢) بحار الأنوار، ج٢٢، ص٣٨.
(٦٣) تفسير القمي، ج١، ص٢٩٨.
(٦٤) البحار، ج٩٠، ص٤٩، وجامع أحاديث الشيعة، ج٨، ص١٨١.
(٦٥) الكافي للكليني، ج٢، ص٤١٢، وكتاب الزهد للحسين بن سعيد، ص٤٧، وتفسير العياشي، ج٢، ص٨٩، وعنهم في تفسير البرهان، ج٣، ص٤٣٥، بحار الأنوار، ج٢٢، ص٣٨.
(٦٦) البخاري، ج٥، ص١٠٤.
(٦٧) البخاري، ج٤، ص٦٠، وصحيح مسلم، ج٣، ص١٠٥، ومسند أحمد، ج٣، ص١٦٦.
(٦٨) تفسير البرهان، ج٣، ص٤٣٦-٤٣٧، وتفسير نور الثقلين، ج٢، ص٢٣٠.

(٦٩) الآية: ٦١-٦٢.
(٧٠) راجع التبيان، ج٥، ص٢٤٦-٢٤٧،للواحدي.
(٧١) التبيان، ج٥، ص٢٤٨.
(٧٢) تفسير القمي، ج١، ص٣٠٠.
(٧٣) المائدة: ٦٩.
(٧٤) المائدة: ٥٥.
(٧٥) روضة الواعظين، للفتال النيسابوري، ص٩٢، وعنه في تفسير البرهان، ج٣، ص٤٤٧.
(٧٦) الآيات: ٦٦-٦٤.
(٧٧) تفسير القمي، ج١، ص٣٠٠، وتفسير التبيان، ج٥، ص٢٥١، وتفسير مجمع البيان، ج٥، ص٨١، وراجع أسباب النزول للواحدي، ص١٦٩.
(٧٨) تفسير العياشي، ج٢، ص٩٥، وتفسير البرهان، ج٣، ص٤٤٩.
(٧٩) مجمع البيان، ج٥، ص٨١.
(٨٠) التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص٣٨٠-٣٨٣.
(٨١) تفسير مجمع البيان، ج٥، ص٩١.
(٨٢) الخصال للصدوق، ص٤٩٩.
(٨٣) تفسير القمي، ج١، ص١٧٥ وص٣٠١، وج٢، ص٣٥٨، وأسباب النزول للواحدي، ص١٧٠. والدر المنثور للسيوطي، ج٣، ص٢٥٩. والسيرة الحلبية، ج٣، ص١٢٠.
(٨٤) تفسير العياشي، ج٢، ص١٠٠.
(٨٥) تفسير العياشي، ج٢، ص١٠٠.
(٨٦) تفسير القمي، ج١، ص٣٠١.
(٨٧) الآيات: ٧٧-٧٥.
(٨٨) تفسير مجمع البيان، ج٥، ص٩٤، وأسباب النزول للواحدي، ص١٧٠.
(٨٩) التبيان، ج٥، ص٢٦٢.
(٩٠) الآيات: ٧٩.
(٩١) البخاري، ج٢، ص١١٤.
(٩٢) التبيان، ج٥، ص٢٦٦.
(٩٣) تفسير العياشي، ج٢، ص١٠١.
(٩٤) آل عمران: ١٤٤.
(٩٥) تفسير العياشي، ج٢، ص٩٧.

المباديء التصورية لعدالة الصحابة

الشيخ علي ابراهيم عبد العال

والحمد لله رب العالمين، و الصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وخاتم المرسلين محمد المصطفى وآله الطيبين الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهير .

تعتبر مسألة عدالة الصحابة من أمهات المسائل التي اختلف فيها المسلمون. فإنّ من المسلمين من يعتبر أنّ الإسلام لا يمكن أن يصل إلينا على ما هو عليه وعلى ما تقتضيه حقيقة حفظ الدين لولا عدالة الصحابة أجمعين. فإنّ الله سبحانه وتعالى اختارهم لحمل الدين وقد حملوه على أحسن وجه و-لا أقل- أوصلوه لنا على أحسن ما يكون الإيصال وسلّموه إلى الأجيال اللاحقة على تمام مقتضى الأمانة وأرقى معاني تحمّل الحديث. وهذا أشبه بالدليل العقلي الثبوتي.

قال ابن حجر العسقلاني في الإصابة:"اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة".

ثم نقل كلام الخطيب البغدادي في الكفاية قال:

"وقد ذكر الخطيب في «الكفاية» فصلًا نفيسًا في ذلك فقال:

عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في آيات كثيرة سبق ذكر بعضها، وأحاديث شهيرة يكثر عددها؛ فجميع ذلك يقتضي القطع بتعديلهم ولا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله له إلى تعديل أحد من الخلق؛ على أنه لو لم يرد من الله ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة، والجهاد، ونصرة الإسلام ببذل المهج، والأموال، وقتل الآباء، والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان، واليقين القطع بتعديلهم، والاعتقاد بنزاهتهم هذا مذهب كافة العلماء، ومن يعتمد قوله ولم يخالف فيه إلا شذوذ من المبتدعة الذين ضلوا وأضلوا، فلا يلتفت إليهم ولا يعول عليهم، وقد قال إمام عصره أبو زرعة الرازي من أَجَل شيوخ مسلم: إذا رأيت الرجل ينتقص أحد من أصحاب رسول الله فاعلم أنه زنديق؛ وذلك أنّ الرسول حق، والقرآن حق، وما جاء به حق وإنّما أدى إلينا ذلك كله الصحابة فمن جرحهم إنّما أراد إبطال الكتاب والسُنة؛ فيكون الجرح به ألصق والحكم عليه بالزندقة والضلالة والكذب والفساد هو الأقوم الأحق".

وفي ضمن كلام الخطيب نقل قول ابن حزم: "قال أبو محمد بن حزم: الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعاً؛ قال الله تعالى: {لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى}[1]، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ}[2]، فثبت أنّ جميع الصحابة من أهل الجنّة، وأنّه لا يدخل أحد منهم النّار؛ لأنّهم المخاطبون بالآية السابقة"[3].

وقال ابن تيمية في منهاج السنة:

"وأصحاب النبي صلى الله عليه وآله ولله الحمد من أصدق النّاس حديثاً عنه، لا يعرف فيهم من تعمد عليه كذباً، مع أنّه كان يقع من أحدهم من الهنات ما يقع ولهم ذنوب وليسوا معصومين، ومع هذا فقد جرب أصحاب النقد والامتحان واعتبروها بما تعتبر به الأحاديث، فلم يوجد عن أحمد منهم تعمد كذبة، بخلاف القرن الثاني فإنّه كان في أهل الكوفة جماعة يتعمدون الكذب.

ولهذا كان الصحابة كلهم ثقات باتفاق أهل العلم بالحديث والفقه، حتى الذين كانوا ينفرون عن معاوية»[٤].

وقال ابن الصلاح: "ثم إنّ الأمّة مجمعة على تعديل جميع الصحابة، ومن لابس الفتن منهم فكذلك، بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع، إحساناً للظن بهم، ونظراً إلى ما تمهّد لهم من المآثر عليهم السلام وكأنّ الله سبحانه وتعالى أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة، وجميع ما ذكرنا يقتضي القطع بتعديلهم، ولا يحتاجون مع تعديل الله ورسوله لهم إلى تعديل أحد من النّاس"[٥].

ومن المسلمين من لا يعتدّ بهذه الفكرة صغرى وكبرى. وعلى أية حال فقد استدلوا على هذه الكلية بأحاديث وروايات كثيرة، تارة بالمطابقة وتارة بالالتزام. ولعل الأصل في أكثر ذلك هو الخطيب في الكفاية. وليس غرضنا استقصاء ذلك ومناقشته، غير أنّ لعدالة الصحابة معانٍ كثيرة ذكروها في كتبهم أهمها ما ينسب إلى محدثي العامة وما ينسب إلى أصوليّيهم، كما قسم ذلك ابن الصلاح في مقدمته على علوم الحديث. والذي يجده الباحث هو توسع المحدثين أكثر من الأصوليين في إدخال الصغير غير البالغ مثلاً أو من لم تطل صحبته سنة أو من لم يرو حديث أو من ارتد بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله لكنه عاد ومات على الإسلام كما صرح ابن حجر، إلى غير ذلك من التساهل في القيود. فتكفي مجرد الرؤية على مبنى مشهور المحدثين. ولهم في ذلك تبريرات لا يهم نقلها.

فهذه مجموعة من القيود التي ربما تجدها لدى بعض الأصوليّين ولا تجدها عند المحدثين. فمن أبرز القائلين بمذهب المحدثين المشار إليهم ابن حجر العسقلاني وابن الصلاح وأحمد في أشهر قوليه وتلميذه البخاري وابن كثير والحاكم النيسابوري صاحب المستدرك وغيرهم. وأمّا من ذهب إلى طريقة الأصوليين أو نسخة مخففة من طريقة المحدثين فهم مجمل من تجده يفرق بين من له صحبة ومن له رؤية، في مقابل المحدث الذي تكفيه مجرد الرؤية لإدخال من أدخله في الصحابة. وعلى هذا فربما نسبت طريقة الأصوليين إلى

أحمد والبخاري لأنّك تجد في بعض كلماتهم التفرقة بين الرؤية والصحبة. وربما أجيب عن هذه الجزئية بأنّ أحمد عندما يفرق بينهما فهذا من باب إذا اجتمعا افترقا و إذا افترقا اجتمعا، فلا ينافي قوله بمقالة المحدثين. وممن نسبوا إلى طريقة الأصوليين مسلم وأبو حاتم الرازي والباقلاني ابن عبد البر وشعبة بن الحجاج وغيرهم[٦] لذلك تجد ابن الصلاح في مقدمته في نفسه شيء من كتاب الاستيعاب لابن عبد البر، على جلالة ابن عبد البر عندهم.

قال ابن الصلاح في فصل معرفة الصحابة:

"هذا >معرفة الصحابة< علم كبير، قد ألف الناس فيه كتبًا كثيرة، ومن أحلاها وأكثرها فوائد كتاب الاستيعاب لابن عبد البر، لولا ما شانه به من إيراده كثيرًا مما شجر بين الصحابة، وحكاياته عن الأخباريين لا المحدثين. وغالب على الأخباريين الإكثار والتخليط فيما يروونه.

وليس هذا إلا لأنّ ابن عبد البر المعروف بحافظ المغرب لم يعمل بمبدأ الإمساك الذي ترجع روح عدالة الصحابة إليه كما ربما يتضح من بعض ما سيأتي. ومن مبدأ الإمساك تلاحظ أنّ ما نقلناه قبل قليل عن ابن تيمية مسألة تحتاج إلى تفسير وربما يتحير العقل في فهمها. فكيف جمع بين كونهم ليسوا معصومين وارتكابهم الهنات، مع عجز كبار نقاد الحديث على أن يجدوا من تعمد منهم كذبة؟ قال في موضع آخر من منهاج السنة:

ومعلوم أنّ الله قد جعل للصحابة مودة في قلب كل مسلم لا سيما الخلفاء رضي الله عنهم لا سيما أبو بكر و عمر فان عامّة الصحابة والتابعين كانوا يودونهما وكانوا خير القرون ولم يكن كذلك علي، فإن كثير من الصحابة والتابعين كانوا يبغضونه ويسبّونه ويقاتلونه"[٧].

وهذا يزيد التحير. وخصوص على منهج المحدثين الذين توسعوا كثير حتى بلغ الصحابة عشرات الآلاف بعد أن لم يتجاوزوا الألفين في بيعة الرضوان. ويبدو أنّه كان عليه أن يدعى عدم تمكن نقاد الحديث من إثبات تعمّد كذبة، لا

إثبات أنّهم لم يتعمدوا كذبة جزء . أو كان عليه أن يدعي بأنّ سيئاتهم لا تضر وبأنّهم أولى من يلتمس إليه العذر لقدمهم وإخلاصهم في خدمة الإسلام وما شابه ذلك مما ذكروه من تخريجات لمبدأ الإمساك عما شجر بين الصحابة.

وكيف كان فما ذكره لا يخرج عن مبدأ السكوت والإمساك عما شجر بينهم الذي لا معنى محصل لعدالة الصحابة غيره، ولكن يصعب الاعتراف بذلك لأنّه يتضمن الاعتراف الصريح بعدم عدالتهم، فيقع التناقض.

وليس هذا خاتمة التساؤلات. نقول في هذا المقام، لا يبعد أنّه بالنظرة البدوية الفطرية لا بد من أن تكون هذه المسألة طريقية لا ذاتية لها موضوعية. المقصود أنّ الاعتقاد بعدالة الصحابة لا يجب أن يكون على حد الاعتقاد بعصمة الأنبياء مثلاً أو عصمة الأئمة الأطهار عليهم السلام عند مذهب الشيعة الإمامية، فإنّ العصمة مسألة عقائدية وتعتبر جزء من الدين أو فقل قيد في أصل من أصوله. فمن اعتقد بالنبوة ولم يعتقد بالعصمة فليس الأمر أنّه اعتقد بأصل من أصول الدين وخالف في مسألة فرعية، بل يعتبر أنّه قد آمن بأصل من أصول الدين ناقص . فالنقيصة من عصمة الأنبياء تعتبر منقصة في الدين الذي يعتقده المسلم. أما الإيمان بعدالة الصحابة فبالنظر البدوي الفطري وعند إحسان الظن بهذه الفكرة ليس هو إلا مسألة استقرائية ويجب أن يكون قد لاحظ المؤرخون والعلماء بأنّ الصحابة لم يوجد فيهم كذاب أو مرتكب للمعصية مثلاً إلا وكان معذور أو متأولاً وما شابه ذلك. إنّ هذه الدعوى -أنّ فطرية المسألة تكون بهذا المعنى- ليست جزافية، بل كما سيتضح >ما أصبحت عدالة الصحابة مسألة يصعب فهمها إلا لأنّها خرجت عن ما ينبغي أن تكون عليه< فإنّ المسائل العلمية لا بد من أن تكون واضحة لا أقل على مستوى الدعوى والمفهوم، وإن اختلف في إثبات الدعوى. ولكن إذا كانت المشكلة في فهم الدعوى والنتيجة، فهنا لا بد أن يرجع الأمر إلى مخالفة لما يفهمه الإنسان العالم. وعلى أية حال فليست عدالة الصحابة بهذا المعنى مسألة عقائدية كمسألة عصمة الأنبياء.

بهذا المقدار ربما تكون الفكرة مقبولة على مستوى الإمكان رغم احتياجها إلى أكثر من ذلك لإثباتها على مستوى الوقوع. ولكن الباحث عندما يستقصي هذه الفكرة في كلمات من يتبنونها فإنّه يجدها تصل إلى أكثر من هذا بكثير.

فإنّ جمع من كبار علماء المسلمين قد رتبوا آثار عظيمة على من أنكر عدالة الصحابة أجمعين، وعلى من طعن واحدا منهم. فمنهم من نسب منكر ذلك إلى الكفر، ومنهم من نسبه إلى المكيدة للدين. إنّ هذه الآثار لا تتلائم مع مسألة استقرائية لا موضوعية لها بحسب الفرض، فأيّ موضوعية لكون الآلاف من الأشخاص عدولاً لمجرد كونهم قد آمنوا وكانوا في القرن الأول ولمجرد تشرفهم برؤية النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله في فئام من النّاس ويعدى هذا الحكم لمن رأى محمد صلى الله عليه وآله ومن رأى من صحب محمد ومن رأى من رأى من صحب محمد صلى الله عليه وآله؟ خصوص وأنّ المدّعى في بعض الكلمات هو عدالتهم جميع وبدون استثناء، رغم كثرتهم خصوص على بعض تعريفات الصحبة كما سيأتي بيانه، ورغم اختلاف ثقافاتهم واختلاف مشاربهم. هذا الظن الأولي يصطدم مع ما ذهب إليه هؤلاء المشايخ. ولا مشكلة في ذلك، وإنّما هذه الفكرة بهذا النحو تولد الكثير من التساؤلات التي تحتاج إلى الإجابة عليها. وأول ما يخطر على البال هو الجرائم التي نقلها التاريخ عن الكثير من الصحابة، واللعن الوارد في بعضهم في القرآن والسنة، والاقتتال بين الصحابة أنفسهم الذي أنتج فتنة لم تزل آثارها إلى قرون متمادية بعد القرن الأول أو القرون الثلاثة التي يدعى فيها العدالة. ومن جهة أخرى فيلزم من هذا التعميم تخصيص الآيات التي ملأت الدنيا عدلاً ونبذ للظلم والطغيان، فتخصص لأجل الحفاظ على مكانة وسمعة الصحابة، وبالتالي كما يدعى، على سمعة وحقانية الإسلام.

والمسألة الأخرى هي أن البحث في هذه القضية لا ينبغي أن يقع في عالم الثبوت والإمكان، فإنّ الإمكان عالم واسع وغير يقيني ولا يدفع الشبهة عن أصل الدين بل غاية الأمر أنّه يرفع التناقض في الفكرة. فمثلاً لو سلمنا

بعدالة جميع الصحابة صيانة للدين وأنّه لا يمكن أن يكون الصحابة فاسقين، فهنا يرتفع التناقض الذاتي في الفكرة، بمعنى أنّه لا مانع من الاعتقاد بصحة الدين الواصل إلينا بما أنّ الصحابة كلهم عدول. ولكن مع هذا الافتراض يتوجه السؤال إلى أصل الدين وإلى إشكال الدور فضلاً عن المؤنة العظمى في إثبات ذلك بالأدلة الواقعية التاريخية.

أما مع التماشي مع هذه الفكرة، فلو سلمنا بهذه المسألة على أفضل صورها وجئنا بأدلة عصمة الأنبياء وطرحناها بعينها لإثبات عدالة الصحابة وفرضنا أهمية الصحابة كأهمية الأنبياء. -لأنّه مع عدم العصمة لا يحصل الوثوق بالدين الواصل إلينا وأنّ الله الحكيم لا يمكن أن لا يبعث أنبياء معصومين وإلا للزم نقض الغرض من الخلقة أو عدم تحقق الغرض منها لأنّ شريعته لن تصل كما هي عليه، أو أنّ الأنبياء لن يكونوا حجة منجزة على النّاس، لأنّ النّاس حينئذ لهم أن يحتجوا على الله بأنّه لم يحصل الوثوق بكلام هؤلاء الذين يرتكبون الذنوب أو يخطؤون في شؤون حياتهم فكيف يوثق بما جاؤوا به في مقام التبليغ. ودعوى عصمتهم في التبليغ فقط مما يتعذر الالتزام به بعد أن أدخلنا مثل الإيماء والتقرير في حجية ومنجزية التكليف. لو لم يكن الأنبياء معصومين لكان هذا من القبيح الذي لا يرتكبه المولى الحكيم تبارك وتعالى- فيقال هنا الأمر في الصحابة كذلك لأنّ النبي صلى الله عليه وآله أوصل الدين من جانبه ولكن من يوصل الدين إلينا من بعده؟ فلو لم يكن الصحابة عدولاً للزم نفس المحذور الذي كان سيلزم لو لم يكن الأنبياء معصومين، وحينئذ فلا محيص من القول بعدالتهم جميع وبدون استثناء وذلك استقصاء لأشد مراتب حماية الدين وصيانة له من إدخال ما ليس منه أو إخراج ما كان فيه. وهذا هو المناسب لحكمته وعدله سبحانه وتعالى. هذا غاية ما يقال في إثبات العدالة عن طريق الدليل العقلي.

فكما يلاحظ القارئ أنّ هذا استدلال في عالم الثبوت لأنّه بلسان لا يمكن

أن يكون، أو لا يمكن أن لا يكون، فنقول لو كان الأمر كذلك فيلزم استمرار السلسلة إلى أجيال أخرى بعد الصحابة لعين ما ذكر من دليل، ولم يلتزم أحد بذلك. فإن قيل لا يلزم ذلك في القرون اللاحقة، قلنا لا يلزم ذلك في القرن الأول بنحو وجوب ثبوت العدالة لجميع الصحابة بلا استثناء، بل ما يجاب به عن القرون اللاحقة نجيب به عن الكلية المذكورة. ولو سلمنا استثنائية الصدر الأول لقربه من زمن الوحي فدون إثبات الكلية بهذا الدليل خرط القتاد، بل غاية ما يجب هو أن يوجد ثلة من العدول الأخيار بمقدار ما يحتاجه نقل الدين لا أكثر.

وثانيً لو كانت عدالتهم ضرورية لكي يصل الدين صحيحً للأجيال اللاحقة، فصحّة الدين الواصل للأجيال اللاحقة متوقفة على أن تثبت عدالتهم عند الأجيال اللاحقة. فلو لم تثبت عدالتهم بطريق خارجي مستقل لما أمكن التحقق من صحة الدين، ولكن الفرض أننا نستدل بضرورة أن يكون الدين صحيحً لإثبات عدالتهم. فهل يصح أن نستدل بصحة الدين على عدالتهم، والحال أن صحة الدين لا تعرف إلا بعد ثبوت عدالتهم لأنّهم هم من نقل الدين بحسب الفرض؟ وهذا دور صريح ومبّه حثيث على أن الاستدلال الثبوتي على أمثال هذه الأمور لا ينبغي أن تقوم عليه أسس الإيمان والاعتقاد.

بل إنّ هذا الدليل لا يتم حتى في إثبات عصمة الأنبياء، بل لا بد من المعجزة والدليل الإثباتي على أصل النبوة ثم يمكن جر الحديث إلى تلك النواحي العقلية. هذا، فضلاً عن أن جميع الطرق الإثباتية تدل على عدم عدالة الصحابة، ونحن لا نحتاج إلى هذا المقدار بل يكفي أن تعجز الطرق الإثباتية عن إثبات عدالتهم جميعً ولا نحتاج إلى إثبات عدم عدالتهم. وهذا مما يصعب إثباته في مجموعات صغيرة من الناس كيف ونحن نريد إثبات ذلك لمجموعات قامت بينها الحروب ونهبت بينهم الأموال وقتل بينهم الآلاف من الناس.

ومن هنا تجد جمعً من علماء العامة الكبار حشدوا آياتً ونصوصً دينية

كثيرة للاستدلال على هذه الحقيقة.

إنّ هذا النحو من الاستدلال أيض مبتلى بالدور كما لا يخفى، ولكنه أخف وطأة من سابقه لأنّ الدور هنا ربما يتم حله بدعوى التواتر ونحوها من الأمور التي توجب العلم بتحقق النص أو المضمون بمعزل عن الطريق المعين التي وصلت منه. ومع ذلك فما يمكن أن يلزم الفرق الأخرى التي لا تعتقد بعدالة جميع الصحابة إنما هو الآيات القرآنية على تقدير تمامية دلالتها، لأن النصوص الواردة من طرق معينة لا يمكن استعمالها في الإلزام. وسيأتي قريب ذكر بعض هذه النصوص.

ثم يجد الباحث هنا معضلة أخرى في كلمات القوم، وهي هل أن صحبة النبي صلى الله عليه وآله أو رؤيته، على الاختلاف في تفسير مفهوم الصحابي، علة لصيرورة الصحابي عادلاً، أم هي كاشفة عن ذلك (بنحو الواسطة في الإثبات لا أكثر؟) فلو كانت علة لذلك لصارت نحو من التسديد الإلهي والهداية الربانية وهذا مما يحتاج إلى بيان وتوضيح، لأن مجرد رؤية وصحبة النبي صلى الله عليه وآله لا يكاد يتصور كيف يكون هو العلة في تلبس الرائي بالهداية والنجاة سواء آمن وعمل صالح أم آمن وعمل طالح . ولو كانت الصحبة كاشفة عن ذلك وليست علة للعدالة فلا مشاحة في ذلك لأن نقض الكلية حينئذ لا يوجد ما هو أيسر منه. ومن هذه النقطة بالذات تجد العلماء المدافعين عن هذه الفكرة يرجعونها إلى عدالة الصحابة لا بمعنى كونهم معصومين عن ارتكاب المعاصي بل إنما هي نظرية احترازية لكي لا يبدأ الطعن في الصحابة فيصل الطعن إلى صحابة آخرين فلا يسلم لنا شيء من الإسلام المنقول إلينا عن طريق الصحابة بحسب الفرض. فمثلا لا يمنع الطعن في صحابي لم ينقل لنا سوى حديث أو حديثين في نفسه، لكن هذا الطعن بوابة للطعن في المكثرين الذين تصل أحاديث بعضهم إلى الآلاف، وحينئذ يكون الدين في وضع حرج وصعب لإمكان تزلزله في أي وقت. فلا بد من منع الطعن، فيرجع معنى عدالة الصحابة إلى صيانة الصحابة

من الطعن.

ومن هنا عمل مجموعة من علماء العامة على تشييد مبدأ الإمساك كابن تيمية مستندين إلى مثل قوله تعالى: {تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون} صدق الله العظيم.

إنّ هذا مرة أخرى استدلال باللازم الباطل الذي لم يثبت ملزومه إلا من خلال هذا اللازم. فنتيجة لكون هؤلاء قد حشروا أنفسهم في دائرة ضيقة وهي أن الدين قد وصل إلينا عن طريق الصحابة فلا بد من الدفاع عنهم بأي وجه كان، فقد اضطروا لأمثال هذه التبريرات التي هي في ظاهرها لحفظ الدين.

قال ابن السبكي في جمع الجوامع وننقله مع شرح ابن المحلى:

"(ونعتقد أن خير الأمة بعد نبيها محمد ص أبو بكر خليفته، فعمر، فعثمان، فعلي، أمراء المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين) لإطباق السلف على خيرتهم عند الله على هذا الترتيب وقالت الشيعة و كثير من المعتزلة الأفضل بعد النبيﷺ علي وميزهم المصنف عن مشاركيهم في أسمائهم بما كانوا يدعون به فكان يدعى أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ لأنه خلفه في أمر الرعية مع أنه استخلفه للصلاة بالناس في مرض وفاته ص كما رواه الشيخان ويدعى كل من الثلاثة أمير المؤمنين... (ونمسك عما جرى بين الصحابة) من المنازعات والمحاربات التي قتل بسببها كثير منهم فتلك دماء طهر الله منها أيدينا فلا نلوث بها ألسنتنا (ونرى الكل مأجورين) في ذلك لأنه مبني على الاجتهاد في مسألة ظنية للمصيب فيها أجران على اجتهاده وإصابته وللمخطئ أجر على اجتهاده كما ثبت في حديث الصحيحين إن الحاكم إذا اجتهد فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر"[٨].

فهذا الكلام يشير إلى أن الإمساك عما جرى بين الصحابة له نحو من الموضوعية خصوصا وأنه جاء خاليا من الدليل على هذه القاعدة الخطيرة التي تؤسس لقبول الأفاعيل التي أومأ إليها الشارح وصرح بها غيره كابن تيمية فيما نقلناه عنه وما لم ننقله أيض . وأما مقولة أن هذه دماء طهر الله منها أيدينا فلا

نلوث بها ألسنتنا، وهي منسوبة إلى عمر بن عبد العزيز كما أشار إليه الشربيني في الحاشية على كلام في ذلك بينهم، فهي مما لا يكاد يستقيم لا بجعله كبرى لوجوب الإمساك ولا في نفسه أيض . أما الاستدلال بها على وجوب الإمساك فواضح البطلان لأنه اجتهاد من عمر بن عبد العزيز ولا يعتبر حجة. وإن أرجع إلى الدليل العقلي على وجوب الإمساك فإما أن يرجع إلى العقل النظري أو العقل العملي. أما نظري فلا يخفى أن هذه الكبرى دعوى محضة ولم تتضمن دليلاً لأنه لا ملازمة عقلية بين طهارة الأيدي من الدماء ووجوب الإمساك. وأما بإرجاعها إلى مدركات العقل العملي فهذا مما لا يكاد يستقيم إذ لا يتضمن الإمساك عنوان يدركه العقل، ولو سلمنا بإرجاعه إلى ما يدركه العقل فليس مسلّم وقوع المسألة صغرى لما يدركه العقل. وعلى أية حال فالدعوى لا تستقيم في نفسها أيض لأن القرآن صريح في وجوب قتال الفئة الباغية وحينئذ فلا يمكن الالتزام بأن هذه دماء طهر الله منها أيدينا بل الفئة الباغية مقتولة بأمر الله فلو شاركتهم أيدينا لما كانت ملوثة بذلك.

فكما يلاحظ القارئ أنّ تبرير الإمساك عن الكلام حول الصحابة بأي نحو كان في باطنه يتضمن اعترافا بأن هذا الدين لو أنصف التاريخ والوقائع لما وصل إلينا منه إلا المشوش والمحرف عن طريق فئة لا تسلم أمام النقد التاريخي المنصف. ويشهد لذلك اعتراف ابن تيمية فيما نقلناه عنه في صدر الكلام بأنهم رغم ما صدر عنهم من الهنات إلخ وغير ابن تيمية أيض يجد كلماتهم المتتبع في مظانها. فالحل هو أن يغلق باب التاريخ والنظر في الوقائع. ولكن بالنظرة الدقيقة لهذه الفكرة لا يكاد الباحث يجد تناسق فيها، فإن الدين قد نقله الآلاف ولا يمكن أن تسقط أصوله المعتضدة بالأدلة العقلية والقضايا الضرورية المتصلة يدا بيد إلى زمن النبي محمد صلى الله عليه وآله. وحينئذ فسوف تسقط أمور فرعية متأخرة رتبة عن أصول الدين ونحن بحسب الفرض إنما نقدس الدين ولا نقدس أشخاص أو أحداث أو فروع لا تثبت لدينا إلا بالتكتم والسكوت عما لو

لم نسكت عنه لوقع المحذور، وليس المحذور إلا سقوط هذه الأمور التي لم تثبت أهميتها إلا من خلالها. ومن هنا لو تم هذا الكلام يعرف أن المقصود إنما هو الذود عن تراث وأفكار ربما لا يصمد البحث العلمي لإثباتها.

وعلى أية حال فإن هذا من أوهن ما يمكن أن يتصور في معنى العدالة، كيف ويلزم منه أن يكون الشيء أصلاً لنفسه وهذا أشد ما يناقض الغرض الذي من أجله قامت هذه الفكرة ويقترب من نقض الدين أكثر من كونه لحفظ الدين.

هذه مجرد مقاربات في تصور المسألة. أما بقية المباحث من تعريف الصحبة ومدتها وشؤون التابعين والفرق بينها وبين العصمة وتعريف الصحابي وأثر المسألة الحديثي والتاريخي وغير ذلك من المباحث فلم تتعرض له هذه المقالة، وربما يكون لها ما يتمّمها في المستقبل إن شاء الله.

***

الهوامش

(١) الحديد:١٠.

(٢) الأنبياء ١٠١.

(٣) الإصابة في معرفة الصحابة ص١٣.

(٤) منهاج السنة النبوية ٤٥٦\٢.

(٥) مقدمة ابن الصلاح.

(٦) لاحظ الصحابة وعدالتهم.

(٧) منهاج السنة النبوية ١٣٧\٧.

(٨) حاشية العلامة البناني على شرح ابن المحلى على متن جمع الجوامع ٤٢٢\٢ ٤٢٣.

منكر ضروري المذهب

الشيخ غازي عبدالحسن السماك

الضروري تارة يتعلق بالأصول الاعتقادية التي ينبغي أن يعتقد بها المسلمون قاطبة، مضافاً إلى الأحكام الشرعية التي ينبغي أن يلتزموا بها، وأخرى يتعلق بمسائل عقدية وأحكام شرعية تختص بمذهب من المذاهب الإسلامية، كالاعتقاد بالنص في خلافة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله بالتعيين الإلهي، ووجوب الخمس في غير غنائم الحرب كأرباح المكاسب عند الإمامية، أو القول بالشورى في خلافة النبي صلى الله عليه وآله والميراث بالتعصيب عند غير الإمامية من المذاهب الإسلامية.

المستفاد من كلمات الأعلام -المتقدمين والمتأخرين- أنّ مشهور المتقدمين هو الحكم بكفر ونجاسة من أنكر ضروري من ضروريات المذهب، بينما مشهور المتأخرين هو الحكم بخروجهم عن الإيمان والمذهب لا الإسلام، فحكموا بطهارتهم وإحقان دمائهم وحرمة أعراضهم وأموالهم طالما لم يكونوا من النواصب والغلاة.

قال العلامة في منتهى المطلب: "الإمامة من أركان الدين وأصوله، وقد علم ثبوتها من النبيّ صلى الله عليه وآله ضرورة، فالجاحد بها لا يكون مصدّقاً للرسول عليه السلام في جميع ما جاء به، فيكون كافرا"[1].

وقال المازندراني في شرحه على الكافي: "مَن أنكرها -أي الولاية- فهو كافر، حيث أنكر أعظم ما جاء به الرسول وأصلًا من الأصول. ومَن لم يعرفها ولم ينكرها، بل هو ساكت متوقّف فهو ضال"[٢].

وقال المحدث البحراني في حدائقه: "المشهور بين متأخري الأصحاب هو الحكم بإسلام المخالفين وطهارتهم، وخصوا الكفر والنجاسة بالناصب، وهو عندهم من أظهر عداوة أهل البيت عليهم السلام، والمشهور في كلام أصحابنا المتقدمين هو الحكم بكفرهم ونصبهم ونجاستهم، وهو المؤيد بالروايات الإمامية"[٣].

وجاء في الأنوار النعمانية: "أما من أنكر ما علم من دين الشيعة بالضرورة لا من دين الإسلام؛ كتقديم أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة والفضيلة، وتكفير من تخلّف محله، فهو ليس بمؤمن، لكنّه لا يخرج عندهم عن الإسلام الذي عليه المناكحات والطهارات وإحقان الدماء والأموال"[٤].

وقال كاشف الغطاء في كشف الغطاء: "منكر ضروري المذهب يحكم عليه بالخروج من المذهب"[٥].

وقال صاحب القوانين: "اعلم أنّ ضروري الدين كما يستلزم انكاره الخروج عن الدين فضروري المذهب أيضاً يستلزم انكاره الخروج عن المذهب، وهنا دقيقة لا بد أن ينبّه عليها وهي أنّ ضروري الدين قد يختلف باعتبار المذهب فيشتبه ضروري الدين بضروري المذهب، كما لو صار عند الشيعة وجوب مسح الرجلين ضرورياً عن النبيّ صلى الله عليه وآله، فإنكاره من الشيعة إنكار لضروري الدين، بخلاف مخالفيهم"[٦].

وقال السبزواري في مهذب الأحكام: "إنكار ضروري المذهب إن رجع إلى إنكار الرسالة أو الألوهية أو التوحيد يوجب الكفر، وإن لم يرجع إليها ففي إيجابه له إشكال"[٧].

واستُدل على كفر منكر ضروري المذهب بأمور، منها:

الإجماع المحكي عن ابن إدريس في السرائر[٨].

وفيه: "إن كان المراد من الكفر المدعى عليه الإجماع ما يقابل الإسلام فهو معلوم

الانتفاء، فإنّ المعروف بين أصحابنا إسلام المخالفين، وإن كان المراد به ما يقابل الإيمان -كما هو الظاهر- لم يجِد في إثبات النجاسة، لأنّ الكافر الذي انعقد الإجماع ودلّت الأدلة على نجاسته ما كان بالمعنى الأول، كما تشهد به الفتوى بالطهارة هنا من كثير من نقلة الإجماع على نجاسة الكافر[٩].

إنكار ما ثبت بالضرورة من الدين، وهو ولاية أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث بيّنها النبي صلى الله عليه وآله وأمر القوم بقبولها ومتابعتها، فمن أنكر ما أمر به النبي صلى الله عليه وآله فهو كافر"[١٠].

وفيه: "إن الضروري من الولاية إنما هي الولاية بمعنى الحب والولاء، وهم غير منكرين لها بهذا المعنى، بل قد يظهرون حبّهم لأهل البيت عليهم السلام، وأمّا الولاية بمعنى الخلافة فهي ليست بضرورية بوجه وإنما هي مسألة نظرية، وقد فسّروها بمعنى الحب والولاء ولو تقليداً لآبائهم وعلمائهم، وإنكارهم للولاية بمعنى الخلافة مستند إلى الشبهة، وإنكار الضروري إنّما يستتبع الكفر والنجاسة فيما إذا كان مستلزماً لتكذيب النبي صلى الله عليه وآله كما إذا كان عالماً بأنّ ما ينكره مما ثبت من الدين بالضرورة وهذا لم يتحقّق في حق أهل الخلاف، لعدم ثبوت الخلافة عندهم بالضرورة لأهل البيت عليهم السلام، نعم الولاية بمعنى الخلافة من ضروريات المذهب لا من ضروريات الدين"[١١].

الأخبار، منها:

أ- ما رواه الصدوق في الفقيه عن الحسن بن محبوب، عن أبي أيوب، عن محمد بن مسلم عن أبي -جعفر عليه السلام قال في حديث: ‹**ومن جحد نبياً مرسلاً نبوته وكذبه فدمه مباح، قال: فقلت له: أرأيت من جحد الإمام منكم ما حاله؟ فقال: من جحد إماماً برأ من الله وبرأ منه ومن دينه فهو كافر مرتد عن الإسلام، لأنّ الإمام من الله، ودينه دين الله، ومن برأ من دين الله فهو كافر، ودمه مباح في تلك الحال، إلا أن يرجع ويتوب إلى الله عز وجل مما قال**›[١٢].

ب- ما رواه الكليني في الكافي عن علي بن إبراهيم، عن صالح بن

السندي، عن جعفر بن بشير، عن أبي سلمة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: >سمعته يقول: نحن الذين فرض الله طاعتنا، لا يسع الناس إلا معرفتنا ولا يعذر الناس بجهالتنا، من عرفنا كان مؤمناً، ومن أنكرنا كان كافراً، ومن لم يعرفنا ولم ينكرنا كان ضالاً حتى يرجع إلى الهدى الذي افترض الله عليه من طاعتنا الواجبة، فإن يمت على ضلالته يفعل الله به ما يشاء<[١٣].

ج- ما رواه في الكافي أيضاً عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن فضيل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام قال: >إنّ الله عزّوجلّ نصب علياً عليه السلام علماً بينه وبين خلقه، فمن عرفه كان مؤمناً، ومن أنكره كان كافراً، ومن جهله كان ضالاً، ومن نصب معه شيئاً كان مشركاً، ومن جاء بولايته دخل الجنّة، ومن جاء بعداوته دخل النّار<[١٤].

وفيها: "الذي يظهر منها أنّها في مقام إثبات الكفر للمخالفين بالمعنى المقابل للإيمان، كما يظهر من المقابلة فيها بين الكافر والمؤمن[١٥]، أو بمعنى الكفر الباطني وذلك لما ورد في غير واحد من الأخبار من أنّ المناط في الإسلام وحقن الدماء والتوارث وجواز النكاح إنّما هو شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمد رسوله، وهي التي عليها أكثر الناس، وعليه فلا يعتبر في الإسلام غير الشهادتين، فلا مناص معه عن الحكم بإسلام أهل الخلاف وحمل الكفر في الأخبار المتقدمة على الكفر الواقعي وإن كانوا محكومين بالإسلام ظاهر "[١٦].

بعبارة أخرى: "بانتفاء الولاية ينتفي الإسلام واقعاً، إلا أنّ منكر الولاية إذا أجرى الشهادتين على لسانه يحكم بإسلامه ظاهراً، مضافاً إلى السيرة القطعية الجارية على طهارة أهل الخلاف، حيث إنّ المتشرعين في زمان الأئمة عليهم السلام وكذلك الأئمة بأنفسهم كانوا يشترون منهم اللحم ويرون حلية ذبائحهم ويباشرونهم، وبالجملة كانوا يتعاملون معهم معاملة الطهارة والإسلام من غير أن يردع عنه ردع"[١٧].

فالمتحصل: أنّه لا دليل في المقام على كفر من أنكر ضروري المذهب من المخالفين، وغاية ما يمكن أن يستدل بذلك هو الكفر في مقابل الإيمان

أو الكفر الواقعي، إذ إنّ المستفاد من الروايات هو أنّ الإسلام يتحقق بالنطق بالشهادتين، فبهما تحقن الدماء، وتحرم الأعراض والأموال، وإنكار ضروري المذهب إنّما يوجب الخروج عن الإيمان لا الإسلام.

***

الهوامش

(١) العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، منتهى المطلب، ج٨, ص٢٦٠.
(٢) المازندراني، محمد صالح، شرح أصول الكافي، ج٥, ص١٥٦.
(٣) البحراني، الشيخ يوسف، الحدائق الناضرة، ج٥, ص١٧٥.
(٤) الجزائري، السيد نعمة الله، الأنوار النعمانية، ج٣, ص٧٠.
(٥) كاشف الغطاء، جعفر بن خضر، كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، ج٢, ص١٨.
(٦) القمي، الميرزا أبو القاسم، قوانين الأصول، ص٢٠٨.
(٧) السبزواري، السيد عبد الأعلى، مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام، ج١, ص٣٧٦.
(٨) ابن إدريس، محمد بن منصور الحلي، السرائر، ج٣, ص٥٨٣.
(٩) الحكيم، السيد محسن، مستمسك العروة الوثقى، ج١, ص٣٩٤.
(١٠) العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، منتهى المطلب، ج١, ص٥٢٢.
(١١) الخوئي، أبو القاسم، التنقيح في شرح العروة الوثقى، الطهارة، ج٣, ص٨٢.
(١٢) الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، ج٤, ص١٤, ح٢٣٦.
(١٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج١, ص١٨٧, ح١١.
(١٤) المصدر السابق، ج٢, ص٣٨٩, ح٧.
(١٥) الحكيم، السيد محسن، مستمسك العروة الوثقى، ج١, ص٣٩٤.
(١٦) الخوئي، أبو القاسم، التنقيح في شرح العروة الوثقى، الطهارة، ج٣, ص٧٨.
(١٧) المصدر السابق، ص٧٩.

الاستطاعة...قيد في الإلزام بفريضة الحجّ أو في مشروعيتها؟*

بقلم / علي فاضل الصدري

توطئة:

المعروف -بل الذي لم يعرف فيه خلاف- أنّ الاستطاعة من قيود مشروعيّة حجّة الإسلام، بحيث لو تسكّع بالحجّ فاقد الاستطاعة ثمّ استطاع لزمه الحجّ، ولا يجزيه ما أتى به، وقد أرسله الشيخ & في الخلاف إرسال المسلّمات، وادّعى عليه الإجماع، وعزى الخلاف في هذه المسألة إلى غيرنا قائلاً: "من لم يجد الزاد والراحلة لا يجب عليه الحجّ، فإن حجّ لم يجزه وعليه الإعادة إذا وجدهما. وقال باقي الفقهاء: أجزأه. دليلنا: إنّ الله تعالى علّق الوجوب على المستطيع، فمن قال: إنّ غير المستطيع إذا حجّ أجزأ عنه إذا كان مستطيعاً فعليه الدلالة، وأيضا عليه إجماع الفرقة.."[1]، ولكن صار أحد الأجلّة(سلّمه الله) على مستوى البحث والفتوى إلى أنّ الاستطاعة قيد في عزيمة حجّ الإسلام، فلا يلزم إلا بها، ولكنّه لو حجّ المتسكّع أجزأه عن حجّة الإسلام[2]، لقرائن قرآنية وروائية، فلنستعرضها مع إبداء الملاحظات عليها تباع :

القرائن القرآنية[٣]:

القرينة الأولى: إطلاق قوله تعالى: {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ}[٤]؛ فإنّه ظاهر في مطلوبية الإتيان بالحج إمّا لأخذ الأذان فيه على نحو الطريقية لطلب الحجّ من الناس لا على نحو الموضوعية ، أو لأنّ الإتيان غاية للأذان المطلوب، وغاية المطلوب مطلوبة، وحينئذ فمقتضى إطلاقها -لا سيما مع مفاد {يَأْتُوكَ رِجَالًا..}الذي هو جمع، وهو ممن خوطب بهذا الخطاب- هو عدم أخذ الاستطاعة في المطلوبية[٥].

وفيه أوّلاً: أنّ الآية -وإن كانت تتناول النبيّ ﷺ والمسلمين ولو لأنّه ﷺ قد أمر بالحجّ حين نزول الآية، وهو كاشفٌ عن كون المسلمين مشمولين بها، فإذا دلّت بإطلاقها على عدم اعتبار الاستطاعة في الوجوب ثبت ذلك في شريعة النبيّ ﷺ؛ لقيامه بتطبيق الآية على المسلمين- إلا أنّها في مقام بيان أصل مطلوبية الحجّ، فلا إطلاق لها.

وثانيا : لو كان لها إطلاق فإنّ خروج الفريضة بآية الاستطاعة لا يتنافى مع ما كانت الآية بصدد بيانه فعلاً, خصوص مع احتمال سبق آية الاستطاعة على آية الأذان زمانا .

وثالثا : لو فرض أنّ إخراج الحجّ الواجب من تحتها مستهجن, فلا ملازمة بين المشي راجلاً وعدم وجدان الزاد والراحلة ؛ إذ لعلّ المشي بداعي المحبوبية.

مضافا إلى أنّه بناءً على أنّ الاستطاعة في الآية هي العرفية فالقادر على المشي مستطيع, كما ورد في بعض النصوص: <إنّ حجّة الإسلام واجبة على من أطاق المشي من المسلمين>[٦]، فلا تنافي بين مفاد الآية واعتبار الاستطاعة, وإطلاقها مقيّد بآية الاستطاعة.

القرينة الثانية: إطلاق قوله تعالى: {وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ}[٧]، بتقريب أنّ مفاده ءاتوا بهما تامين؛ فإنّ الآية نزلت في المدينة لفرض العمرة، معتضد بمفاد الآيات في ذيل الآية.

وفيه أوّلاً: أنّ ظاهر الآية لزوم إتمام الحجّ والعمرة -بعد التلبّس بهما- إلى

آخرهما وعدم إنقاصهما واجتزائهما، وذيل الآية: {فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ...} قرينة عليه، أو أنّ المراد بإتمامهما عدم الإتيان بما يحرم على المحرم أو الأعمّ منهما، ويشهد لكلّ ذلك صحيح ابن أذينة قال: كتبت إلى أبى عبد الله عليه السلام مسائل، بعضها مع ابن بكير وبعضها مع أبي العباس، فجاء الجواب بإملائه، سألت.. وسألته عن قول الله تعالى: {وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ}، قال: "يعنى بتمامهما أداؤهما واتّقاء ما يتّقي المحرم فيهما"[٨]، وصحيح ابن سنان قال: "إتمامهما أن لا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحجّ"[٩]، وما في العيون في باب ما كتبه الرضا عليه السلام للمأمون في محض الإسلام وشرايع الدين: ‹**ولا يجوز الإحرام دون الميقات، قال الله عزّ وجلّ:** {وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ}[١٠]، **وما في الخصال: ولا يجوز الإحرام قبل بلوغ الميقات، ولا يجوز تأخيره عن الميقات إلا لمرض أو تقيّة، وقد قال الله تعالى:** {وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ} **وتمامها اجتناب الرفث والفسوق والجدال في الحجّ**›[١١]، ولولا قرينة ذيل الآية وتفسير الإتمام بما روي لقلنا بأنّ ظاهر الآية لزوم الإتيان بالحجّ والعمرة تقرّبا إلى الله وأنّ العبادّية شرط فيهما.

وأما أنّ الآية نزلت لفرض العمرة فلا شاهد عليه، وما قد يتوهّم ذلك منه -وهو صحيح الفضلاء عن معاوية بن عمّار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ‹**العمرة واجبة على الخلق بمنزلة الحجّ على من استطاع، لأنّ الله عزّ وجلّ يقول:** {وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ}، **وإنما أنزلت العمرة بالمدينة..**›[١٢].- فيرد على الاستدلال به -مضافا إلى كون الآية مقيّدة بالاستطاعة في نفس هذه الرواية- أنّ الاستشهاد بالآية على وجوب العمرة في كلام الإمام عليه السلام أعمّ من دلالة الآية عليه مطابقة، وأنّ وجوب إتمامهما هو وجوب الإتيان بهما -كما هو المدّعى- أو أنّها تستبطن ذلك وأنّ إتمام العمرة فرع أصل وجوبها، أو كما أفاد الشيخ الأعظم + من أنّ الأئمّة ^ كانوا يستشهدون كثير بآيات لا نفهم دلالتها[١٣].

وثانيا: لو كانت الآية ظاهرة في وجوب الحجّ -ولو لأنّ مطلوبيّة العمرة والحجّ معا وردت في أمرٍ واحد، وبما أنّ مطلوبيّة العمرة لا يعتبر فيها الاستطاعة، فكذلك الحجّ؛ لوحدة السياق، والتقييد بالاستطاعة في الرواية جاء قيدا في الوجوب لا في

أصل المطلوبيّة- فيأتي على الاستدلال بها الإجابتان الأولى والثانية من الإجابات على الاستدلال بآية الأذان من كونها بصدد بيان أصل مطلوبية الحجّ، فلا إطلاق لها، ومن كونها مقيّدة بآية الاستطاعة وغيرها.

القرينة الثالثة: إنّ آية الاستطاعة مشتملة على مبرزين للطلب: أحدهما: لام الاختصاص في قوله: (ولله) والمفيدة لأصل المطلوبية، وثانيهما: حرف الاستعلاء في قوله: (على الناس) ولو كانت الاستطاعة قيد في أصل الطلب لم تكن هناك حاجة للتعبير بحرف الاستعلاء, بل كان مؤداها : ولله حجّ البيت ممن استطاع إليه سبيلا, إذن فذكر حرف الاستعلاء وجعل الاستطاعة قيد لمفاده ظاهر في أخذها قيد في الإلزام, لا في أصل المشروعية.

وفيه: -مضافاً إلى عدم كون حرف الاستعلاء هنا للطلب، بل لبيان موضوع المطلوبيّة المستفادة من اللام، فالآية على وزان ما لو قلت: عليّ لزيد دينار- إنّ الظاهر كون (من استطاع) بدلاً عن قوله (الناس) لا قيد في حرف الاستعلاء، ومجرد احتمال ما ذكرناه كافٍ في منع الظهور المدّعى.

القرينة الرابعة: إنّ الظاهر من الاستطاعة في الآية هي استطاعة المسير لا الاستطاعة على أصل الحجّ، وذلك بقرينة التعبير بـ(إليه)، والتعبير بالسبيل الذي هو بمعنى الطريق عرفاً ، وحينئذ فمقتضى مناسبة الحكم للموضوع كون استطاعة المسير قيد في وجوب السعي للحجّ, لا قيد في أصل مطلوبية الحجّ.

وفيه: إنّ ظاهر عنوان السبيل هو القدرة كما إذا قيل: أنفق إن استطعت للإنفاق سبيلاً, فكذلك المقام, لا أنّ المراد به استطاعة المسير فكأنّ الآية تقول: حجّ إذا استطعته، لا أنّها تقول: حجّ إذا استطعت السبيل إليه، ويشهد لإرادة ذلك تفسير {اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً} بمن كان صحيح في بدنه، مخلّىً سربه، له زاد وراحلة، كما في صحيح هشام بن الحكم[١٤]، ويؤيّدها ما في رواية أبي الربيع الشامي قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: {وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً} -إلى أن قال- فقيل له: فما السبيل؟ قال: فقال: <**السعة في المال إذا كان يحجّ ببعض، ويبقي بعضاً لقوت عياله، أليس قد فرض الله الزكاة؟ فلم يجعلها إلا على من يملك مائتي**

درهم<(١٥)، وكذا ما في عيون الأخبار بإسناده عن الفضل بن شاذان عن الرضا عليه السلام -في كتابه إلى المأمون- قال: >وحجّ البيت فريضة على من استطاع إليه سبيلا، والسبيل الزاد والراحلة مع الصحّة<(١٦). والحاصل أنّه لا يراد استطاعة المسير.

قرينة الروايات:

القرينة الخامسة(١٧): وذلك بالنظر لأمرين:

الأمر الأول: إنّ هناك عدّة نصوص واضحة الدلالة على عدم اعتبار اليسار المالي, وهي طوائف:

الطائفة الأولى: ما دلّ على وجوب الحج على من أطاق المشي من المسلمين, كصحيح محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: ...>فإن كان يستطيع أن يمشي بعضاً ويركب بعضاً فليفعل<(١٨)، ونحوه صحيح معاوية بن عمّار قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن رجل عليه دين, أعليه أن يحج؟ قال: >نعم؛ إنّ حجّة الإسلام واجبة على من أطاق المشي من المسلمين، ولقد كان من حجّ مع النبيّ صلى الله عليه وآله مشاة, ولقد مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله بكراع الغميم فشكوا إليه الجهد والعناء، فقال: شدّوا أُزُرَكم واستبطنوا, ففعلوا ذلك فذهب عنهم<(١٩)؛ إذ من البعيد جد كون حجّ الجميع حجّ مستحبّ .

الطائفة الثانية: ما دلّ على أنّ المهانة الناشئة عن عدم اليسار غير مسقطة لوجوب الحجّ, كما في صحيح معاوية بن عمار عن أبي عبدالله عليه السلام -في حديث- قال:>... فإن كان دعاه قوم أن يحجّوه فاستحيى فلم يفعل فإنه لا يسعه إلاّ أن يخرج و لو على حمار أجدع أبتر<(٢٠).

الطائفة الثالثة: ما دلّ على وجوب الاستنابة على العاجز بدنيا أو سريا إذا كان قادر ماليا على الحجّ, نحو صحيح الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام -في حديث- قال: >... وإن كان موسراً وحال بينه وبين الحجّ مرض أو حصر أو أمر يعذره الله فيه فإنّ عليه أن يُحجّ عنه من ماله صرورةً لا مال له<(٢١).

وحيث إنّ القدرة البدنية شرط في الإلزام جزما ؛ بلحاظ إجزاء الحجّ الحرجي أو حجّ الشيخ العاجز عن حجة الإسلام وإن لم يستنب، فالقدرة المالية كذلك؛ لكون أجزاء الاستطاعة على نسق واحد من حيث الدخل في الحكم.

الطائفة الرابعة: ما دلّ على كفاية القدرة العقلية في تحقّق الاستطاعة, نحو صحيح ذريح المحاربي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: >من مات ولم يحجّ حجّة الإسلام, لم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به, أو مرض لا يطيق فيه الحج، أو سلطان يمنعه, فليمت يهودياً أو نصرانياً<[٢٢]؛ فإنّ استثناء خصوص المجحف من الحاجات أو المرض المقعد أو المنع القاهر كاشف عن كفاية القدرة العقلية في تحقّق الاستطاعة.

ولكن يلاحظ على الاستشهاد بهذه الطوائف عدم تماميّة الاستناد إليها لإثبات المدعى:

أما الطائفة الأولى: فمفادها اعتبار القدرة على المشي في الإلزام -ولا قائل به- لا في أصل المشروعية.

وقد يقال: إنّ هذه الأخبار مما أعرض عنها المشهور مع كونها بمرأى منهم ومسمع، فتسقط عن الاعتبار؛ فإنّ إعراضهم عن النصوص المذكورة -مع صحّة السند وكثرة العدد وكون الجمع العرفي بينها وبين غيرها سهلاً- يدلّ على خلل في الدلالة أو في جهة الحكم[٢٣].

إلا أنّ من المحتمل أن يكون إعراضهم عنها لجهة اجتهادية محضة وهي تقديم الروايات التي تفسّر الاستطاعة بالزاد والراحلة عليها، مع كون الجمع بين هذه الروايات وبين آحاد من تلكم الأخبار أو مجموعها في غاية الصعوبة؛ فإنّ الجمع بين هذين القبيلين من الروايات عموم وخصوص مطلق وإن كان لا بأس به بحسب الصورة إلا أنّه بعد الالتفات إلى منشأ التنافي -وهو ظهور روايات الزاد والراحلة في أنّ للزاد والراحلة خصوصيّةً، كما هو شأن كلّ موضوع يؤخذ معروض للحكم- يعود صعب[٢٤].

وأما الطائفة الثانية : فلأنّ بعضها ناظر لفرض استقرار الحجّ، نحو صحيح معاوية بن عمّار المذكور؛ حيث قال: >فإن كان دعاه قوم أن يحجّوه فاستحيى فلم يفعل فإنه لا يسعه إلاّ أن يخرج ولو على حمار أجدع أبتر< فلا مجال للاستدلال بها على ما هو الدخيل في أصل التعلّق, ومفاد بعضها الآخر عدم مانعية الاستحياء في الاستطاعة البذلية، والاستحياء أعمّ من المهانة, نحو صحيح أبي بصير قال: قلت

لأبي عبدالله عليه السلام: رجل كان له مال فذهب ثم عرض عليه الحجّ فاستحيى؟ فقال: >من عرض عليه الحجّ فاستحيى ولو على حمار أجدع مقطوع الذنب فهو ممن يستطيع الحجّ<[٢٥]، ولا يستفاد منها عدم اعتبار اليسار في الاستطاعة المالية، ولو استفيد من الجواب -كما هو الظاهر- أنّ الاستطاعة تتحقّق ببذل الحجّ ولو مع المهانة بأن كان على حمار أجدع أبتر، ولم نحتمل خصوصيّةً للبذل إلا أنّ سبيل هذه الرواية سبيل روايات الطائفة الأولى من جهة عدم القائل بها ولو لتنافيها مع روايات اعتبار الزاد والراحلة كما تقدّم.

وأما الطائفة الثالثة: فيلاحظ على الاستدلال بها أوّلاً: أنّه لا شاهد على إجزاء الحجّ الحرجي أو المتكلّف عن حجّة الإسلام؛ فإنّه لا وجه لرفع الإلزام بقاعدة نفي الحرج مع بقاء أصل الأمر؛ لا لقصور القاعدة كي يقال بورودها مورد الامتنان، بل لعدم قابلية المرفوع -وهو الأمر- في نفسه للتبعيض.

وثانيا: أفاد السيّد الأستاذ (دامت بركاته) مذاكرةً أنّه قد يقال: إنّ دليل اللزوم وإن ارتفع بالقاعدة إلا أنّ أدلّة استحباب الحجّ تتناول من لزمته الاستنابة فلم يستنب وحجّ، فيجزيه عن حجّة الإسلام -بناء على عدم دخل وصف الوجوب في حقيقة حجّة الإسلام بل يكفي كونها عن استطاعة مادّية وسربيّة- بمقتضى إطلاقات تلك الأدلّة لو كانت بصدد البيان من هذه الجهة، فالنتيجة لصالح المستدلّ من عدم اعتبار الاستطاعة بسائر خصوصيّاتها في حجّة الإسلام، لكن يقال: إنّ من المحتمل في حقّ القادر ماليّ وسربيّ الذي حجّ مع الكلفة أو الحرج خصوصيّةً، وهي أنّ ما دلّ على أمره بالاستنابة إنما هو في مقام بيان الامتنان عليه برفع الإلزام بالمباشرة، وإلا فأصل الأمر باقٍ، وعليه فيجزىء حجّه عن حجّة الإسلام بلا حاجة للأمر الاستحبابي، ولكنّ هذه الخصوصيّة لا منشأ لها في حقّ غيره، وعلى فرض إجمال الدليل من هذه الجهة، ووصلت النوبة إلى الأصل العملي فحيث إنّ المأمور به يدور بين تكليفه بخصوص الاستنابة أو بالجامع بينها وبين مباشرته للحجّ فتجري البراءة عن خصوصيّة الأوّل، ولو باشر الحجّ غفلةً، ثمّ شكّ في أنّ الأمر شامل له لم تجرِ البراءة عن شمول الأمر له بحيث يلزمه الاستنابة؛ فإنّ ذلك خلاف الامتنان، ولا يجري استصحاب الأمر؛ لكونه

من استصحاب الكلّي من القسم الثالث، هذا ولكن الفارق بين القادر مالي فيجزيه الحجّ الحرجي أو المتكلّف عن حجّة الإسلام وبين غيره قائم، وهو استفادة بقاء الحجّ في العهدة ولو بمباشرة الغير بالنصّ المفقود في حق غير القادر.

وبعبارة أخرى إنّ دخل القدرة البدنية في وجوب المباشرة لا يستلزم تحديد الاستطاعة المالية بذلك, خصوص وأنّ موضوع وجوب الاستنابة هو الموسر كما سبقت الرواية في ذلك.

وأما الطائفة الرابعة: فهي أوّلاً: ليست في مقام تحديد الاستطاعة بل في مقام بيان دخالة عدم الحرج في استقرار وجوب الحجّ وكون تركه من الكبائر.

وثاني : على فرض دلالتها على الاكتفاء بالقدرة العقلية -فغاية الأمر فيها أنّها مطلقة فتقيّد بالنصوص الدالّة على اعتبار اليسار المالي. اللهمّ إلا أن يقال: إنّ حمل المطلق على المقيّد هنا غير عرفي؛ لأنّ ظاهر صحيح ذريح الحصر، بمعنى أن لا مانع من الوجوب إلا تلك الأمور، وهو مما لا يقبل التقييد.

الأمر الثاني : ثمّة نصوص تدلّ على اعتبار اليسار المالي في ثبوت حجّة الإسلام, وهي على طوائف:

الطائفة الأولى: ما دلّ على أخذ الزاد والراحلة موضوع للفريضة:

منها صحيح محمد بن يحيى الخثعمي قال: سأل حفص الكناسي أبا عبد الله عليه السلام وأنا عنده عن قول الله عزّ وجلّ: {وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً}، ما يعني بذلك؟ قال: >من كان صحيحاً في بدنه مخلّى سربه، له زاد وراحلة، فهو ممن يستطيع الحجّ، أو قال: ممن كان له مال، فقال له حفص الكناسي: فإذا كان صحيحاً في بدنه، مخلّى في سربه، له زاد وراحلة، فلم يحجّ، فهو ممن يستطيع الحجّ؟ قال: نعم<[٢٦].

الطائفة الثانية: ما دلّ على أخذ عنوان اليسار كحد للاستطاعة:

منها رواية عبد الرحيم القصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سأله حفص الأعور وأنا أسمع عن قول الله عزّ وجلّ: {وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً}؟ قال: >ذلك القوة في المال واليسار، قال: فإن كانوا موسرين فهم ممن يستطيع؟ قال: نعم..<[٢٧].

الطائفة الثالثة: ما دلّ على أخذ عنوان ما يحجّ به الأعمّ من اليسار:

منها: صحيح محمد بن مسلم قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام قوله تعالى: {وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً}؟ قال: <يكون له ما يحجّ به..>[٢٨].

الطائفة الرابعة: ما دلّ على أخذ عنوان أهل الجدة الذي يلتقي مع عنوان اليسار:

منها: صحيح عليّ بن جعفر عن أخيه موسى عليه السلام قال: <إنّ الله عزّ وجلّ فرض الحجّ على أهل الجدة في كلّ عام، وذلك قوله عزّ وجلّ: {وِلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}..>[٢٩].

ومقتضى الجمع العرفي بين هذه الطوائف وبين الطوائف السابقة وعدّة نصوص أخرى -سنوردها إن شاء الله- هو حمل ما دلّ على اعتبار اليسار على اعتباره في الإلزام لا في المشروعية, وذلك لعدّة شواهد:

الأول: إنّ ما دلّ على اعتبار اليسار صريح في اعتباره في الإلزام، وظاهر في اعتباره في أصل التعلّق ، وما دلّ على عدم اعتباره نحو: (إنّ حجّة الإسلام واجبة على من أطاق المشي من المسلمين) صريح في نفي اعتباره في المشروعية، وظاهر في عدم اعتباره في الإلزام، ومقتضى حمل ظاهر كلّ منهما على صريح الآخر هو ما ذكر.

الثاني: إنّ ما دلّ على اعتبار اليسار هو عين مفاد قاعدة رفع الحرج بمقتضى المقابلة بين اليسر والعسر.

الثالث: إنّ هناك مجموعة نصوص تؤيّد الجمع المذكور:

منها: ما يستفاد من النصوص في حجّ العبد إذا أعتق عند أحد الموقفين نحو صحيح معاوية بن عمّار قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: مملوك أعتق يوم عرفة؟ قال: <إذا أدرك أحد الموقفين فقد أدرك الحجّ>[٣٠].

وما يستفاد من قاعدة (من أدرك) في حجّ الصبيّ إذا بلغ عند أحد الموقفين, من كفاية تحقّق الشرائط عند أحد الموقفين في إجزاء الحجّ عن حجّة الإسلام، مما يكشف عن عدم دخل استطاعة السير في ثبوت حجّة الإسلام.

ومنها: ما ورد من عدم مانعية الدين عن وجوب الحج كما في صحيح معاوية بن عمّار السابق قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن رجل عليه دين, أعليه أن يحجّ؟ قال: نعم...[٣١] مما يكشف عن عدم اعتبار اليسار المالي في ثبوت حجّة الإسلام.

ومنها : ما ورد في وجوب الحجّ مرّة واحدة في العمر, نحو صحيح هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: >ما كلّف الله العباد إلاّ ما يطيقون, إنما كلّفهم في اليوم والليلة خمس صلوات -إلى أن قال- وكلّفهم حجة واحدة وهم يطيقون أكثر من ذلك<[٣٢]، ونحو رواية الفضل بن شاذان عن الرضا عليه السلام قال: >إنما أمروا بحجّة واحدة لا أكثر من ذلك؛ لأنّ الله وضع الفرائض على أدنى القوة، كما قال: {فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ} -يعني شاة- ليسع القوي والضعيف، وكذلك سائر الفرائض إنما وضعت على أدنى القوم قوةً، فكان من تلك الفرائض الحجّ المفروض واحداً، ثم رغّب بعد أهل القوة بقدر طاقتهم<[٣٣]؛ فإنّه لا يصحّ تعليل التفضّل والامتنان بالاكتفاء بالحجّة الواحدة مع اعتبار الاستطاعة الشرعية، فصحّة التعليل قرينة على كون المعتبر في أصل المشروعية هو الاستطاعة العقلية فقط؛ ولذلك لما كان المكلّف قادر عقلاً على أكثر من حجّةٍ صحّ تعليل التفضّل عليه بالاكتفاء بالحجّة الواحدة.

ويلاحظ على ذلك :

أوّلاً: إن حملّ الظاهر على النصّ إنما يتمّ في إطار القرينية عرفاً , بحيث لو جمعا في خطاب واحد لكانا متلائمين، وهو غير منطبق على المقام؛ لاستحكام التعارض بين ما دلّ على اعتبار الزاد والراحلة مع اليسار, وما دلّ على كفاية القدرة العقلية.

مضافاً إلى أنّ التفكيك في المفاد الواحد بحيث يكون بعضه قرينة على غيره, وبعضه الآخر مورد لقرينةٍ من جهة غيره إنما يتصّور في المفاد الذي يتصّور انحلاله لعدّة مداليل عرفاً , أما في فرض التفكيك التحليلي لا العرفي فمن المستهجن جعل بعض المدلول قرينة على بعض المدلول الآخر.

وعلى فرض التعارض فيقدمّ ما دلّ على اعتبار اليسار في الاستطاعة المالية؛ لموافقته للكتاب؛ لظهور الآية في نفسها في اعتبار الاستطاعة, أي استطاعة الحج بما هو سفر بمعنى وجدان نفقته زائد على نفقة العيال المعبّر عنه باليسار.

هذا وروايات اعتبار اليسار بالغةٌ حدّ السّنة القطعية -حيث إنّ روايات كلّ طائفة من الطوائف الثلاث الأولى مستفيضة- فيسقط المخالف عن الاعتبار، ولا تصل النوبة

إلى مرجّحات باب التعارض.

وثانيا : إنّ مفاد ما دلّ على اعتبار اليسار مغاير لمفاد قاعدة رفع الحرج؛ إذ المقابل للعسر هو اليسر, لا اليسار، فاليسار ظاهر عرفا في سعة المال, كما يؤكّد ذلك عطفه على القوة في المال في معتبر عبدالرحيم القصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سأله حفص الأعور وأنا أسمع عن قول الله عزّ وجلّ: {وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً}، قال: ‹ذلك القوة في المال واليسار..›[٣٤].

وثالثا : إنّ ما دلّ على إجزاء حجّ العبد عن حجّة الإسلام إذا أعتق عند أحد الموقفين لا يدلّ على عدم دخالة اليسار في حجّة الإسلام؛ لعدم الملازمة بين الاكتفاء في شرط العتق أو البلوغ بتوفّره عند أحد الموقفين, والاكتفاء في شرط القدرة المالية بمثل ذلك؛ إذ ليس في مقام البيان من هذه الجهة, وعلى فرض التنزّل فإنّ غايته عدم اعتبار استطاعة المسير إلى الموقفين في ثبوت الحجّ, لا عدم اعتبار اليسار الذي يحتاجه الحاجّ في الموقفين وعند رجوعه إلى مكة لأداء النسك وما يحتاجه لرجوعه إلى وطنه.

ورابعا : إنّ غاية ما دلّ على عدم مانعية الدين من الحجّ أن الاستطاعة غير متقوّمة بعدم الدين، وهو لا ينفي اعتبار اليسار؛ لإمكان الجمع عرفا بين ما دلّ على اعتباره وما دلّ على عدم مانعية الدين بحمل الطائفة الثانية على الدين المؤجّل فترة طويلة بحيث لا يتنافى اشتغال الذمة به مع صدق اليسار المالي عرفا , مع فرض أنّ صرف المال فعلاً في الحجّ لا يؤدّي إلى العجز عن أدائه في ظرفه أو الدين العاجل مع إحراز المدين إبراء الدائن له في ظرفه.

وخامسا : إنّ ما دلّ على تعليل التفضّل بإيجاب الحجّ مرّة واحدة بأنّه مناسب لأدنى القوة لا شاهد فيه على أنّ الدخيل في المشروعية مجرد الاستطاعة العقلية, وذلك لأنّ الاستطاعة الشرعية بمعنى وجدان نفقة الحج عدة مرات أمرٌ ميسور بالنسبة للكثير من الناس, فيصحّ بلحاظه تعليل الاقتصار على المرّة الواحدة بالتفضّل والامتنان.

المحصّلة:

فتحصّل مما تقدّم أنّه لم يتمّ وجه على كون الاستطاعة قيد في الإلزام.

والحمد لله أوّلاً وآخر، وصلّى على محمّد وآله، وقد وقع الفراغ من تحرير هذه الكلمات في الرابع عشر من محرّم الحسين السبط من سنة ١٤٣٦هـ، وأنا أشهد أنّ الجهاد معك -يا أبا عبد الله- جهاد، وأنّ الحقّ معك وإليك، وأنت أهله ومعدنه -كما ورد في الزيارة[٣٥]-.

***

الهوامش

*هذا البحث مقتطع من (بحوث في فقه الحج) تقرير بحث الأستاذ السيّد منير الخبّاز (دامت بركاته)، بقلم الشيخ عبدالهادي اللويم ١: ١٠٨- ١١١، ١٢٤- ١٣١، وقد أدخلت عليه جملة من الإضافات والتغييرات فنيّة وعلميّة كالقرينة الثانية مع الإجابة عنها برمّتها.

(١) الخلاف٢: ٢٤٦ (ك الحجّ، م٣).

(٢) انظر: سند الناسكين للشيخ محمّد سند البحراني: ١٢ الشرط الرابع: الاستطاعة، ٢٣ م٥٣، ٤٤ م١٣٠.

(٣) انظر: سند العروة الوثقى (ك الحجّ)، تقرير بحث الشيخ محمّد سند، بقلم السيّد أحمد الماجد والشيخ حسن العصفور١: ١٠٢، ١٠٣.

(٤) سورة الحجّ: ٢٧.

(٥) إشارة: إنّ الآية خطاب لإبراهيم عليه السلام كما هو ظاهر سياقها, وعدم دخل الاستطاعة في الحجّ الواجب في شريعته لا يستلزم ذلك في شريعتنا, وما ورد في صحيح معاوية بن عمّار عن أبي عبد الله عليه السلام إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أقام بالمدينة عشر سنين لم يحجّ، ثمّ أنزل الله عليه {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ} فأمر المؤذّنين أن يؤذّنوا بأعلى أصواتهم بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يحجّ من عامه هذا-الوسائل١١: ٢١٣ ب٢ من أبواب أقسام الحجّ ح٤- فمفاده أنّه عندما نزلت هذه الآية أمر النبيّ صلى الله عليه وآله بالحجّ, لا أنّه هو المخاطب بالآية.

نعم إنّ إبراهيم عليه السلام قد خاطب في أذانه الناس إلى يوم القيامة، وقد أُمرنا بمتابعته في قوله تعالى: {اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا} - سورة آل عمران: ٦٧-.

(٦) وسائل الشيعة١١: ٤٣ ب١١ من أبواب وجوب الحجّ ح١.

(٧) سورة البقرة: ١٦٩.

(٨) وسائل الشيعة١١: ٧، ٨ ب١ من أبواب وجوب الحجّ ح٢.
(٩) وسائل الشيعة١٢: ٤٦٦ ب٣٢ من أبواب تروك الإحرام ح٦.
(١٠) وسائل الشيعة١١: ٣٢٠ ب٩ من أبواب المواقيت ح٤.
(١١) وسائل الشيعة١١: ٢٣٣ ب٢ من أبواب أقسام الحجّ ح٢٩.
(١٢) علل الشرائع٢: ٤٠٨ ب١٤٤ ح١، الكافي٤: ٢٦٥ باب فرض الحجّ والعمرة ح٤، عنهما في وسائل الشيعة١١: ٩ ب١ من أبواب وجوب الحجّ ح٥، الوسائل١٤: ٢٩٧ ب١ من أبواب وجوب العمرة ح٨.
(١٣) فرائد الأصول١: ٢٥٢.
(١٤) وسائل الشيعة١١: ٣٥ ب٨ من أبواب وجوب الحجّ ح٧.
(١٥) وسائل الشيعة١١: ٣٧ ب٩ من أبواب وجوب الحجّ ح١.
(١٦) وسائل الشيعة١١: ٣٤ ب٨ من أبواب وجوب الحجّ ح٦.
(١٧) سند العروة الوثقى(ك الحجّ)١: ١٠٥- ١١٦.
(١٨) وسائل الشيعة١١: ٣٩، ٤٠ ب١٠ من أبواب وجوب الحجّ ح١.
(١٩) وسائل الشيعة١١: ٤٣ ب١١ من أبواب الحجّ ١.
(٢٠) وسائل الشيعة١١: ٤٠ من أبواب وجوب الحجّ ح٣.
(٢١) وسائل الشيعة١١: ٦٣ ب٢٤ من أبواب وجوب الحجّ ح٢.
(٢٢) وسائل الشيعة١١: ٢٩، ٣٠ ب٧ من أبواب وجوب الحجّ ح١.
(٢٣) انظر: مستمسك العروة الوثقى١٠: ٧٠.
(٢٤) انظر: المرتقى إلى الفقه الأرقى (ك الحجّ)١: ٥٥.
(٢٥) وسائل الشيعة١١: ٤٢ ب١٠ من أبواب وجوب الحجّ ح٨.
(٢٦) وسائل الشيعة١١: ٣٤ ب٨ من أبواب وجوب الحجّ ح٤.
(٢٧) وسائل الشيعة١١: ٣٨ ب٩ من أبواب وجوب الحجّ ح٣.
(٢٨) وسائل الشيعة١١: ٣٣ ب٨ من أبواب وجوب الحجّ ح١.
(٢٩) وسائل الشيعة١١: ١٦ ب٢ من أبواب وجوب الحجّ ح١.
(٣٠) وسائل الشيعة١١: ٥٢ ب١٧ من أبواب وجوب الحجّ ح٢.
(٣١) وسائل الشيعة١١: ٤٣ ب١١ من أبواب وجوب الحجّ ح١.
(٣٢) وسائل الشيعة١١: ١٩ ب٣ من أبواب وجوب الحجّ ح١.
(٣٣) وسائل الشيعة١١: ١٩، ٢٠ ب٣ من أبواب وجوب الحجّ ح٢.
(٣٤) وسائل الشيعة١١: ٣٨ ب٩ من أبواب وجوب الحجّ ح٣.
(٣٥) كامل الزيارات: ٣٧٢ ب٧٩ (الزيارات) ح٣ (٦١٩).